3

الطبعة 7

الأعلى مبيعا

نار السموم

الجزء الثالث من سلسلة جن بني النعمان

INFERNO

بدر رمضان

ELENA BOOK

نار السموم

سلسلة جن بني النعمان ٣



الإهداء

إلى كُل من ظن أنني الكاتبة التي تحدثت عنها في المقدمة

أريد فقط أن أنوه أنني لستُ هذه الكاتبة...

فدعكم من التكهُنات وابحروا مع عالمي الخاص..



المقدمة

- أرجوك رجعني لبيتي ولأولادي..

نظر لي بندمٍ شديد وعينان تضيئان كما وصفتهما من قبل، وأجابني بكلٍ آسى:

- لن أستطيع تركك هناك،

لقد عرفتِ أسرارًا كثيرة ويجب أن تبقي هنا لسلامتك أولاً..

أطلقتُ صرخة مدوية بنحيبٍ مؤثر وأنا أخبره:

- أنا كاتبة والروايات دي من تأليفي، أنت ليه مش عاوز تصدقني؟!

شعرتُ باضطراب أنفاسه وهو يهز رأسه بعدم تصديق، ثم نظر نحوي مرة أخرى قائلًا:

- يبدو أنكِ بارعة في اللعب بعقلي، هذا لا يُصدق، سأرحل الآن وعليكِ أن تعتادي العيش في مملكة الجان، فيبدو أنكِ تعرفينها جيدًا..

بكيتُ كما لم أبكِ من قبل وأنا أترجاه أن يعيدنُي وسأمزق كل ما كتبته عنهم يوماً، لكنه لم يُصغ لي ورحل وتركني أُجن في هذه الغرفة التي أعرف تفاصيلهاَ جيدًا؛ فأنا من وصفت كل ركن بها!!

جلستُ على الفراش الوثير وحاولت تهدئة نفسي لأفهم ما يدور حولي،

الأمر برمته مُربك للغاية، وكأنني سُجنت بداخل إحدى رواياتي ولا تنفك الأسئلة تدور بعقلي كطاحونة، هل جئت هنا من قبل في حياة أُخرى ولذلك وصفت الأماكن والأشخاص بكل دقة؟!

و كما قرأت في بحث عن «الديجافو» من قبل، فهناك مُحتمل بأن أكون زُرت هذا المكان من قبل وفقدت ذاكرتي حين عُدت لعالمي؟!

أم أنني أنا من صنعتهم وهم الآن يتحكمون بي؟!

جحظت بعيني لهذا التفسير المجنون وتسارعت نبضات قلبي من الرعب، ثم نفضت رأسي من هذا الهذيان وعدتُ للبكاء وأنا أتخيل زوجي وأولادي يبحثون عني في كل مكان، ليتني أصغيتُ له وتركت هذا العالم وشأنه!!

اعتدلتُ بفزع حين شعرت بأحدهم!

فهذا ما أجيده دوماً، الشعور بهم حين يكونون حولي،

ولهذا أنا تأكدت أنَّ ما أعيشه الآن حقيقي للغاية؛

رفعتُ صوتي قليلًا وأنا أتمسك بقوتي ويدي تتشبث بغطاء الفراش الذي أجلس عليه، لأتساءل بصوتٍ باكٍ ولكنني حاولت إظهاره بغير ذلك:

- مين هنا؟!

لحظات أخذتُ بها عدة أنفاس لأجده أمامي،

ورُغم توقعي لرؤيته، إلا أنه كاد أن يصيبني بأزمة قلبية حين وجدته متجسداً أمامي، ردَّدتُ في عقلي..

«هذا كابوس، أو أنني وصلت لمرحلة متأخرة من الهذيان،

الأمر يتكرر ثانية كما حدث لي عندما رأيت والده!»

رفع كفيه أمامي وهو يطمئنني:

- لا تخافي سيدتي، فأنا لن أُؤذيكِ.

ابتسمتُ رغمًا عني، فأنا واثقة أنه لن يؤذيني، رفع حاجبه بتأمل قائلًا:

- لمَ تبتسمين هكذا؟!

وضعت يدي على فمي بعدما جففتُ دموعي التي ما زالت بقايها على وجنتي، وما زالت ابتسامتي ترتسم على وجهي، وأنا مندهشة حقًا؛ يا الهي ملامحه كما تخيلتها تمامًا حتى ردة فعله، الأمر أشبه باختلالٍ في عقلي، مازال ينتظر إجابتي، ومازلت أنا أتأمله بإعجابٍ شديد!

أجليت حُنجرتي حينما طال الأمر و تساءلت وكأنني لا أعرفه بل أحفظه عن ظهر قلب:

- أنت يوناس؟

اقترب مني خطوة وهو ينظر لعمق عيني وكأنه يريد إخراج ما يدور داخل عقلي المسكين، ثم أجابني:

- نعم أنا هو.

سألني وهو يتقدم نحوي والحيرة تُحيط به:

- كيف عرفتِ سري؟!

ضغطتُ أسناني بغيظ وكدتُ أن أقتلع خصلات شعري امتعاضًا وأنا أخبره:

- هقولك زي ما قولت لوالدك والله أنا ما أعرف أن أنتوا حقيقين أصلًا، أنا مؤلفة بكتب روايات، ومن حظي المنيل إن تخيلتكم وكتبت عنكم، هو ليه محدش مصدقني؟!

لمحت تشوش شديد طغى على ملامح وجهه مع ارتجاف طفيف في حدقة عينيه التي تشبه «نعمان» تماماً، فعرفت على الفور أنه أدرك أنني صادقة، وكما توقعت؛ يوناس يتميز عن والده بتفهمه للجنس البشري وتبيُّن الصادق منهم والكاذب بشكلٍ مُبهر،

اقتربتُ منه سريعًا قائلة:

- أنت اشتغلت وسواس مع الشياطين لفترة وتقدر تعرف إذا كنت بكذب ولا لاء مش كدا؟! وكمان أنت نصك بشري وعشان كدا أنا متأكدة إنك مصدقني..

عاد خطوة للخلف وهو يحاول أن يتدارك توتره الذي زاد أضعافًا وهو يقول:

- لا يعرف أحداً على الإطلاق تفاصيل هذا الأمر؟!

ثم أكمل بتردد:

- أبي معه حق، أنتِ في خطرٍ شديد الآن..

ثم كاد أن ينصرف، لكني أوقفته وقد خطرت لي فكرة يمكن أن تُخرجني من هنا:

- استنى أرجوك، ممكن تجيب لي تليفوني من بيتي؟!

لم تكن الدهشة هي الضيف الوحيد، لكنها مشاعره المختلطة وكأنه خائفٌ من تصديقي!

يوناس يملك الحكمة والمعرفة الكبيرة، أنا أثق أنه سيكتشف الأمر قريبًا، لكن حتى ذلك الوقت يجب عليّ إثبات صحة حديثي للجميع..

توسلت إليه مرة اخرى حتى اختفى من أمامي وفي لحظات وجدت هاتفي بجواري ثم رحل ولم أراه ثانية.

تفحصت هاتفي سريعًا فوجدتُ عشرات المكالمات الفائتة من زوجي، انقبض قلبي وركض الحزن نحوي بسرعة فائقة، وقبل أن أعود للبكاء قررت أن أُنفذ قراري الذي اتخذته الآن،

رُغم ارادتي في أن أثبت صحة كلامي إلا إن رجوعي لعائلتي الآن هو الأهم.

أمسكت هاتفي وفتحت الملفات وقمتُ على الفور بحذف الروايتين من هاتفي تمامًا لعلي أعود بعدها لمنزلي، أو هكذا تخيلت!

وبسرعة شديدة فعلت ما نويته، لكن لسوء حظي العسر لم يحدث شيئًا، أطلقت العنان لدموعي وأنا ألعن غبائي فقد طُبعت الروايتين وهما الآن في كل مكان!!

يبدو أنني لن أخرج من هنا يوماً، نهرت نفسي وكرهتُ استسلامي السريع وعزمتُ أمري على أن أجد حلاً في أقرب وقت، لكن أولًا يجب علي أن أعرف ما حدث معي؟ وكيف عرفت بأسرارهم؟!

وقفت أنظر لانعكاسي في المرآة وأنا أتذكر،

«هنا وقفت روهان حين جاءت أول مرة»

رفعت زاوية فمي بابتسامة عبثيه لقد وصفت المكان بمنتهى الدقة الأمر شبيهُ بالهوس، تركت ذهولي، أمسكت بهاتفي

وقررت أن أدون كل شيء لعلي أجد ثغرة تُخرجُني من هذا العالم الخفي! أو على الأقل لأتذكر ما حدث لي هنا.

أنـهيتُ كـتابـة كـل مـا حـدث مـعي مـن بـدايـة شـعوري بـبني النعمان يراقبني لمجيئي إلى هنا، لقد مضت بضع ساعات وأنا هنا بمفردي، لم يأتني أحد آخر والآن يغلبُني النعاس، لقد أُرهـقت الـيوم بـشكلٍ كـبير، ولـكن تـسارع نـبضات قـلبي المستمرة وشعوري بعدم الراحة وأنا في عالمهم يستهلك كل قوتي،

لـم أكـن يـومـاً مـمن يـخافـون الـجن، لـكني أيـضا لا أشـعر بالراحة في وجودهم حولي وهذا يشعرني باضطرابٍ كبير، وازداد الأمرُ أضعافًا مع وجودي هنا في عالمهم!!

غفوت في مكاني من شدة الإرهاق وجسدي لم يستجِب أبدًا للراحة، فمررت بعدة انتفاضات بالإضافة لانقباض قلبي المستمر،

هذا كله في كفة و الرائحة الغريبة التي تُشعرُني بالغثيان لا تترك أنفي بأي شكل في كفةٍ ثانية!

راودني سؤال في منامي وظللت أُكرره حتى استيقظت فزعة وأنا أسمع صوتي العالي،

« كيف اعتادت روهان على العيش هنا؟!».

نظرتُ حولي لعلي أحلم بكابوس كعادتي، لكني عدت خائبة الأمل، أنا لست بكابوس أنا بالفعل في قصر الملك الأبيض!

زفرتُ بضيقٍ شديد، الأمر فوق احتمالي بشكل لا يُصدق، كيف وصفت وجود روهان هنا بالألفة والراحة؟!

الأمر أشبه بكوني على حافة الجنون..

وعلى ذكرها وجدتها تطرق باب الغرفة ولا أعلم من أين عرفتُ أنها هي!

ولكن ببعض المنطق أدركت أن لا أحد من عالم الجان يطرق الباب سوى إنسيه.

أذنتُ لها بالدخول، فدلفت على استحياء، اتسعت حدقتي وأنا أنظر لها وكأنها ابنتي!

لا تتعجبون فأنا أشعر بهم جميعًا هكذا، وأعتقد أن روهان شعرت بنفس الشيء، اقتربت مني بودٍ شديد ومدت يدها تصافحني ففعلت بالمثل وصافحتها بمحبةٍ زائدة تعجبت هي لها، جلست على مقعد أمامي فوجدت نفسي أسالها:

- ازاي قدرتي تعيشي هنا براحه؟!

زاغت نظرتها مما جعلني اُدرك انها لا تعرف ما أعنيه، فوضحت لها الأمر:

- أنا قصدي أنك قدرتي تتأقلمي ازاي معاهم؟!

ابتسمت برقة بالغة ثم قالت:

- سأجيبك، لكن عليكِ أن تجيبني بكل صدقٍ في المقابل.

بادلتها الابتسامة وأنا أهزُ رأسي إيجابًا، فأنا أعرف لمَ بعثها هذا الماكر، فهو يعتقد أنني سأخبرها الحقيقة لأنها إنسية مثلي، فأجابتني:

ـ أنا معتادة على وجودهم بجانبي منذ كنتُ صغيرة في السن.

هكذا كنتُ أخبر مُتابعاتي عندما سألوني نفس السؤال، ولهذا يجب عليّ أنا أتأكد من شيءٍ ما، انتظرت حتى تسألني سؤالها، ولحسن حظي لم أنتظر طويلًا لأنها أردفت على الفور:

ـ أنا مثلك تمامًا، بمعنى أنكِ تستطيعين إخباري بأي شيء

وصدقيني أنتِ هنا في أمانٍ تام.

يا إلهي لا أستطيع أن أُغلق فمي الأحمق هذا، فأنا أبتسم كالبلهاء، أكملتْ وأنا أُجزم أنها تنعتني بنفس الصفة:

ـ أريدكِ أن تُخبريني من قال لكِ أسرارنا؟

تنحنحتُ وأنا أتنهد، يبدو أنني لابد أن أُثبت لها بطريقٍ آخر، فمن الواضح أن حديثي لا يعني لهم شيئًا سوى أنه مراوغة لكي أُخفي الحقيقة؛ لكن الطريق الذي سيثبت لهم حقيقية الأمر سيُغضبُ نعمان كثيرًا، لكني في النهاية أُجيد التعامل معه، نظرت لها بود وطلبت منها بلُطفٍ شديد:

ـ ممكن تنادي زمردة.

ضمت حاجبيها وكادت الصدمة أن تُلجم لسانها، لكنها تذكرت أن زوجها العزيز أخبرها أنني أعلم بأسرارهم فمن المنطقي أن أعرفهم جميعًا، نظرت لي بطرف عينيها وهي تنادي:

- زمردة احضري في الحال.

لحظات ووجدت ذات البشرة ناصعة البياض والعينين الزرقاء المضيئة التي تشبهُ القطط والشعر الأسود الحالك بملابسها السوداء تقف أمامي تتفحصني بتركيزٍ تام.

وقفت روهان بجوارها ثم أمسكت كتفها لتوقفها عن الالتفاف حولي ثم قالت لي:

- ماذا تريدين منها؟!

نظرتُ لهما قائلة:

- عاوزاها تروح عندي البيت وهتلاقي في مكتبتي كتابين..

ثم أخرجتُ هاتفي كي أُظهر لها أغلفة الروايتين وأشرت عليهم قائلة:

- هما دول، ممكن تجيبيهم وتيجي؟!

ثم نظرتُ نحو روهان المتعجبة بثقة تامة لأخبرها:

- هتلاقي فيهم كل الإجابات اللي أنتِ محتاجها..

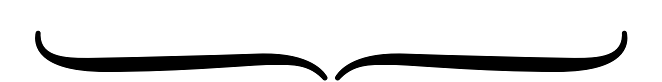
وفجأة اختفت زمردة من أمامي؛ فتبادلنا النظرات أنا و روهان، ويبدو أنها كانت تنتظر مني حديثًا آخر، ولكنى آثرت الصمت للحظات حتى جاءت زمردة تحمل الكتابين.

أخذتهم روهان من يدها تتفحصهما بارتياعٍ شديد لا أعرف مصدره،

ثم أشارت لزمردة أن تتبعها وانطلقت خارج الغرفة، بينما ظلت زمردة تنظر لي بتدقيقٍ غريب أشعرني بالخوف، لتخرج في النهاية وتغلق الباب خلفها.

جلستُ أنا كما كنت وانتظرتُ حتى تنتهي من قراءتهم؛

ومن المؤكد أنها ستأتي مرة أُخرى ولكن هذه المرة لن تكون لطيفة أبدًا !!.



الفصل الأول

قصرٌ مَهِيبٌ يتوسط المملكة التي تخُص ملكها العظيم وقائد جيوش المسلمين..

تحيطه الشمس من كل مكانٍ لتنير عالمهم الخاص المخفي عن أعين البشر، يتناثر حوله الجنود الحاميين، ليحفظوا ما بداخله من الغزو والغدر والشياطين، بوابةٌ كبيرة تليها ممرٌ طويل على جانبيه بركتان من المياه الصافية، تتراص حولهما الأشجار الطويلة العاتية، لينتهي الممر ببوابة أخرى، أعلاها دائرة حمراء اللون، محفورٌ على وجهتها اثنان من الأعلام الكبيرة، تنتهي بسيوفٍ ذهبية تتلألأ على أيديهم أحجارًا خضراء اللون لتُزيد مظهرهم هيبةً وفخامةً في قلوب العامة.

خلف البوابة الداخلية بهوٌ كبير، يتوسط البهو دَرج صغير لهُ قاعدةٌ خشبية فارهه، يعلوها مقعدٌ كبير مظهره يتسم بالعِظَم، مفروش بالحرير المخملي الأحمر، له ظهر من الذهب الخالص.

يتجول الخدم في القصر الكبير ليؤدي كُل منهم عمله على أكمل وجه، فسيدة هذا القصر شديدة البأس ذات قوة وقاسيةٌ بقدرٍ كافٍ كي تقود المملكة في غياب زوجها الحبيب..

فتحت عَينيها وهي تتحسس الفراش الوثير بأناملها، تنهدت بلهفةٍ، لقد تبقى القليل على عودته يُزين فراشها بحضوره وعشقه الذي لا تستطيع العيش يومًا دونه.

نظرتْ نحو بطنها التي بدأت تتكور بضعفٍ، ثم وضعت كفها تُمرره عليها بلطفٍ هامسة:

ـ سترين والدكِ اليوم يا حبيبتي الغالية.

ثم رفعت سبابتها وهي تُشير نحو بطنها بتحذيرٍ:

ـ لكن لا تطمعي في أن تُصبحي مُدللتهُ، فأنا مُدللتهُ الأولى والأخيرة، فيجب عليكِ من الآن أن تحذري غيرتي.

ثم نهضت من فراشها بمرحٍ لتستعد للقائه في أبهى صورة، نظرت نحو المرآة لتتطلع إلىً هيئتها التي تتمثل في البهاء والجمال بكل ما تحمله الكلمة من معنى،

اختارت فستانها الأخضر الذي أهداهُ لها المرة الماضية، لتتحسس أحجاره الكريمة المتناثرة على صدرها وخصرها بوَلهٍ، ثم رفعت طرفيه من الجانبين بإعجابٍ كبيرٍ، وهي تلتف يمينًا ويسارًا تنثر خصلات شعرها التي تعًدت نصف ظهرها بفرحةٍ عارمة، لقد طال كثيرًا عن آخر مرة رآها بها،

رددت وهي تزهو بشكلها أمام المرآة:

ـ سيحبه نعمان حُبًا جمًا ..

تفحصت قلادتها المُفضلة التي لا تنزعُها من عُنقها منذ ألبسها إياها، ثم اختارت قرطين مماثلين للقلادة لتُكمل مظهرها الفاتن فتنة فوق فتنته، ابتسمت برضا على انعكاس صورتها النهائية،

خرجت من غرفتها تركض مثل الأطفال نحو البهو الكبير ، وهـي تـتحسس بـطنها بـشوقٍ، إلـى أن قـابـلتها الـخادمـة لتصطدم بها في منتصف الطريق وهي تبتسم نحوها قائلة:

ـ أراكِ تتمتعين بنشاطٍ كبيرٍ اليوم يا سيدتي،

ثم أردفت وهـي تُضيق عينيها:

ـ غير عادتك..

ابتسمت نحوها وهـي تقترب منها هامسةٌ برقة:

ـ لقد اقترب موعد وصوله يا مويرا.

تهلل وجه «مويرا» الخادمة الشابة، جميلة الملامح، طويلة الشعر، ذات جسدٍ طويلٍ ومتناسق، لتقترب منها تتحسس وجنتها برقة قائلة:

ـ شوقك له يكاد يقفز من وجهك.

تنهدت بعشقٍ كبير، قد عاشته لسنوات طوال معه، لتُجيب خادمتها بصدقٍ:

ـ وكيف لي ألا أشتاق له حد الموت وهو بعيدٌ عني مُنذ شهور بسبب الحرب وويلاتـها، فأنا في وجوده وحضرته، وعندماً أنظر لعينيه الساحرة، يقتلني الاشتياق واللهفة عليه، فكيف وقد حان موعد رؤيته!

مررت مويرا كفها على خصلات شعرها قائلة:

ـ سيدي بني النعمان، يستحق أكثر من ذلك.

عند نطق الخادمة لاسمه لاحت ابتسامةٌ عريضةٌ على وجهها، لتتلألأ عينيها بوميضٍ بهجةٍ احتفالًا بالخبر السعيد الذي لم يعرفه بعد، لقد أوشكت فتاته على المجيء وهي متشوقة بشدة لمعرفته بحملها، فقد تركها منذ شهور لقيادة حربٍ شعواء ضد «لوياثان» وعُصبته، بعدما غاروا على مملكة الملك بلقان، تقدمت نحو مقعدها الكبير الذي ينتصف البهو، ثم جلست عليه وهي تأمر مويرا:

ـ استدعِ لي «شاص» كي يخبرني ما أمر المملكة اليوم، لأنني سأغلق بابي حين وصول بني النعمان، حتى يأمر هو بفتحه..

إيماءة من مويرا مع انحناءة بسيطة وقولها:

ـ أمرك يا سيدتي.. كانت الرد.

وفي لحظات وقف أمامها شاص بنفس الانحناءة مرددًا:

ـ أمرك يا سيدتي..

***

انتهى نعمان من معركته الأخيرة، بالنصر المتوقع كعادته، عاد لمملكة أبيه بالاحتفالات التي أُقيمت في جميع الممالك ليحتفوا به حين عودته.

حـين وصـل الـقصر وجـد المـلوك السـبع يـتوسـطون الـطاولـة الكبيرة ينتظرونه كي يقص عليهم تفاصيل ما حدث.

دخـل نـعمان للقصر ليُحيي الجـميع ونـظراتُ الفَخـر والـزهـو تلوح على وجه أبيه كما العادة، جلس على رأس الطاولة وبدأ في سرد ما حدث معهم كي يكونوا على علم بما جرى في المعركة الكبيرة، ثم وضع لائحةً مديدةً أعلى الطاولة، مدونٌ بها كل اسم ممن اعتقله من الشياطين، وكل اسم قتله منهم، وفـي نـهايـة الـقائـمة أسـماء الـخائـنين والمـنشقين مـن الـجن المسـلم فــي مـمالـكهم السـبعة، كــي يَحـذروا عــائــلاتــهم ويخرجوهم من أرضهم.

انتهى بني النعمان من تقريره، ثم وقف كي يغادر بعد أن استأذن من الجميع.

أوقـفه والـده لـيحتضنه بفخـر أبـوي وسـعادة، ثـم هـمس فـي أذنه:

ـ يفضحك تعجلك للذهاب إليها يا ولدي.

ابتسم له نعمان ثم اقترب ليهمس له كما فعل وهو يضع كفه موضع قلبه مُرددًا:

ـ أرى هذا يُشبهكَ كثيرًا يا ملكي العزيز.

حاول الملك الأبيض إخفاء ابتسامته أمام الملوك العِظام، وقد لاحت صورة «ڤيجا» أمامه ليزفر بضيقٍ من وَلعهِ بحارسة سماءٍ تُقطر لهُ العشق منذ سنوات دون جدوى.

نظر نحو ولده الذي اختفي من أمامهم، وجلس ليُكمل اجتماعهم ليتدبروا أمر الممالك ويُرسوا قواعد وقوانين جديدة تحميهم تحت ظل عرشٍ واحد بقيادة ولده الحبيب.

ذهب نعمان لغرفته القديمة، كي يبدل ثيابه وينظر بلهفة إليهانزع عنه ملابسه الثقيلة الممتلئة بالأسلحة، وخرج نحو شلال المياه الموجود على الجانب الشرقي للجبل الكبير، وقف تحت مياهه بانتعاش مُغمَض العينين، بينما أذناه تستمع لصَليل الماء عند اصطدامه بالأحجار في الأسفل، فتح عينيه وأخرج نفسًا عميقًا وهو يتخيل حُسنها الذي إحْتَالَ وامتلك قلبَه مُنذ رؤيتها، وبعد مرور سنوات زاد العشقُ في قلبه أضعافًا ولم يَقل أو يتناقصُ قيد أُنمُلة، انتهى وقد أضناهُ الشوق، ليعود لغرفته كي يرتدي أزهى ثيابه، نظر لهيئته الكاملة بقَبُولٍ، ثم انطلق نحو قصره.

وقف لبُرهة أمام البوابة الداخلية، وقد تمردت دقات قلبهُ لتصيح بتوقٍ ولهفةٍ حاول هو دحضها دون جدوى، فتح البوابة بأطرافِ أصابعه، وعيناه تبحث عنها في زوايا البهو الكبير بوجدٍ، بعد أن رأى مقعدها فارغ، ضيق عينيه وقد خلى القصر من الخدم، وهذه حادثة لم تحدث من قبل، بدأت نترات من القلق تتسرب لقلبه، وقد أغضبه هذا كثيرًا..

دخل بخطوات رزينة يتردد صداها في أركان القصر العظيم بأكملهِ، وقبل أن يفتح فمهِ ليناديها شاص بصوته الرنان، كانت هي خلفه تضع كفها على فمه، بينما هو يسمع نبضات قلبها الراكضة تضرب ظهره من الخلف،

همست في في أذنه جعلتهُ يبتسم بتوقٍ شديد لها:

ـ ششششش... لقد جعلت الجميع يرحل اليوم.

أغمض عينيه ورحل في عالم رائحتها العطرة التي تجعله لا يستطيع مقاومتها للحظة أخرى، التفت إليها ليحملها بخفة ويضمها لأحضانه، لتضيع هي في ثنايا عُنقه تُقبله بشوق قاتل، بينما هو يتلمس خصلات شعرها برقة، ويشتم رائحتهاً المميزة بقوة أنفاسه اللاهثة وهو يقول لها:

ـ كدتُ أن أموت من شوقي إليكِ يا حبيبتي.

طبعت قُبلةً رقيقةً على وجنته وهي تقول لهُ:

ـ وأنا أيضًا كذلك.

ثم لفت كلتا ذراعيها على رقبته، ليصعد حاملًا إياها الدرج نحو غرفتهما، وهو يُبدي إعجابه بشعرها:

ـ لقد طال شعرك بجمالٍ فوق جماله.

هزت رأسها وهي تبتسم قائلة:

ـ لقد توقعت أن يُعجبك حين رأيتهُ عبر المرآة في الصباح.

دفع الباب بإحدى قدميه، ثم وضعها بهدوء على الفراش، واستلقى بجوارها..

قرَّبها منه لتضع رأسها براحة على ذراعه، ففرد شعرها على الوسادة من خلفها برقة ولُطف، ثم وضع كفه على وجنتها، بينما وضعت هي كفها الصغير على عرقه النابض القاطن داخل عنقه، لتُمرر سبابتها على مؤخرة عُنقه برقة قائلة:

ـ عندي لك خبرٌ سيُسعدك كثيرًا.

أغمض عينيه ومرر إبهامه على صفحة وجهها قائلًا:

ـ لا يوجد سعادةٌ أكثر من ذلك.

ثم فتح عينيه لتُضيء بلونها الأزرق المُحبب لها وهو يشير نحو صدره قائلًا:

ـ لقد ملكتُ الدنيا حين أصبحتِ هُنا.

ابتسمت له بخجلٍ ما زال يستولي على حواسها حين تكون معه، أمسكت بكفِّه ثم وضعتها على بطنها وهي تنظر نحو عينيه بتركيزٍ تام، فهو مهما حاول إخفاء مشاعره، لا يستطيع أبدًا طمسها من عينيه، قررت أن تتركه يكتشف ما تحمله من نطفة في أحشائها، وسوف تراقب فقط ردة فعله، للحظة لم يفهم مرادها، ولكنه حاول تكذيب ما شعر به تحت كف يده، إيماءة من رأسها كانت تأكيدًا على ظنونه، شعر بقلبه يتمرد بدقات قوية تُنبئ عن سعادة احتلت جسده بأكمله، بينما تلونت عيناه بعدة ألوانٍ كانت دليل كافي لها عما يشعر به الآن، أخذت نفسًا عميقًا ليحتل الصمت بينهما ثوانٍ قليلة قبل أن ينطق هو:

ـ مُنذ متى؟!

عضت شفتها السفلى على استحياء وهي تجيب:

ـ عرفتُ بعد ذهابك للحرب بعدة أسابيع.

تهلل وجهه وظل يُمرر كفه على جميع بطنها برقة متسائلًا:

ـ عرفتِ نوعهُ؟!

ضمت حاجبيها بنزقٍ قائلة:

ـ هل سيُصبح هناك فارق؟!

رفع كتفه هنيه، ثم قَبل جانب فمها مرددًا:

ـ لا.. لا فارق لدي، لكني أريد فتاة بجمالك لتملُك جزءً صغيرًا من قلبي.

تذمرت بغضب ظهر على ملامحها:

ـ وهل هناك جزءٌ صغيرٌ لم أمتلكه أنا إلى الآن؟!

ضحك بملء فِيه، بينما هي تُطلق عليها نظراتها الغاضبة، ثم نزعت يدها التي كانت تلتف حول عُنقه، ليعيد ذراعها كما كان قائلًا وهو مازال يضحك بشدة:

ـ قلت ذلك لأرى ردة الفعل هذه.

رفعت حاجبها بحنق قائلة:

ـ ستكون فتاة، لكنك لن تُحبها وتُدللها مثلي، وإلا سأقسم ألا ألدها.

توقف عن الضحك عليها بشق الأنفس، ثم قربها لتلتصق بصدره، ليأخذ هو نفسًا عميقًا وهو يقول:

ـ أخشى ألا أعشقها وأهيم بها بقدرٍ صغيرٍ مما أمنحه لكِ.

ثم أنهى جُملتهُ بقُبلة على شفتيها أودعها شوقهِ ولهفته ورغبتهِ بها، لحظات كانت كفيلة بنزع ملابسهما في لقاءٍ قدَ ازدادت رغبته حين رأى أحدهما الآخر بعد شهورٍ عِجاف.

انتفض الإثنان بعد لحظات على صوت الملك الأبيض وهو يستدعي نعمان بصوتٍ مضطرب، نهض نعمان ليعتدل بغضبٍ ظهر على هيئة رعشةٍ طفيفةٍ في جسده، لتضع هي كفها على كتفه قائلة:

ـ يبدو أن هناك حدثٌ طارئ، فصوته مضطربٌ للغاية.

هز رأسه وهو يرتدي ملابسه على عجلٍ قائلًا:

ـ سأرى ما الذي حدث ثم أعود إليكِ على الفور.

جذبت الغطاء على جسدها العاري وهي تقول له:

ـ لا تقلق، سأنتظرك العمر بأكمله.

انحنى يُقبل رأسها قائلًا:

ـ أدامك لي العمر كله، حبيبة وعشيقة وملكة قلبي يا «هند».

ثم اختفى وقد اضطرب قلبه وتشوش عقله في توقعات كلها أسوء من بعض، وبصوته الجهوري نادى:

ـ يا شاص، احضر في الحال.

وقبل أن يُتم ندائه كان شاص يقف أمامه منحنيًا بتحيةٍ وإجلال:

ـ حمدًا لله على سلامتك، مُرني يا سيدي.

رد عليه نعمان تحيته بأحسن منها، ثم أمره في عُجالة:

ـ ضاعف حراس القصر ثلاث، ولا تتحرك من أمامه إلا حين عودتي، واستدعي «فاتح» و «بارئ» ليظلوا معك، ولا تترك سيدتك «هند» بمفردها ولو للحظة واحدة، أفهمت يا شاص؟

أحني شاص رأسه مرددًا:

ـ كما تريد يا سيدي، لكن هل هناك أمرٌ طارئٌ لكُل ذلك؟!

أجابه وهو يستعد للرحيل لوالده:

ـ لا أعرف.. ولكن لن يستدعيني الملك الأبيض بهذا التوتر إلا لمُصابٍ جلل، فكما أمرتك افعل.

أحنى شاص رأسه ثانية وهو يقول:

ـ لا تقلق يا سيدي، سأفعل ذلك على الفور.

خرج نعمان من القصر وهو يردد:

ـ اللهم سترك.



الفصل الثاني

بعدما اختفى بني النعمان ظهرت مويرا أمام شاص تسأله بقلق:

ـ ما الذي حدث؟!

نظر نحوها بقلقٍ بادٍ على وجهة مُجيبًا:

ـ لا أعرف، لكن هلع سيدي نعمان لا يُبشر بخير.

ثم أشار إليها آمرًا:

ـ اصعدي لسيدتي هند واخبريها أنني بعد دقائق سأكون في القصر مع الحرس كما أمر سيدي، فيبدو أنها لم تسمع أوامره تلك.

حركت رأسها بإيجاب، ليختفي هو من أمامها.

صعدت لغرفة هند تطرق على بابها من الخارج بوجل، قابلته هند بقولها:

ـ لحظات يا مويرا.

وقفت محنية الرأس قليلًا أمام باب الغرفة، حتى أذنت لها هند بعد ثوانٍ قائلة:

ـ تفضلي يا مويرا.

دخلت الخادمة على استحياء، وقد كسى ملامحها الحزن الشديد، ثم تقدمت لترتب الفراش وهي تقول لسيدتها باستياءٍ:

ـ هل تعرفين ما الذي حدث في مملكة الملك الأبيض ، ليلوذ سيدي بني النعمان بالفرار هاربًا من فراشه بعد دقائق قليلة من وصوله؟

جلست هند على مقعدها الموجود أمام نافذتها الزجاجية الكبيرة، وهي شاردةُ الذهن، تنظر للخارج بجزعٍ لم تشعر به من قَبل، تُمرر يدها فوق بطنها التي علت قليلًا بقلقٍ واضح، لتُخرجها مويرا من أفكارها السوداء التي توالت على عقلها قائلة:

ـ سيدتي هند، هل تسمعيني؟!

تنهدت بعُمق وهي تهز رأسها مرددة:

ـ أسمعك يا مويرا، وللإجابة على سؤالك.. فأنا لا أعرف شيئًا سوى أن الملك الأبيض استدعى زوجي الذي لم يمكث معي سوى دقائق معدودة كما ذكرتِ، ولم ينادِ بهدوءٍ، ولكن قصد أن يكون بصوتٍ فيه من الذعر والخشية ما جعلني أكاد أُجن لأعرف ما الذي حدث.

وقفت مويرا أمامها بارتياع لتُخبرها عما أمر به بني النعمان:

ـ لقد أمر سيدي بني نعمان شاص بأن يُضاعف الحرس على القصر، وأن يجلب معه بداخل القصر فاتح وبارئ.

نظرت هند نحوها وهي تُضيق عينيها بتعجبٍ لتُكمل مويرا:
ـ وأمره ألا تخرجي من غرفتك أو من القصر حتى عودته.

انتفضت هند بغضب، حوَّل وجهها لقطعة نارية لتردد وهي تتجاوز مويرا:

ـ الأميرة هند بنت الملك الأحمر ستُحبس في قصرها دون علمها حتى، ما هذا العبث الذي تتفوهين به!

ركضت مويرا خلفها وهي تنزل الدرج مثل لهيبٍ متنقل، لتجد شاص وأخويه يقفان أمام البوابة الداخلية بتأهبٍ كامل لشيءٍ مجهول.

تجاوزتهم باختفاءٍ سريع لخارج القصر، ليتبعها ثلاثتهم بذعرٍ كبيرٍ يحاولون إيقافها، نظرت مويرا للسماء، ثم توجهت للبابٍ الخلفي وهي تُطالع الاتجاهات حولها بريبة، ومنها لأعلى الجبل، لتجد أحدهم ينتظرها كي تُطلعه على ما حدث في الساعات القليلة الماضية، لتوافيه بما حدث بهمسٍ بالغ، وهي ترتعد حتى لا يراها أحدهم.

انتهت من نقل أخبارهم، واختفت لتظهر في القصر مرة أخرى، التفتت حولها لتتأكد من أنه لا يوجد أحد شعر بغيابها هذه الدقائق، التقطت أنفاسها بهدوء لتستدير نحو الدرج، وفي هذه اللحظة التي تدور بها اصطدمت بأحدهم وهو يسألها بصوته الجهوري المُخيف:

ـ أين كنتِ يا مويرا؟!

***

وصل نعمان لغرفة والده، ليجده يجول فيها يُمنة ويُسره.

وعند وصوله التفت الملك الأبيض لولده بوجهٍ حزين وهو يقول له:

ـ لقد عَرف (مامّون) الملعون عن سرنا.

احتقن وجه بني النعمان بحُمرة قانية، حتى نفث النار من فمه وهو يسأل والده:

ـ من الخائن؟!

حرك الملك رأسه مُرددًا:

ـ لا أعلم حتى الآن، لهذا استدعيتُك.

ثم رفع كفه ليُكمل:

ـ ولكني أظن أن زُمردة تعرف شيئًا.

تعجب نعمان لقوله، فسأله:

ـ ولمَ زمردة تحديدًا؟!

أجابه بحيرة:

ـ أتمنى أن يكون ظني في محله.

اقترب منه ليطمئنه:

ـ حسنًا سأتأكد منها على الفور، لا تقلق يا أبي سأحل كل شيء.

وفي هذه اللحظة شعر بها تقف خلفه،

نظر لوجه والده الغاضب، فتأكد من إحساسه بها، إنها حبيبته العنيدة، ذات الرأس الحجري، التي لا تُطيع الأوامر ولا تخضع لمخلوق، حتى وإن كان قلبها بيده.

التفت ببطء وهو يُضيق عينه استعدادًا لما سيُلقيه عليهم والده من وبال سباب وذم، فهو لا يطيق هند ولا والداها وقد أقسم عليه من قبل ألا تدخل مملكته، وهي الآن تقف في قصره، بل في غرفة نومه الخاصة!

لقد جُنت لأقصى حد.

زفر بضيق وهو يُسرع نحوها، لكن سرعته لم تكن كافية، فقد أطلق والده لسانه:

ـ من الذي سمح لكِ بدخول قصري وغُرفتي أيتها الحمقاء اللعينة.

أمسك نعمان ذراعها، ونظر نحو والده محذرًا إياه عن التمادي:

- يكفي يا أبي، سأخرجها من هُنا.

نظرات هند لم تكن جيدة نحو الملك الأبيض، ولكن ثبات جسدها الممشوق يُنم على قوة لا يُستهان بها.

انتقل نعمان بها لغرفتهم القاطنة في قصرهم البعيد عن الممالك السبع، الذي اتخذه للعيش به معها حين اختارها رغم أنف الجميع، وقفت أمامه بثبات، بينما هو يستشيط غضبًا من إصرارها الدائم على إحراجه، وعدم إطاعته .

حطم نعمان الغرفة، وأشعلها بلهيبٍ تصاعد في الأركان بأكملها، حتى أصبحت نارًا مُستعرةً، ظلت هند على وقفتها حتى هدأت نوبة غضبه قليلًا ليصرخ بها:

- لماذا تُصرين دومًا على عصياني، بل وتمردك الذي طال على أوامر أبي، كم من المرات قلت لكِ ألا تتخطي حدود قصرك، طالما ارتضيتني زوجًا لمَ تُصرين على مخالفة الجميع حتى أنا.

اقترب يُمسك ذراعها بعنف ليُكمل:

- أجيبي يا هند، لمَ تفعلين كُل ذلك؟!

نفضت ذراعها من كفه بقوة وهي تقول:

- هل أخبرت والدك الذي سبني في حضورك ولم تُحرك ساكنًا، عن حفيدته التي أحملها في أحشائي؟!

عيناه كانت تتوهج بغضبٍ ما زال بداخله، فعاد للخلف ليبتعد عنها قائلًا:

- أولًا: لم أتربى على أن أرُد أبي في شيء، ولو كان هذا على حساب كرامتي وكرامة زوجتي التي لم تُطِعني ولم تُطِع أبي الأكبر منها سنًا ومقامًا، وبل وتحدتنا نحن الإثنان دون أن يرُف لها جِفن،

ثانيًا: زوجتي التي تعصيني على الدوام لم تمنح لي فرصة للتحدث وإلقاء الأخبار على مسامع جَد طفلتي، ورؤية سعادته لمجيئها.

أطلقت هند ضحكة عالية ارتجت لها الغرفة رجًا، بينما ظل نعمان ينظر لها برباطة جأش ينتظرها حتى تنتهي من قهقهتها الساخرة.

اقتربت منه بعدما انتهت وهي تقول له بكل ثباتٍ وتحدٍ واضح:

- أولًا: أنا لم يربني والدي على أن أُطيع أوامرِ أي شخص أيًا كانت صفته دون إرادتي، ولم يربني أيضًا على تقبُل الإهانة أيًا كان من ألقاها، ولكن زوجتك التي تتهمها بالعصيان صمتت لأجل وجودك فقط،

ثانيًا: أنت لم تخبر والدك عن ابنتي، ولن تُخبره يا نعمان، وأنا واثقة مما أقول.

صك اسنانه بغيظ وهو يقترب منها ليقول:

ـ حسنًا يا هند، أنا لا أحب أبدًا أن أخلف ظنك، ولا أن أجعلكِ تفقدين ثقتك هذه.

ثم تركها واختفى ليظهر في الأسفل ليدَوِيّ صوته في جميع أركان القصر:

ـ لن أكرر أوامري ثانية.

ثم وجه حديثه لشاص وأخويه، وقد بدأ الجميع يرتجف من صوته الغاضب:

ـ لو حدثت هذه المهزلة مرة ثانية فلن أتركك ثلاثتكم إلا رمادًا باردًا على أرضية هذا القصر.

ثم تركهم محنين الرأس بخجل مما فعلوه، لتركهم سيدتهم تعصي أوامر صاحب القصر و قائدهم.

جلس على الأرجوحة التي تعتلي المياه الزرقاء الصافية، التي تمور من تحته، استند بظهره ينظر للسماء التي تمتلئ بالسُحب من فوقه، وهو يفكر في زوجته التي سمح لنفسه ولقلبه أن يعشقها رغم حدسه، تذكر كيف تزوجها من دون معرفة أبيه وقد تفاجأ جميع الملوك حينها،

زفر بضيق وهو يتذكر تحديه لأبيها الملك الأحمر وما فعله به وبجنوده حتى يحميها منه، وكل ما فعلهُ كان سببًا لتمرد أبيها وتركهم وقرر الرحيل بقبيلته بعيدًا عن الممالك، تنهد بألمٍ وهو يعود بذاكرته لوالدها الذي يكره والده لحب باقي الملوكً له، دومًا كانوا يُفضلون أرائه ويُطيعونه، ودومًا كان يُخالفهم الملك الأحمر، حتى قرر الجميع أن يجعلوا أحدهم يقود الممالك السبع في الحروب ليجمع شملهم ضد الشياطين المارده، حتى تتضاعف قوتهم ويصبحوا تحت قيادة رجل واحدٍ، ذو قوة وبأس، يستطيع توحيدهم والانتصار دون إراقةً الكثير من دماء أبنائهم، ووقع الخيار الأوحد على الملك الأبيض الذي يثق الجميع به، ويفضله الجميع، وبل ويستمعون لآرائه السديدة دون غيره، اعترض الملك الأحمر وقتها ورفض الانضمام إليهم، لرغبته في هذا المنصب، قرر أن يأخذ مملكته بأكملها ونقلها للطرف الثاني من الأرض، ليبتعد عنهم بقدر ما استطاع، وذلك لتخلي الملوك الخمس عنه، لأنه يلجأ للعنف على الدوام، لا يريد سِلمًا ولا حكمة ولا تريث، هو يعشق الدماء، ويستبيحها على أتفه الأسباب.

اعتدل نعمان في مجلسه وهو يشعر بضيقٍ شديدٍ من حبيبته، لقد ورثت طبع أبيها السيء، فقد اعترف الآن أن والده كان مُحقًا حين استدعاه بعدما فعله والدها وترك الممالك، طلب منه أن يترك ابنته التي كانت تدافع عن والدها دومًا، بل عادت الجميع من أجله رغم ترحيبهم بها بينهم..

تذكر بألم كلمات والده:

ـ ابنة الملك الأحمر لن تكون سوى نسخة من أبيها يا والدي، لا تغتر برقتها الحالية، فهي عنيدة حمقاء لا تفهم سوى الشدة والصلابة، ولا تملُك من لين القلب والقول ولو نُذرٌ يسير.

نظر للمكان حوله بتأثر، فهذا مكانه المُفضل الذي لم تطأه قدمها حتى الآن، كم من المرات التي أراد أن يأتي بها إلى هنا، ويقص لها حكاية هذا المكان الأسطوري، لكنه يتراجع في اللحظة الأخيرة، ولا ينفك عن سؤاله لنفسه، لماذا لم يثق بها قلبه ثقة تجعله يُخبرها أدق أسراره؟!

لماذا يخاف أن يجعلها ترى ظلاله الكثيرة؟!

ألم يعشقها منذ أن قرر أن يجعلها أمرأته التي تستطيع امتلاك قلبه!

ألم يتحدى والده وجميع أهله وعشيرته من أجلها، ألم يقف أمام الجميع ويقول بملء فيه،

«هند زوجتي أمام الله وأمامكم جميعًا، وإن مسها أحدٌ بسوءٍ حتى لو كان هذا السوء بالقول، فلن يحميه جنيًّا ولا شيطانًا ولا ماردًا من قبضتي».

ألم يحمِها من الجميع وأولهم والداها الذي أراد قتلها لأنها ذهبت إليه وتزوجته؟!

نزل نعمان لقاع البحر وهو مُغمض العينين يتذكر حروفها التي تُهدئه كلما غضب منها؛

«أنا أحبك يا نعمان، بل أعشقك كما لم تفعل جنية من قبل، ولم أملك يومًا أمنية سوى أن تكون لي، ولي فقط».

خرج من الماء يلتقط أنفاسه، لتتسارع دقات قلبه بقلق واضطرابٍ واضح، لم يمكث عدة ثواني في وقفته علىً الرمال حتّى سمع صوتها المُرتعب الضعيف يصل لأذنيه بصعوبة، لم ينتظر حتى يتبين الأمر، فانتقل لقصره على الفور، ولكنه لم يستطيع ولوج القصر بسبب الهالة التي صُنعت حوله، لم يُصدق ما يراه، لقد استولى أحد السحرة على قصره!

كيف فعل ذلك؟! كيف جرؤ على ذلك؟!

تقدم ليقتحم الباب بكل قوته، فارتد للخلف بدفعة كبيرة أوقعته أرضًا.

تملك الغضب منه وصنع كرة كبيرة من النيران ليقذفها على باب القصر الكبير، امتصت الطاقة الكرة النارية وبدلًا من أن تضعُف أصبحت أكثرَ قوة، صرخ نعمان بصوتٍ ملأ الجبل وما تحته، لتمر لحظات قليلة قبل أن يلتف جيشهُ حوله،

أشار للجميع أن يتبعوه، ورَأس هو الجيش ليقتحموا القصر جميعهم، إلا أن هذه القوة الخفية لم تضُعف بعد بشكل كافٍ، أشار بكلتا يديه ليتوقفوا عن الدفع، واختفى منً أمامهم لعدة ثوانٍ كانت كفيلة باصطحابه معه، وقف «الرَماح» بصلابةٍ، فأشار نعمان للجنود بالعود للخلف بمسافة كافية، ليرفع الرَماح كلتا ذراعيه في الهواء، ثم نثر نحو نحو باب القصر عدة شذرات من حجرٍ عقيق، ذو حبيبات لامعة، وبدأ يتلوا عدة تعاويذ مُركبة، استطاع بها محو الهالة المستديرة التي حاوطت القصر، دخل نعمان للقصر على عجل، وهو يبحث عنها كالمجنون، صعد لغرفته فوجد (مامّون) يجلس على فراشه، وبين يديه زوجته هند!

يقبض على عُنقها بكفه ذو الأظافر المخيفة، بينما تزرف هند دموع الخوف الصامتة بين كفيه، تحاوط بطنها بكلتا يديها برعبٍ واضح جليٍّ على وجهها، بينما يقف نعمان أمامهما بقوة وصلابةً ليتفقد الأمر قبل أن يرتكب فعل أحمق يعرض حياة زوجته وابنته للخطر، هز رأسه وهو يقول:

ـ ما تريده معي، اترك هند فأنت لا تحتاج منها شيء.

نظر مامّون لعُمق عينيه، ثم دفع هند على الفراش أمامه، ووقف قبالة نعمان قائلًا بصوته المُقزز:

ـ أنت على حق، فمسألتي معك.

ثم اقترب منه هامسًا:

ـ ولقد نفذت ما أردته يا قائد جيوش المسلمين.

وقبل أن يُدرك نعمان الُلعبة، اختفى مامّون من أمامه، ليظهر خلف هند مرة أخرى، وقبل أن يُمسكها بني النعمان، طعنها مامّون واختفى.

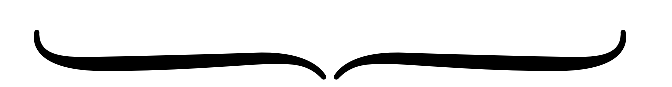
صرخ نعمان بالجنود حين أدرك خُدعته، فكل ما فعله كان ليظهر له الرَماح!

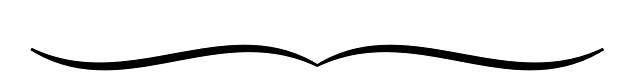
كرر نعمان ندائه:

ـ خذه يا شاص أنت وأخويك بعيدًا

ثم انحنى ليحمل هند التي تنسال الدموع من جفنيها على ذراعيه وهي تقول له بوهنٍ:

ـ ما عليك سوى أن تنقذ ابنتنا فقط يا نعمان، أرجوك.





الفصل الثالث

حملها نعمان على ذراعيه ناقلًا إياها للحكيم وهو يصيح بجميع الحكماء ليتبعوه، التف الجمع حولها ليبتعد هو حتى ينقذونها، وقف بتوترٍ بالغ وقلبهُ ينفطر حُزنًا على حبيبته وابنته التي طالما تمناها، والتي لم يفرح بوجودها سوى سويعات قليلة، أخذ نفسًا عميقًا وبصوتٍ مضطربٍ قال لهم:

- هند تحمل ابنتي، أرجوكم انقذوهما معًا.

أحد الحكماء ألقى عليه نظرة فهمها نعمان على الفور، وضع يده على رأسه بوجع لا يُحتمل، ليردد بوهن يُعبر عن الحزن الذي يحمله في جنبأته:

- سأختار هند.. لا تتركوها أرجوكم.

وفي هذه اللحظة دخل الملك الأحمر بجنوده الذين احتلوا الغرفة، وقف نعمان أمامه والشرر يتطاير من عينيه قائلًا:

- ما الذي جاء بك إلى هنا؟!

دفعه الملك الأحمر في صدره، ليرتد للخلف وهو يقول له:

- جئت لآخذ ابنتي.

وقف الحكيم أمامه آمرًا إياه:

- نحن نحاول إنقاذ حياة ابنتك أيها الملك، فتنحى جانبًا حتى ننتهي،

وقف الملك الأحمر مثل الحائط الصلب أمامه قائلًا:

ـ سأخذ ابنتي الآن وأنا كفيلٌ بعلاجها..

ثم نظر نحو بني النعمان ليُكمل:

ـ وحمايتها

الغضب بدأ يتصاعد لرأس نعمان فوقف أمام الحكيم وهو يشير له كي يُكمل عمله، لتتجلى نبرة صوته الحازمة، مع نظرات عينيه القاتمة وهو يخبره:

ـ ابنتك تحمل ابنتي، فلا داعي لهذا التفاخر.. أنا لا أريد حربًا مع ملك من ملوك المسلمين،

فيأيها الملك الجليل فضلًا أن تأخذ جيشك من هنا وتترك الحكماء ينتهوا من عملهم، وحين تُصبح ابنتك بخير سأسمح لها بالقدوم إليك.

لم يعقب الملك الأحمر على حديثه، بل أشار لجنوده بإيماءة من رأسه فهموها على الفور، فانطلقوا نحو الحكماء ليتكاثروا عليهم لكل حكيم عشرة جنودٍ من العفاريت، أما بني النعمان فكان نصيبه مائة رجل، قاوم نعمان رغبته في حرق الجميع، ولكنه ولكنه تماسك لأجل زوجته وابنته، نظر نعمان للملك الأحمر برجاء ولأول مرة في حياته يترجى أحدهم:

ـ أرجوك لا تفعل..

لم يُعِره اهتمامًا وحمل ابنته وهو يقول له:

ـ لقد تُوفيت ابنتك في أحشائها بسببك، لذلك لن أترك ابنتي لتموت من أجلك أيها القائد العظيم.

ثم اختفى من أمامه ومن خلفه جنوده بأكملهم.

وقف بني النعمان بحيرة تقسمه نصفين، أيذهب لينقذ الرَماح الذي لو وقع تحت يد مامّون فسيهلكون جميعًا، أم يذهب لوالد زوجته ويغور عليه بحرب تجعله يُدرك مع من يتعامل، لم تمُر لحظات حتى قرر ما ًالذي يجب عليه فعله، انتقل على الفور هو وجنوده من خلفه، لمملكة الملك الأحمر، فزوجته لها الأولوية الآن وليذهب الجميع للجحيم.

وصل للمملكة التي اجتمعت كل جنودها أمامه في لحظة وصوله، بدأت الحرب بينهما تتصاعد لأوجها، حتى اضطر الملك الأحمر للمشاركة، واختار بني النعمان ندًا له حتى يُفرغ به ما توغر به صدره، فلولاه هو ووالده لما ترك أرضه وأُجبر هو وعشيرته بأن يُنفوا بعيدًا عنهم، حاول بني النعمان أن يتفادى ضرباته فقط دون أن يهاجمه، كان يبتعد عنه بمراوغة حاول بها أن لا يمسه الملك الأحمر الواضح له أنه في شدة الاحتدام من الغيظ،

مرت دقائق قليلة حتى وصل الملك الأبيض يلتف حوله الجنود المخلصين والمُقربين له، وقف في المنتصف بصوته الجهوري:

- توقفوا

ليتجمد الجميع عدا الملك الأحمر الذي استغل ثبات بني النعمان وكاد يطعنه، لولا وقوف والده أمامه ودفعه للملك الأحمر في آخر لحظه، وقع الملك الأحمر أرضًا وعيناه تُضرمان النيران الحارقة، وهو ينظر لظهر الملك الأبيض الذي وقف ليقول لابنه:

- خذ جنودك واذهب للرَماح قبل أن يصل له مامّون، فشاص وأخويه لن يصمدا كثيرًا معه.

نظر له نعمان بأسى، فربت أبيه على كتفه وهو يطمئنه:

- لا تقلق على هند، سأعيدها لبيتها في أمان، وحين تعود لقصرك ستجدها تُزين فراشك.

نظر له بني النعمان نظرة شُكرٍ، وانتقل لرَماح الذي وجده يجلس في غرفته السرية يطالع كتابه الكبير، وهو يقف أمام قِدرٍ موضوعٍ أعلى شعلة نارٍ كبيرة، وخارج الغرفة يقف شاصٍ وفاتحٍ وبارئٍ يغطون الباب السري للغرفة، حتى لا يجدها مامّون،

لكن الوقت أصبح قليل للغاية حتى يصل إليهم مامّون وساحره (يعقوب) الذي يلازمهُ.

فكر نعمان قليلًا وهو يدور في الغرفة ليكتشف أنها لن تحميهم بشكلٍ كبير من قبضته، لكن اهتمام الرَماح بما يفعله داخل القدر، جعله يطمئن قليلًا بأنه سيحمي نفسه بشكلٍ جيد، شعر بقُرب مامّون منه فنظر نحو الرَماح قائلًا:

ـ لقد اقترب مامّون ويعقوب منا، أما زلت تريد بعض الوقت؟

توترت ملامح رَماح وهو يقول لبني النعمان بصوتٍ مضطرب:

ـ نعم أريد القليل بعد.

اقترب منه بني النعمان ليربت على كتفه ليطمئنه:

ـ حسنًا لا تقلق؛ خذ كُل ما تحتاجه.

ثم انتقل للخارج ليؤكد على شاص وأخويه آمرًا:

ـ إياكم ومواجهة مامّون ويعقوب أبدًا، حين تجدوهم عودوا للقصر على الفور.

أومأ له الثلاثة بانحناءة طاعة، ليتركهم ويعود لرَماح، وفي هذه اللحظة كان مامّون يخلُفهُ يعقوب أمام باب الغرفة السرية يحاولون الولوج بداخلها.

وقف نعمان خلف الباب من الجهة الأخرى، وظل يصنع دوائر صغيرة بداخلها بضع كلمات من تعويذة التحصين، وآية من السورة الخاصة بطرد مامّون والسيطرة عليه، انتهى من كل الدوائر ووضعهم داخل دائرة كبيرة كتب فوقها اسم السورة وعدد تكرارها في هذه الدوائر، وهنا أضاءت الدائرة باللون الأزرق المائل للحُمرة، وهنا أشار لرَماح أن يتوقف على الفور فيما يفعله، أطاعه الرَماح وتوقف عن إتمام التعويذة، ولحسن الحظ راودته فكرة عما يستطيع فعله بيعقوب.

أما عن يعقوب فقد كان ينثر مادة خضراء اللون على أرضية المنزل ليتبين له آثر الجن اللذين اختفوا منذ ثوانٍ قليلة، وبالفعل حدث ما كان يريده، تتبع آثار أقدامهم حتى وجدها تنتهي عند أحد الجدران، عَلِم على الفور مكان الباب السري، وفي هذه اللحظة بدأ يصنع تعويذته الخاصة على الجدار أمامه، كانت عبارة عن مثلث تحاوطه دائرة، وفي كل ركن من أركانه يضع فيه رمز لكلمة مقلوبة، حتى أضاءت الدائرة باللون الأسود، نثر عليها رمادٍ خاصٍ أخرجه من حقيبتهُ القُماشية السوداء، ليَظهر الباب السريّ أمامهم واضحًا جليًا.

وهنا رفع مامّون يده تجاه الباب، واقترب ليدفعه بكفه فانفتح على مِصرَاعيه، وهنا نظر الإثنان لبعضهم البعضُ بحنقٍ كاد يفتكَ بِهم!

هذه لم تكن الغرفة السرية على الإطلاق؛ بل كانت فخ!

صاح مامّون بيعقوب:

ـ أنتَ ساحرٌ غبي، وإن لم تجد لي هذا الملعون على الفور سَأنهي حياتك في التو.

نظر له يعقوب بقوة لا يُستهان بها، ثم تقدم منه بضعة خطوات وهو يقول له:

ـ لا تُهددني يا هذا، فقوتك التي تَختَال بها؛ أنا من أمنحك إياها.

نظر نحوه مامّون بغيظ ولم يستطيع التمادي معه، فهو مُحق؛ لولا الضحايا الذي يقدمهم له يعقوب ليُغذي بداخلة خطيئة الطمع، لضَعُفت قوته وانتهى أمره، لكنه أيضًا لو لم يحصُل على الرَماح وما يملُكه، لن يستطيع الصمود بقوته هذه لمدة كبيرة.

لاَن صوته حتى يُصلح قليلًا مما أفسده:

ـ جد لي الرَماح وستحصل على مكافأة لم تحلم بها مِن قبل يا يعقوب.

لمعت عين يعقوب فهو مثل أميره؛ الطمع خطيئته الوحيدة التي تجعله يعيش عبَدًا حتى يحصُل على ما يريد.

خرج من الغرفة المُزيفة، وهو يبحث ثانية عن أي أثر يُدله على باب الغرفة الحقيقية، مُتمتمًا لتعويذة الإيجاد بصوت مُرتفع، صوت طرقعة جاءت من أحد الجدار الداخلية، تتبعهاً يعقوب ومن خلفه مامّون، حتى وجد ضالته، باب ضبابي يظهر من خلاله تعويذة إخفاء بداخلها أخرى للتضليل، نظر مامّون بغضب وهو يردد:

- بني النعمان!

انتهى يعقوب من عكس التعويذة بنجاح، واستطاع الإثنان الدخول للغرفة، وجدوا الرَماح يقف وبجواره بني النعمان، وعلى وجهيهما ابتسامة استهزاء، ليتحدث بني النعمان بنبرته المعهودة:

- أنرتم المكان بأكمله، أتريدون شيئًا؛ فنحن نستطيع المساعدة.

رمقه مامّون بحقدٍ يشتعل بداخله، وهو يقول له:

- اعطِ لنا ما نريده، وسنتركك تعيش بمأمن.

قهقه بني النعمان بصوتٍ عالٍ مرددًا:

- يا له من كرمٍ لا أستطيع تحملهُ ولن يسعني ردُّ هذا الجَميل.

نظر له يعقوب بتحدٍ واضح وهو يردد بعضًا من تعويذة الأذى الخاصة بالجن المسلمً، لكنه وجد بني النعمان يقف كما هو، ينظر نحوه بابتسامةٍ عريضة وهو يقترب منه، فاهتز يعقوب من اقترابه، ليصنع حوله هالة تحميه منه.

وقف مامّون بين يعقوب وبني النعمان ينظر له بحقدٍ يشتعل بداخله، دفعه بكلتا يديه بكل قوته، فارتطم جسد بني النعمان بالجدار، ولكنه بدلًا من أن يقع على الأرض، ارتفع للأعلى وتوجه نحو مامّون الذي ارتفع معه حتى يبدأ القِتال بينهما، ليُمسك بني النعمان برقبته ناقلًا إياه لمنطقة في وسط الصحراء، تاركًا رمَاح يتدبر أمر يعقوب، فقد منحه نعمان الوقت الذي أراده ويزيد.

بدأ قتال الساحرين بتعاويذ متواتره، فتارةٍ يستطيع يعقوب السيطرة على الرمَاح وتارة يؤذيه الرمَاح بشكلٍ سيء،

مما جعل يعقوب يغضب بشدة ويحاول مرة أخرى أن يسيطر عليه حتى يجد ما جاء من أجله، ويستولي عليه..

وفي هذه اللحظة وجد الرمَاح ملاذه، اعتلىَ وجهه ابتسامة انتصارٍ مقدمًا، ثم قبض على كف يعقوب بقوة جعلت الأخير عاجزاً عن تحرير كفه، ردد الرمَاح تعويذته المُنقذة التي جعلت مامّون يتوقف عن القِتال مع بني النعمان، ليُمسك رأسه صارخًا:

ـ توقف أيها اللعين.. توقف.

علم نعمان على الفور أن خطتهم نجحت..

اختفى مامّون من أمامه، فتبعه بني النعمان عائدًا للغرفة، رآه يقف على أعتابها يصرخ بيعقوب كي ينقذه، لكن يعقوب كان عاجزًا عن فعل شيء، فقد أجبره رمَاح على اتباعه ولا يعرف كيف فعل ذلك!

وبصعوبة بالغة بعدما ظل مامّون يصرخ من الألم وهو يترجى الرمَاح:

أرجوك اتركنا كي نرحل، وأعدك لن نعيدها ثانية.

اقترب نعمان منه شامتًا:

ـ لا نأخذ وعدًا ولا عهدًا من شيطانٍ يا مامّون.

ثم اقترب من الرمَاح هامسًا:

ـ زِد في تعذيبه قليلًا بعد، ثم اترك له مجالًا للهرب.

فعل الرمَاح ما أمره به، ليزداد صراخ مامّون أضعافًا، بينما ظل يعقوب عاجزًا عن تخفيف بعضًا من آلامه، وذلك لأن قوته تضعف بضعف شيطانه، وقوة شيطانه تضُعف كلما فقد شهوته التي تغذيه، فهي دائرة متصلة واستطاع الرمَاح بمُساعدة بني النعمان أن يخترق هذه الدائرة ويقتنص الفرصة لتعذيب كليهما بالعجز.

بعدما تأكد الرَماح وبني النعمان أنهم لن يستطيعوا الصمود أمامهم الآن، وكل ما سعى إليه يعقوب و مامّون لن يعود عليهما إلا بالأذى، لذلك أشار بني النعمان لرمَاح حتى يتوقف، ثم اقترب هو من مامّون الذي يلتقط أنفاسه بصعوبة من الألم.

أخرج بني النعمان خنجر خاص بالشياطين، يحوي تعويذة أذى طويلة المدى، ثم رفع رأس مامّون بيده للأعلى، ليطعنه طعنة صرخ مامّون على إثرها، بينما همس نعمان في أذنه:

- أنا لستُ خسيس مثلك كي أطعنك من الخلف كما فعلت بزوجتي.

ثم أخرج الخنجر وطعنهُ مرة أخرى بشكلٍ أقوى وهو يَنظر في عَينيه، بينما وقف رمَاح خلفه مسيطرًا على يعقوب الذي يَصيح مع كل طعنة لشيطانهُ.

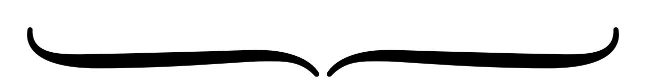
نظر نعمان للرمَاح ففهم الأخير مَقصده، ترك الرمَاح يد يعقوب ووقتها استطاع مامّون أن يأخذ يعقوب بما تبقى له من قوة واختفى الإثنان من الغرفة في لحظات.

ترك نعمان الرمَاح وهو يشكره على مساعدته الكبيرة له، وانتقل نحو منزله الذي وجده فارغًا إلا من شاص وأخويه؛ أخبره شاص بتوترٍ أن هند لم تَعُد بعد.

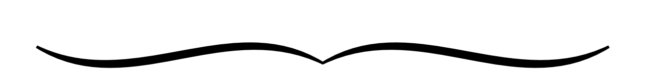
لم ينظر ولو لحظة واحدة، وانتقل من منزله نحو عشيرة الجن الأحمر، وهو يحاول أن يُسيطر على غضبه وقلقه معًا،

فوجد والده يقف في مقدمة جنوده وعلامات الحزن ترتسم على وجهه، تعالت نبضات بني النعمان وهو يقترب من والده ببطءٍ شديد، فوضع الملك الأبيض يده على كتف ولده وهو يُردد بأسى:

ـ البقاء لله يا ولدي.. لقد انتقلت هند للرفيق الأعلى .



الفصل الرابع



ماتت هند!

ماتت فاتنتهُ التي عشقها منذ أن وقعت عيناه عليها، امرأتهُ التي تمزجُ النارَ بالسحر، والجمالَ بالقوة، والذكاءَ بالرقة والحنان، خلطتها السرية والسحرية التي أسرتهُ، تمتلك عَاطفةً وقلبًا عاشقًا لم تسلمهُ لأحدٍ سواه، بها من الكبرياء والعِظمِ والصلابة ما تستطيع بهم قيادة جيشًا لا يُقهر.

امرأتهُ التي تصبُغ الغرور بصِبغةٍ تجعلُها مُدللته التي لا يملُك أمامها سوى الخْنوع، لتجذبهُ بصوتها وبراءتها اللتان تَظهران أمامه حين يغضب؛ فتتلاشى هيمنته وصرامتهُ ليُمسي بين يديها كالطفل الصغير الذي لا يرجو سوى رضاها.

تلك العِفريتة الضئيلة المُشاكسة، التي لم تستطع السيطرة على غضبها، لتفعل ما لا يخطر على بال أحدٍ، بجراءةٍ متناهية..

حينها طلب منه والده أن يُخفيها بعيدًا عن قبائل المسلمين، حتى لا يَعثُر عليها أهل و تلاميذ الساحرُ الكبير الذي قتلته بأسوأ تعويذة يُمكن أن تَقتُل بها جنيّ.

اتفق الملوك فيما بينهم أن يسوون الأمر مع قبيلة (الشنفري)، ويدفعون لهم دية القتل الخطأ، فهي في نظرهم ما زالت شابة صغيرة، تصرفت برِعونة دون قصدٍ منها..

أما عن (قبيلة الشنفري)

فهم قادة السحرة المسلمين في قبائل الجن السبعة، يملكون كُل مفاتيح السحر القديم، هم من فصيلة الغيلان، ألوانهم تميل للأسود القاتم، وهم يتلونون بأي هيئة يريدونها، لهم في كل ديانة قبيلة، وفي قبائل المسلمين يسمون (الشنفري) وظيفتهم مساعدة الجن المُسلم كي يتعلم السحر الذي يحميه من سيطرة الساحر الأسود سواء من الجن أو الإنس، حتى لا يُصبح عبدًا له، وبعضهم يُتقن أعمال السحر الشنفري، وهو خاص بكبارهم والمتميزين منهم، ولا يستطيع أحدٌ سوى الغيلان، تحمُل هذا النوع من التعاويذ، ولذلك سُمي على أسم جدهم الأكبر، ومن يُتقن هذا السحر الخاص لا يستطيع شيطانًا السيطرة عليه ولا محاربته، ولذلك طلب الملك الأحمر من أحد كُبراء هذه القبيلة، وهو الساحر العظيم (عادور) أن يُعلم ابنته هند السحر الشنفري، فلم يتعلمه أحدٌ خارج خارج قبيلة الغيلان هذه سوى بني النعمان، ولد الملكُ الأبيض، فأخبره (عادور) أن هذا النوع من التعاويذ مؤذ وخطيرٍ للغاية، فمن يملُك قلبًا وإيمانًا ضعيفًا سيلقى حَتفهً على الفور.

وهنا أصر الملك الأحمر على قبول ابنته على يديه، وأخبره أنها قويةٌ بما يكفي لدراسة هذا النوع من السحر، لكن حين قرر عادور معاقبتها بشدة لعنادها معه، وكونها عَرَّضت الجميع للخطر في وقتٍ حرج،

حينما قامت باستدعاء أحد الشياطين الأقوياء لتفرض سيطرتها عليه، فما كان منها إلا أن قتلت مُعلمها بأحد التعاويذ الخطيرة على غفلة منه.

ذهب بني النعمان الشاب الذي يتميز بالشجاعة والشدة، أقوى عفريت في قبائل المسلمين وأكثرهم حكمة ومراوغة، لقبيلة الملك الأحمر ليقابله الأخير دون اهتمام، وهو يُقيِّم هيئته بعدم اقتناع، لكنه لم يجد حلًا آخر إلا أنَّ يُخبره عن مكان تواجد ابنته التي يُخفيها بشكلٍ مؤقت عن عيون (ساتور) أخو الساحر العظيم (عادور) الذي قتلته هند متعمدة لإيذائه لها.

نظر له الملكُ الأحمر بتشكك، فهذا الشاب شكله صغيرٌ في السن، ولا يُصدق كل ما يُقال عنه داخل الممالك وخارجها، فهذا العِفريت الصغير كيف يهابه ملوك عِظام من الجن، وبرغم شعوره بالحقد تجاهه، إلا أنه لا يستطيع الوثوق إلا به، فرغم ما سمعه عن قوته وبأسه، إلا أن أكثر ما يتداول عنه، أنه رجُلًا أمين وذكي، ويستطيع أن يحافظ على ابنته، حتى يتم الصُلح بينهم وبين قبيلة (الشنفري).

حرك بني النعمان رأسه بتحية مُبجلة للملك الأحمر، فدعاه الأخير لغرفته السرية الموجودة في القصر، ورغم إحساس الملك الأحمر بالغضاضة تجاهه، وعدم ارتياحه بأن يعرف بني النعمان مكان غرفته السرية،

إلا أنه لم يستطيع البوح بمكان ابنته في أي مكان في المملكة، فالجن الطيار يملُك نصف الجزيرة التي يَسكن بها، وهو لا يأمن منهم أحدًا، فهم صنفٌ يبيعون أي شيء لأجل المال والسحر.

انتقل بني النعمان للجزيرة التي تَتَوارىّ بها هند، جزيرة (إيكارما) قُرب المُحيط الهادي، جزيرة غير مأهولة لا يَسكُنها أحدٌ من البشر، بيضاوية الشكل، تتكون من بركانين طبقيين، تنطلق بها الحُمم في جميع الاتجاهات من القمة المركزية إلى أسفل، وهذه تُعتبر بيئة مُفضلة للجن.

وقف بني النعمان في منتصف الجزيرة النائية، وأخذ نفسًا عميقًا، جعلهُ يتأمل قليلًا ويصفي ذهنهُ، ثم أغمض عينيه ليستشعر وجودها الأثيري، فما عرفه عنها هو أنها تُجيد الاختباء من الجن، لكن من السهل على سحرة مُخضرمين كالمعدودين على قبيلة الشنفري أن يعثروا عليها.

رفع زاوية فمه بابتسامة مُشرقة، حين حدد موقعها على الجزيرة، وتحديدًا تحت الماء!

ردد بهمسٍ داخلي وهو يتغلغل داخل الماء بهدوء دون إصدار أدنى صوت:

- هذه المتهورة تتسم بالذكاء.

وقف خلفها وهي تبحثُ عنه بعينيها في قاع الجزيرة، تلتصق بصخرة كبيرة من ظهرها حتى لا يُباغتها أحدٌ من الخلف، جلس بني النعمان على أعلى الصخرة وهو ينظر نحوها بإعجابٍ، ليقول لها:

- كان يجب أن تُؤَّمني مكانًا أفضل من ذلك، أستطيع الإمساك بك من أعلى، وصدقيني لن تستطيعي مقاومتي.

نظرت نحوه بشراسةٍ وهي ترتفع تجاهه كبركانٍ ثائر، ليبدأ الإثنان في نزالٍ شرسٍ وقويٍ للغاية، وبعد قليل استطاع بني النعمان أن يسيطرَ عليها، وهو يُمسكها بقوة بكلتا يديه، ليحاوط جسدها المتمرد بشدة، وهو يقترب من أذنها قائلًا :

- هيا بنا للأعلى يا هند، أنا لست عدوًا لكِ.

ظلت تتململ بين يديه وهي تصرخ عاليًا،

فتركها وصعد بعدما أيقنت أنها لن تستطيع الصمود معه.

جلس نعمان على صخرةٍ كبيرةٍ ثابتةٍ على الشاطئ، يصطدم بها المُحيط من جميع الجوانب، ظهرت هِند بجواره وهي تنظر نحوه بتَعُجبٍ قائلة:

- من أنت؟!

أمال برأسه لليمين، وهو يُدقق النظر لوجهها الذي أسره بجماله، ثم أجابها ببشاشة وجه:

ـ أنا بني النعمان.. ابن الملك الأبيض وقائد جيوش المسلمين.

اندهشت للحظات، ثم قالت له وهي تقف أمامه تحاول إخفاء لهاثها من الإجهاد الذي نالته بسبب قتاله:

ـ لقد سمعت عنك كثيرًا؛ ولكن من بعثك إلى هُنا؟ ولماذا؟!

أجابها وهو يقف على رأس الصخرة، ويتفقد الجزيرة من حولهم:

ـ والدك هو من أخبرني بموقعك، ولماذا؟ كي أحميك من قبيلة الشنفري وانتقامهم.

وقفت أمامه تُحدق به بحنقٍ قائلة:

لقد قتلتُ كبيرهم في غمضة عين، ودون مجهودٍ يُذكر،

فمن أخبرك إذًا أنني أحتاجُ لحمايتك!

التفت ينظر لها بتحدٍ، ثم زم شفتيه مُرددًا:

ـ أذكُر أنني تغلبت عليكِ في قاع المحيط منذ قليل.

ثم اقترب منها ليُكمل بصوتٍ خافت:

ـ وكان بإمكاني أن أفعل بكِ ما هو أسوء من الموت.

أخفت غضبها من كلماته المُبطنة، وبردة فعلٍ استعجب لها، دنتَ منهُ حد الالتصاق وهي تنظر لعُمق عينَيه اللتان تلونتا بالأزرق القاتم، وبهمسٍ جعلهُ يبتلع ريقه بصعوبة قالت لهُ:

ـ وما الذي أردت فعله بي أسوء من الموت يا قائد جيوش المسلمين؟!

ثم شهقت بخفة وهي تتعمد لمس ذراعه القوية، قائلةً قُرب أذنيه:

ـ أم يجب عليّ أن أناديك نعماااان.

تأثر بقُربها كثيرًا، كما لم تفعل أنثى قبلها، فلم تجرؤ أحدهم في الاقتراب منه إلى هذا الحد.

التقط أنفاسه بقوة وتماسُك.. متغافلًا عما تفعله خلف ظهره، ليبتسم لها وبحركة سريعة أمسك بذراعها التي كتبت بها تعويذة على ظهره، ظنًا منها أنه لم يشعر بما تفعله من خلفه، بسبب قُربها منه بهذا الشكل الحميمي.

أمسك كلتا ذراعيها بقضبة واحدة، وقبل أن تنطق تعويذتها التي عرفها وهي تنقشها على ظهره، لفظ بعض الجُمل المُضادة التي أصمتتها في الحال، ثم ترك ذراعيها وأبعدها عنه لتُصبح حُرة.

نظرت له هند بعينين قاتمتين وهي تتقافز بغضبٍ لم تَشعُر به من قبل، فقد جعلها خرساء لا تستطيع حتى فتحَ فمها.

قهقه عاليًا وهو ينظر نحوها بجسدها الضئيل بالنسبة لهُ،

وهو يهتز من الانفعال، ثم حملها عنوة على كتفه، وذهب بها لأحد الكهوف الموجودة بباطن الأرض،على هضبة (سلماه).

دلف بني النعمان من مدخل يُدعى (الحُفرة السابعة)، وانطلق منها لموقع يُسمى (مجلس الجن) في هذه المنطقة تحديدًا، قام بني الَنعمان بتأمينها من قبل أن يأتي إليها.

وضعها برفق على أحد الصخور، وانطلق ليؤمن فتحة الكهف العُليا بعدة تعاويذ، منها للحماية، وأخرى للتحذير.

ثم عاد إليها فوجدها تكفكف دموعها سريعًا، وهي تنظر له بحقدٍ ألمه كثيرًا، فهو قد شعر أنها شخصية فريدة، وليس لها مثيل، فلم تُخلق قبلها فتاة تأسر قلبهُ من النظرة الأولى مثلها..

جلس بجوارها وهو يقول لها بتأثر:

- لم أبغض في حياتي سوى الغدر والخيانة يا هند، الصفة الوحيدة التي لا أسامح فاعلها قط، حتى لو كان أبي أو أمي.

نظرت لهُ نظرة ندم جعلتهُ يُكمل:

- أتدرين أنني أستطيع مُسامحة الكَاذب على عكس الكثيرين؟

اندهشت قليلًا من حديثه، ليمرر كفه على فمها برقة جعلت شفتيها ترتعش تحت سبابته وهو يقول:

- وذلك لأنني أعلم أنه إن كذب فلأمرين، إما خائفًا من غضبي، أو خائفًا من حزني، وفي كلتا الحالين أستطيع مسامحته، أما الغدر والخيانة فلا يفعلها خائفٌ على الإطلاق، فهو إما غاضبٌ ويريد الانتقام، وإما يرغب في إيذائي، وفي الحالتين لن أرحمه.

اقترب منها أكثر وهو يقول لها بخفوت:

- ولكني سأسامحك هذه المرة..

أكمل وهو يحدق بها بجدية جعلتها واثقة مما يقول:

- هذه المرة فقط.

ثم تركها واختفى لتقف هي تتنفس الصعداء وتصرخ بحنقٍ بعدما حرر صوتها..

فهي هند التي لم يستطيع أن يسيطر عليها أحدٌ قبله بهذا الشكل المُهين لكبريائها، كيف تَمكن هذا الجني منها بهذه السهولة، أعادت صراخها الغاضب بشدة، لقد قيدها، وأخذ صوتها، وعكس تعويذتها في نفس اللحظة التي ظنت بها أنها تحكمت به!

فكيف فعل ذلك !

توقفت عن الصراخ وهـي تلتفُ حول نفسها بسخطٍ، وتُعيد على عقلها مـع حدث مـع هـذا العفريت فـي الثوانـي التـي أذاها بها.

قررتُ أنِ تترُك هـذا الكهف في الحال، فـهي لـن تـمكُث مـع هذا الخَسِيسُ لحظة واحدة، حتى لو كانت هذه رغبة والدها، ورغم شعورها بأنـها بالفعل أخطأت بحقه، ولو كان عفريت آخر لما حررها بهذه البساطة، إلا أنـها بعنادها حاولت أن تخـرج مـن الكهف فـوجدتـه يـحاوطـه بـتعويذة حـمايـة، زفرت بضيق وهـي تصُك أسنانـها بغيظٍ مرددة:

ـ يتحداني هذا الخبيثُ للمرة الثانية!

حسنًا لنرَ من سيربح هذه المرة..

حـاولـت إبـطال الـتعويـذة عدة مـرات حـتى نـجحت فـي فـتح الكهف، خرجت منه سريعًا، وانتقلت لإحدى الأماكن الخاصة بها التي لا يعرفُها أحد، أو هكذا ظنت.

عاد بني النعمان يحمل كثيرًا من الطعام، حتى لا يخرجوا من لعدة أيام، إلى أن يأتيه رسالة من والده أن الأمور قد حُلت، وبمجرد أن وضع قدمه بالداخل، عرف على الفور أنـها هربت منه، هتف بصياحٍ هز الكهف من حولهِ:

ـ هند
لحظات حاول بها تهدئة نفسهِ قليلًا حتى يجد حلاً سريعًا، عض شفتيه السُفلى باهتياج،

ثم انحنى يلتقط بعضًا من التراب الذي كانت تضع قدميها عليه، ثم جلس وأغمض عينيه وسحب كثيرًا من الهواء داخل رئتيه، ثم بدأ يردد تعويذة للتتبُع، نثر التراب في الهواء بهدوءٍ وبُطءٍ شديدين، لتسقُط الرمال بشكلٍ مُخزي، يؤكد أنه ما زالَ غاضبًا، أخذ حفنةَ الرمال في كفِه، ليضغط عليها حتى اشتعلت نارًا من أثر اهتياجه، زفر بقوة جعلت الهواء يُصدر صريرًا من حوله، حتى شعر بالهدوء يتغلغل داخل صدره، وهنا حاول مرة أخرى بهدوء وروية وبشكلٍ أكثر بُطئًا، وفي النهاية؛ توقفت الرمال في الهواء لتصنع صفًا متعرجًا أمامه، أشار نعمان للصف بسبابته، انطلقت مصفوفة الرمال هذه أمامه، حتى وصلت لبئرٍ غائر داخل صحراء ذو رمال سوداء، تقع في (الوادي الجديد) ردد نعمان بسخطٍ كبير:

- أيتها الغبية الحمقاء غليظةُ الذِهن.

ثم وقف أعلى البئر ينظر له في الأسفل بارتياب، فهناك نشاط في عمق هذا البئر غير مألوف.

نزل للأسفل وجسده يَضُج بنيران الغضب الشديد مما فعلتهُ، ليجدها تقف في الأسفل وجهها يتلون باللون الاحمر الداكن،

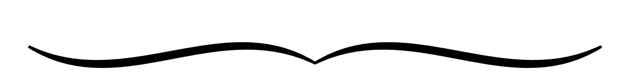
شعر على الفور بشيءٍ خطير، ولكنه حاول تجاهل الأمر قائلًا لها:

- ما الذي جاء بكِ إلى هُنا؟!

ليدفعها أحدهم خطوة للأمام وهو يقول:

- وأنت من أخبرك أنك تستطيع حماية هذه القاتلةُ الخائنة منا.





الفصل الخامس

نظر بني النعمان لعينيها بغضبٍ مُستعر، لتبادله نظراته بأخرى مُعتذرة، لم يُلقِ لها بالًا.

حاول تقييم الوضع حوله بتركيزٍ تام، وهو يُفكر في أكثر من طريقة للخلاص، فهذا الغول الساحر لم يكُن بمفرده في ذلك البئر،بل كان يرافقهُ ثلاثة يختبئون في أماكن متفرقة منهُ، لقد رَصد أماكنهم بعينيه مُنذ قدومه، أجابه وهو يرفع كلتا يديه:

ـ أنا لم أدع أنني أستطيع حمايتها منكم، بل الجميع يعرف أنني أستطيع ذلك لو أردت، كل ما رغبناه هو إظهار الحقيقة.

دفعها الغول للأمام أكثر وهو يحكُم قبضتهُ على عُنقها، بينما تقف له هند مستسلمة تنتظر أن تقتنص فُرصة تبغيها.

دقق ذلك الغول النظر في بني النعمان ليتبين له صدقُ نواياه، ثم ضيق عينيه الغليظتين وهو يقول لهُ:

ـ الحقيقة أنت تعلمُها جيدًا أيها العِفريت، فأنت عاشرتنا لسنواتٍ طوال، والساحر عادور كان أحد أصدقائك.

ضغط على رقبتها أكثر حتى كادت تختنق، ولكنها حاولت التماسُك، ليُكمل الغول وهو ينظر لها بغضبٍ شديدٍ:

ـ هذه الخائنة التي كان يعتبرها عادور إحدى بناته، قتَلتهُ عن عَمدٍ بينما هو يحاول تعليمها أسرار وخفايا السحر الذي سوف يجعلها على عِلمٍ ويزيد من قوتها.

ألقى بني النعمان نظرة سريعة على الثلاثة المختبئين، كي يتأكد أن كُلًا منهم في مَوضعه، فإن تحرك أحدهم فهذا يعني شعورهم بالخطر، ولكن الآن الوضع ما زال مستقرًا، وهو لا يريد في الوقت الحالي أي استفزاز لمشاعرهم، كي يخرجوا من هنا بأمان دون إراقة دماء أحدٍ من الغيلان، وقف بني النعمان يُباعد بين قدميه، بينما أرخى ذراعيه أمامه ووضع كَفهُ فوق الأخر بارتياح.

نظر الغول لحركات جسده بتدقيق ففهم ما أراد نعمان إيصاله، فهذه القبيلة تُدرك جيدًا عندما يسترخي أحدًا أمامك فهو لا يريد القتال، وفي الحال خفف قبضتهُ من على عنق هند، لتأخذ هي أنفاسها بقوة، فقد كادت أن تموت من شدة ضغطه عليها، وبثباتٍ بدأ بني النعمان أن يُحدثه بإقناعٍ:

ـ لقد اختلط عليك الأمر يا سيدي، فهند لم تقتُل عادور عن عَمدٍ، لقد أخطأت واعترفت بخطئها أمام الجميع، وأنا هنا لستُ مُوكلًا لحميتها فقط، بل أريد حمايتكم أنتم أولًا.

تعجب الغول مما تفوه به ليسألهُ:

ـ حمايتنا نحن! ممن؟!

اقترب بني النعمان منهم خطوة، فعاد الغول للخلف بينما تحرك الثلاثة الآخرين من أماكنهم، فرفع نعمان كلتا يديه ثانية، باستسلام قائلًا:

ـ أنا لا أريد القتال، ولو أردته لكنتم أنتم الأربعة الآن في عداد الموتى، وأنت تعلم ذلك جيدًا.

شعر الغول بالإهانة ليُردد بهياجٍ:

ـ ومن أين أتيت بهذه الثقة أيها العفريت؟!

حينها أظهر الثلاثة الغيلان أنفسهم، كي يتباهون بعددهم وقوتهم، فابتسم بني النعمان لهم قائلًا:

ـ يا صاح أنت ذكيٌ بما يكفي لتُدرك مع من تتعامل، فأنا لستُ عفريتًا من الجن وقائد جيوش لم يخسر معركة قط، بل أنا تعلمت السحر على يد كُبرائكم وسَادتكُم، ومؤكد سمعتم عما فعلتهُ مع (قُطرب) فلا داعي للمفاخرة هُنا، لقد فضلتُ أن نُسوي الأمر بيننا بشيءٍ من التعقل.

نظر الغول لأصدقائه وهو يتساءل:

ـ ما الذي ترمي إليه؟!

هز بني النعمان كتفيه قائلًا:

ـ الفتاة التي بين يديك هي فتاة صغيرة، وببعضٍ من التفكير العاقل فهي لن تستطيع قتل عادور الذي يُعد من كُبراء القبيلة ومن أفضلهم في أمور السحر، فهل ستستطيع تلك الفتاة أن تتمكن منهُ بهذه الطريقة البسيطة؟!

ردد الرجل بغضبٍ:

ـ لهذا لن نتهاون في تعذِيبها قبل قتلها، ويكُن في علمك أنها اعترفت بقتله.

أجابه بني النعمان:

ـ لقد فعلت ذلك كي تُنقذ أحدهم من الموت.

وضح التشتت على وجوههم وهم ينظرون لبعضهم البعض بقلة حيلة، ليباغتهم نعمان بقوله:

ـ تستطيع تركها الآن، وأعدك أنني سأُظهر لكم الحقيقة كاملة، لكن أريد منك الأن أن تثق بي.

لانت نظراته وبدأ ذراعه يتراخى من حولها بتوتر، ليقف بجواره الثلاثة الآخرين من كُل اتجاه لمساندته والتشاور بينهما.

استغلت هند انشغالهم بالتداول، وبدأت تُتمتم تعويذة بطريقة تعلمتها من أساتذتها دون أن ينتبهوا لها، لاحظ نعمان ما تفعله على الفور فراقبها لثوانٍ قبل أن يتقدم خطوة بحذرٍ وهو يشير إليها، بينما هي تُحذِّرهُ بشزَرَ أن يوقفها، تحولَ لون عيناه للأحمر الناري من الغضب، فهذه الغبية المتهورة ستفتعل قتالًا بينهم، بينما هو يحاول أن يحقن الدماء، حركت يدها ببطءٍ وخفة،

وهو يقف أمامها مكتوف الأيدي، لم تمُر سوى بضعة لحظات على الغيلان وهم يتحدثون بشأنها، وهو لم يكُن يومًا غادرًا وهم يعرفون ذلك، لذا انشغلوا بحديثهُم تاركين جسدها حُر دون تقييد، لأنهم يثقون أنه لن يلعب بهم، هز رأسه بقوة حين رأى الشرر الناري يتطاير من بين أصابعها، ومعنى ذلك أن أمام هؤلاء الغيلان ثوانٍ معدودة قبل أن يحترقوا بسحرها، لم يفكر كثيرًا وبحركة سريعة لف ذراعيه حول خصرها واختفى من المكان بأكمله، تاركًا صوت الغيلان يُجلجْل من خلفهم.

وضعها في الكهف الأرضي بهياجٍ شديد، ثم صرخ بها:

ـ هل جُننتِ؟! ما الذي يجعلكُ تفعلين فعلًا غبيًا كهذا؟!

ثم اقترب منها وجسدهُ يهتز من الانفعال وهو يقول لها:

ـ لقد كُنت أحاول أن أثبت براءتك، لماذا تريدين قتلهم بهذه الطريقة؟

كانت تقف أمامه بثباتٍ وهي تنظر لعينيه بتدقيقٍ لتُجيبه بهدوءٍ تام:

ـ لقد اختطفوني وهددوني بالقتل، ماذا كنتُ تنتظر؟ أن أصفق لهم.

كاد أن يُجن وهو يسمع حديثها، وكأنها لم تفعل شيئًا مُشينًا منذ قليل.

احتقن وجهه حتى كاد ينفجر من الغضب، وهو يقول لها:

ـ لقد قتلتِ أخيهم، ما الذي تظنين أن يفعلوه بكِ، لقد حاولت إنقاذك بطريقة أسلم، لماذا تتصرفين بوحشية هكذا؟ أنا حقًا لا أفهم طبيعتك.

رفعت صوتها بحنقٍ مرددة:

ـ ومن قال لك أنني كنت أنتظر إنقاذك لي؟! فأنا أستطيع قتلهم جميعًا في غمضة عين كما فعلت مع أخيهم الأكبر، أنا التي لا أعلم حقًا لماذا يهابُك الجميع، فأنت شخصٌ مثيرٌ للشفقة.

كان مذهولًا مما تفوهت به، كيف تربت هذه الفتاة لتشُب على هذه القسوة والحقد، نظر لها مطولًا دون أن يتحدث مرة أخرى، كان ينوي أن يُلقنها درسًا قاسيًا لن تنساه أبدًا، لكن الآن نظرتهُ لها اختلفت كُليًا، فهذه الفتاة عانت كثيرًا مع عائلتها، فهي تستحق حقًا الشفقة واللين عليها وليس الشدة، لأن من الواضح أنها ستتخذ منحى آخر.

هدأت نوبة غضبه، وبدأ جسده يستكينُ قليلًا، مما جعلهُ يلتفتُ ليجلس على أحد الصخور بصمتٍ مُطبق.

ظلت هند على وقفتها لثوانٍ قليلة بعدما تركها،ثم خطت نحو الصخرة المقابلة لهُ لتجلس عليها، عم الصمت بينهما لدقائق، ليقطعهُ بني النعمان قائلًا:

- يهابُني الجميع لخوفي عليهم، ولبحثي عن سُبل السلام والجمع بين قبائل المسلمين بأكملها دون إراقة دماء بدون داعي، يهابني الجميع لأنني أقف مع الحق، ولا أفرض سيطرتي ولا أستخدم قواي إلا عند الحاجة القصوى، يخشاني الكثيرين لأنني أستخدم عقلي أولًا، ولا أحب استعراض قوتي طوال الوقت.

ثم نظر نحوها يرمُقها بحفيظةٍ مُرددًا:

- هل علمتِ لمَ يهابني الجميع؟!

حولت رأسها لجهة أخرى كي تتجنب رؤيته، فهي كلما تنظر إليه ترى ضَعفها أمام هيمنته وحضوره الطاغي، وهذا يجعلها تشعُر بغضبٍ شديدٍ، وحقدٍ منه يتغذى على قلبها.

دقق بني النعمان النظر في ملامحها المشدودة بقلقٍ، بينما جسدها يهتز بتوترٍ ملحوظ، تأمل جانب عينيها بتركيز فوجدها تُخفي بعضًا من قطرات دمع تحارب ألا تسقُطَ أمامه، جسدها الضئيل أمامه لا يدُل علَى امرأةٍ تمتلك من القوة ما يجعلُها تقتل أربعة رجالٍ دون مهابةٍ أو حتى ندم، تنهد بعُمقٍ وهو يسألها دون أن يبعد بعينيه عنها:

- لماذا قتلتِ عادور؟!

التفتت نحوه سريعًا لتنظر لهُ بغرابة، فلم يسألها أحدٍ هذا السؤال منذُ الواقعة، كُل من قابلها نَهرها على فعلتها واعتبرها قاتلة جاحدة ناكرة للجَميل؛ دون معرفة السبب.

اغرورقت عيناها بالدموع، وبدأت أنفاسها بالتسارع، وكأنها تتذكر مشهدًا مؤلمًا على حين غُرة.

شعر نعمان على الفور أن هناك خطبًا ما، فوقف مترددًا حتى قرر أن يقترب منها، جلس على رُكبتيه أمامها وهو ينظر لوجهها المُحتقن قائلًا:

ـ لم يسألك أحدًا قبلي هذا السؤال؛ أليس كذلك؟!

أومأت برأسها، فتأكدت شكوكه..

قرب كفه من كفها بارتباكٍ، ليعاود وضع يدهُ على رُكبته بخجلٍ وهو يحُثها على أن تعترف له بالحقيقة دون مَسِها:

ـ تستطيعين إخباري.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تنظر لعينيه القاتمة، وتحاول أن تحبس دموعها قدر ما استطاعت، فهي لم تعتَد أن تظهر بهذا الضعف أمام أحدٍ، استجمعت شجاعتها وقالت لهُ باقتضاب:

ـ لقد حاول أن يلمسني رغمًا عني.

لم يستطيع نعمان أن يفهم ما ترمي إليه، وخاصة أنه يعرف عادور جيدًا، فهو رجُلٌ متدينٌ لأقصى حد، وهذه الأفعال المُشينة لم تكُن من طباعه، حاول أن يستفهم منها ثانية:

ـ لم أفهم مقصدك؛ كيف حاول لمسكِ رغمًا عنكِ؟!

خرج صوتها مُضطربًا رغم محاولتها للثبات أمامه:

ـ لقد طلب مني أن أُسلمهُ نفسي وحين رفضتُ حاول..

تَسارعت أنفاسها وبدأت الحرارة الشديدةُ تخرج من جسدها وتوقفت عن الإكمال، جسدها أمامهُ صادقٌ للغاية، ولكنهُ رغم ذلك لا يستطيع تصديقها، وخاصة عن هذا الرجل..

ضيقت عينيها وهي تتأمل وجهه المتشكك، ثم دفعته في صدره وهي تصُك اسنانها بغيظٍ مرددة:

ـ أنت لا تُصدقني أليس كذلك؟!

ثم وقفت بغضب لتقول لهُ بثورة عارمة:

ـ لأجل هذه النظرة أنا لم أخبر أحدًا بما حدث.

وقف نعمان أمامها عاجزًا عن إصدار أي ردة فعلٍ، مما جعلها تهتاج بشكلٍ أقوى، وفي حركةٍ مجنونةٍ منها، مزقت ثيابها الفوقية لتُريه بعضًا من العلامات الحمراء الظاهرة بقوة على صدرها وكتفيها، ثم رفعت كلتا معصميها لتُريه أماكن التقييد التي أعقبت أثرًا شاهدًا على تعذيبها، وهي تقول بانفعالٍ واضح:

ـ لقد فعل كُل هذا حين قُلت لهُ لا أريدك زوجًا.

لاحت على وجهه علامات التعجب، فإن هذا بالنسبة لهُ لم يكُن دليلًا كافيًا لما تدعيه، فتعذيبها دليل على عدم إطاعتها لساحرها الكبير، وليس دليلًا على تعديه عليها بشكلٍ غير مألوف، فهو يعي ذلك جيدًا..

أدار وجهه لاتجاهٍ آخر حتى تستُر نفسها، لتُكمل هي بنفس الانفعال:

ـ هل صدقت الآن؟!

صمتهُ جعلها تحاول جمع قماش ثيابها الذي مزقته بطريقة سريعة، ثم انتقلت لتقف أمامهُ وهي ترفع زاوية باستهزاء قائلة:

ـ حسنًا لقد فهمت؛ أنت لا تستطيع تصديقي، وأنا لن أكشف عورتي أكثر من ذلك كي أُريك البقية.

ثم اقتربت من أذنه قائلة بخفوت:

ـ ولكنك ستصدقني حتمًا حين أقول لك أنه كان زوجي أمام الله، ولكني كُنتُ أبغضه..

ضم نعمان حاجبيه بدهشة، وانعقد لسانهُ لتعود هند تجلس في موضعها توليه ظهرها دون أن تتفوه بالمزيد، وبخطوات سريعة ذهب يقف أمامها بذهول وقبل أن يُخاطبُها سمع صوت والدهُ يستدعيه، نظر لها عدة ثوانٍ،

بينما هي تجاهلتهُ تمامًا وهي تُقبض على ثيابها التي أعلى صدرها بقوةٍ، حاول أن يتماسك أمام جمالها الأخاذ، وهو يقول لها:

- لمَ لا أقدر على تصديقك يا هند؟!

رفعت رأسها ترمُقهُ ببغضٍ شديد، فهي لا تعلم حقًا لمَ اعترفت لهُ بسرٍ كهذا، ولمَ ترغب بهذا الإصرار أن تجعلهُ يُصدقها، فهي لم تهتم يومًا برأي أحدٍ بها مثلهُ.

ولماذا غضبت هكذا من عدم تصديقهُ لها؟! ما هذه المشاعر التي تحتلها سريعًا!

أخذت نفسًا عميقًا، وأظهرت ملامحها بشكلٍ قوي، ثم قالت لهُ بجبروتٍ اعتادت عليه:

- ستُصدقني أيها العفريت، مؤكد ستجد الحقيقة، لكنك وقتها لن تجدني.

لم يفهم ما ترمي إليه بهذه الكلمات، ولم يستطع المكوث كي يفهم؛ فقد ناداه والده ثانية، فتركها واختفى ليقابلهُ في مملكتهُ.

دخل على غرفة والده الذي وجده يجلسُ وعلامات الغضب تحتل وجهه، وقف أمامه بإجلالٍ وهو يتسأل:

- ما الذي حدث يا أبي؟!

نظر له والده ليقف أمامه بحنقٍ قائلًا:

ـ ما الذي فعلتهُ مع الغيلان؟! مُنذ متى وأنت مُخادعٌ هكذا؟!

زفر بني النعمان بضيقٍ قائلًا:

ـ لقد أنقذتهم من سحر هند يا أبي، لو كُنت انتظرت دقيقة أخرى كانوا سيمسون رمادًا الآن، ولكُنا نُجهز لحربٍ مع قبيلة الشنفري لأول مرة في تاريخ المسلمين.

تلونت عين الملك الأبيض بغضبٍ يُماثل ولدهُ ثم قال له:

ـ حسنًا إلى هُنا وكفى، أعدها لوالدها هو يحميها، مدام قد قام بتربية وحشٍ كهذا فعليه حمايته أو إطلاقه على الجن، كما يبغي، فنحن لا نحمي مجرمين مثلها.

سألهُ بني النعمان كي يستوضح الأمر منهُ:

ـ هل تعلم لمَ قتلتْ الساحر عادور؟!

زاغت نظرات والده، فشعر بأمرٍ يجهلهُ،

ابتعد والده عنه بعدة خطوات وهو يقول له:

ـ لا تسأل عن أشياءٍ تسوؤك يا ولدي، افعل ما أمرتُك به.

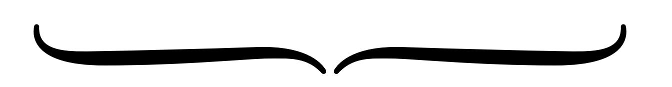
وقف بني النعمان أمامه بإصرارٍ قائلاً:

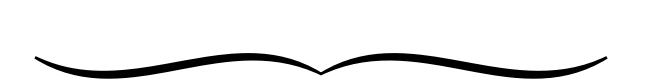
ـ ولـكني أريـد أن أعـرف السـبب، فـمن غـير المـنطقي أن تستطيع هـذه الفتاة قتلهُ ببساطة هـكذا، بالإضـافة أنـني لا أثق بما أخبرني به الملك الأحمر، وهو أنها قتلتهُ بسيطرةٍ من أحد السحرة الشياطين أعداء عادور.

تردد الملك الأبيض في إخباره بالأمر، ولكن مع نظراتهُ المُلحة قال لهُ:

ـ لقد زوجها والدها منهُ رغمًا عنها منذ شهور، ويبدو أنـها أصرت على أن لا تُسلمهُ نفسها، فما سمعتهُ من المقربين في قصره، أنهُ حاول أخذها عنوة، لذلك قامت بقتله بعدما أغوته وجعلته يظُن أنـها أصبحت تُريده، لذلك لم يتوقع أبدًا أن تقتلهُ بهذه الطريقة الشيطانية.

وإلى هُنا توقف الملك الأبيض عن الحديث حين طرق باب غرفتهُ، وجدهُ أحد جنوده المقربين فأذن لهُ بالدخول، ليخبرهما الحارس أن الملك الأحمر قد عَقد اتفاقًا مع قبيلة الشنفري على أن يتركوا حياة ابنته بأمان مع دفع ديَّة القتل الخطأ، وأضاف ساتور أخو عادور أن تذهب لهم الأميرةُ هندٍ كزوجة له مع الديَّة، وقد وافق الملك الأحمر على ذلك.





الفصل السادس

ترك نعمان والده وانتقل للكهف سريعًا، وفي عقلهُ تتردد

جُملةٍ واحدةٍ (ستُصدقني أيها العفريت، مؤكد ستجد الحقيقة، ولكنك وقتها لن تجدني).

وما توقعهُ قد حدث، فقد اختفت هند مرة أخرى!

شعر بندمٍ شديدٍ لما فعلهُ معها، فقد خذلها كما فعل الجميع..

لم يُصدقُها أحد، ولم يفهمها أحد، بل نعتها الجميع بالمُجرمة القاتلة.

ظلّ يلتفُ حول نفسهِ بسخطٍ وهو يراجع ما حدث معهم.

وقف عندما اكتشف شيئًا مفقودًا، لماذا يزوجها والدها رغمًا عنها، وبهذه السرية؟! ولِمَ يريد إدخالها لهذه القبيلة ثانية رغم ما حدث؟!

ماالذي بين الملك الأحمر وقبيلة الشنفري ليبيع ابنته لهم بهذا الشكل المُهين؟!

انحنى ليأخُذ حفنة من الرمال كي يُحدد عن طريقهم موقعها، رفع حفنة الرمال في قبضته وهو يُقربها من فمه مرددًا تعويذة الإيجاد، لكنه توقف وهو يُضيق عينيه بتركيز شديد، لقد أكتشف أنها لم تكن وحدها في هذا الكهف، لقدً دخل أحدهم وأخذها معه!

ولكن كيف يُمكنه فِعل ذلك؟!

فلن يجد أحد هذا الكهف على الإطلاق مهما حاول، التفسير المنطقي الوحيد أنها استدعت أحدهم وفتحت له المكان من الداخل.

قام بتمارينٍ لصفاء الذهن وأطلق الرمال لتَدُلهُ على مكانها، وبالفعل طارت الرمال وهو خلفها لملكة أبيها، وقف أمام باب القصر الكبير وهو يُفكر ماذا عليه أن يفعل الآن؟!

أغمض عينيه وفكر قليلًا ثم قرر أن يتصرف بجنونٍ ولأول مرة في حياته، حرك يده في الهواء لتعود له حفنةً الرمال تنساب في كفه، همس لها ببضع كلمات ثم تركها في الهواء الطلق لتتحرك أمامه وهو خلفها، حتى وصلت لغرفة مُحددة في القصر، ضيق عينيه وانتظر حتى هبطت الرمال على أرضية الشُرفة، وهنا تسلل بني النعمان للداخل بحذر، وجد نفسه داخل غرفة هند، هكذا عرف ذبذبات الغضب التي تملأ أرجاء المكان، فجأة سمعها من خلفه تقول لهُ بدهشةٍ كبيرة ظهرت على صوتها:

ـ جرؤت على القدوم إلى هنا؟!

التفت بثباتٍ ودون مقدمات قال لها:

ـ جئت كي أعتذر منكِ.

ضمت حاجبيها بتعجب وهي تتساءل:

ـ تعتذر على ماذا؟!

وقبل أن يتحدث أوقفته قائلة:

ـ على عدم تصديقك لي؟ أم على أنك مثلهم؟

ثم شهقت بخفة وهي تُردد:

ـ أم على أنك تحاول إظهار سِماتك الحنونة والمتفهمة والقوية وحدسك الذي لا يكذب أبدًا،

لكني باعترافٍ واحدٍ أظهرت كل ما يُخالف ذلك أمام نفسك وأمامي..

اقترب منها ببطءٍ وهو يُوضح لها الأمر:

ـ لا يا هند.. لقد أردتُ أن أعتذر منكِ لأنني خذلتُكِ، لأنني أثق أنك كنتِ تتوقعين مني الحماية، وأنا لم أفعل..

تلعثمت من وضوحها أمامه هكذا، كيف استطاع معرفة ما شعُرت به بهذه البساطة؟!

هل لهذا الحد هي لم تقدر على إخفاء مشاعرها نحوه!

ارتعش جسدها حين وقف أمامها مباشرةً، لا يفصلهما سوى خطوة واحدة، ثم مد لها يدهُ قائلًا:

ـ اسمحي لي بحمايتك؛ وأعدُكِ من الآن لن يمسك سوء ما دُمتُ على قيد الحياة..

اهتزت حدقتيها بتأثُرٍ وهو تنظُر لكفه المدود، ولعينيه التي تلونت بالأصفر الذهبي، وقد أصابتها الحيرة في مَقتل.

هل تطاوعه وتترك لهُ زمام الأمور وتُعطي لقلبها فرصة ليتنفس

حُبًا جديدًا مع رجُلٍ قد تمنتهُ يومًا من سيرتهُ العطرة دون أن يدري أحد؟!

أم تتبع والدها الذي يؤهلُها منذ ولدت حتى تُصبح ملكة للسبع ممالك التي تخُص المسلمين؟!

تنهدت بعُمقٍ وبني النعمان مازال يمُد يدهُ لها في صبرٍ حتى تأملت عينيه الساحرة وهي تُردد بخفوت:

ـ ماذا ستفعل مع أبي؟!

أمال برأسه للأمام وهو يقول لها:

ـ والدك يريد تسليمك لساتور مع دفع الديَّة ليزوجكِ إياه،

هل توافقين على ذلك؟!

جحظت عيناها واحتقن وجهها وكأن هُناك بركة من الدماء قد انفجرت بملامحها، وهي تصرخ:

ـ ماذا؟! من الذي أخبرك بذلك؟

أجابها بابتسامةٍ رقيقة:

ـ تستطيعين التأكد بطريقتك،

لمَ تريد التأكد؛ فقد فعلها أبيها من قبل!

وببساطة يستطيع فعلها لآلاف المرات، ما دامت تطاوعه..

ولكن لهذا الحد كفى، مدت كفها بثباتٍ لتصافح بني النعمان بقوة وهي تقول لهُ:

ـ حسنًا أيها العفريت.. سوف آتي معك.

تهللت ملامحه وحرك كتفيه وهو يقول لها ببساطة:

ـ حسنًا هيا بنا.

عدلت ثوبها برقة وأمسكت كفه بقوة واستعدت ليخرجوا من قصر والدها، وبالفعل اختفى الإثنان ليظهرا في الكهف الأرضي المُأمن، وعندما دخل الإثنان للكهف سألها بني النعمان:

ـ استدعيتِ من إلى هُنا كي يُخرجكِ؟!

زمت شفتيها بعدم تصديق وهي تقول له:

ـ هل تحاول إقناعي أنك لم تعرفه؟!

اقترب منها حد الخطر بينما هي تتأمل عيناه بحذر ودقات قلبها تتمرد لتنفلت بمشاعر تحاول جاهدة إخفائها، ليميل بني النعمان على أذنها هامسًا مثبتًا عيناه على عرقها النابض:

ـ لقد بدأتِ تُشكلين خطرًا عليَّ يا هند.

نطقت بصوتٍ مضطرب باضطراب قلبها:

ـ لا أفهم مقصدك!

ابتسم وهو يُضيق عينيه قائلاً:

ـ أشك بذلك.

ثم ابتعد عنها سريعًا قبل أن يفقد سيطرته على نفسه، ليجلس على الصخرة المقابلة لها، وهو يتأمل الفراغ أمامه مُتفكرًا، لتجلس هند أمامه مقاطعة إياه:

ـ ماذا سنفعل الآن؟!

نظر لها مُطولًا ثم سألها:

ـ ما الذي تريدين فعله؟!

نظرت لهُ بمكرٍ جعلهُ يبتسم وهو ينتظر ما الذي ستطلبهُ منه، ليخرج صوتها ثابتًا رغم نبرة الرجاء التي غلفتهُ:

ـ لقد قتلت عادور لأنه استغلني.

ضم نعمان حاجبيه متسائلاً:

ـ كيف فعل ذلك؟!

ـ كان يُخفي أسرارًا كثيرة عن السحر، بحجة أنني لستُ جاهزة.

قالت جُملتها وحدقتيها تهتزان بغضبٍ واضح، لتُردف:

ـ كان يريد أن أظل تحت سُلطته للأبد.

قام بني النعمان من مقامه واقفًا وهو ينظر إليها، ففعلت مثله لتقف مكانها دون أن تقترب منهُ خطوة واحدة، ليظهر الخجل على ملامحها بعدما تيقنت أن بني النعمان فَهِم مقصدها، اقترب هو منها قائلًا:

ـ سأعلمك كل ما تحتاجينه، ولكنك تعرفين أننا يجب أولًا أن...

قاطعتهُ وهي ترفع كفها أمامه تتجنب النظر لعينيه، مرددة:

ـ أعرف..

وفي لحظة وضع ذراعه حول خصرها، لينتفض جسدها من قُربه، ثم انتقل بها لجزيرة بوفيت الواقعة جنوب المحيط الأطلسي والمعروفة باسم «أكثر الأماكن الموحشة والمعزولة على وجه الأرض»، وهي جزيرة مجمدة وغير مأهولة بالسكان، تقع على ساحل الأميرة أستريد في القارة القطبية الجنوبية..

التفتت هند تنظر نحوها بسعادة وهي تردد:

ـ ما هذا المكان الساحر؟!

ظلت تدور بسعادةٍ على الجزيرة التي تتطاير حولها المياه من جميع الاتجاهات بفعل الرياح الجارفة التي تحمل معها قطعًا من الثلوج.

ابتهج نعمان لسعادتها تلك، وهو يقول لها:

ـ هذا أفضل مكان كي أعلمكِ فيه السحر.. أليس كذلك؟

استقامت أمامهُ وهي تُغمض عينيها، ثم بدأت تُصفي ذهنها بشهيقٍ وزفيرٍ وهي تُحرك ذراعيها في الهواء كما علمها عادور، وبعد عدة لحظات فتحت عينيها التي أنارت وسط العاصفة بلون الزمرد النقي، لتُردد في ثباتٍ:

ـ أنا جاهزة.

انتصب نعمان أمامها بجدية وشَرعَ معها من البداية، استجابت هند معه ووجدها تعرف الكثير، لكن ينقُصها الكثير أيضًا.

شعر بها قد اُجهدت فطلب منها أن يأخذوا استراحةً قصيرة،

وكأنها كانت تنتظر ذلك، ركضت نحو تلة كبيرة من الثلج قد اختارتها بعناية، لتجلس فوقها بمرحٍ.

اختفى نعمان من أمامها وهو يبتسم وذهب كي يجلب لهم القليل من الطعام والشراب.

عندما ذهب استلقت هند على ظهرها أعلى التلة، وتأملت السماء المليئة بالغيوم وهي تُفكر فيه وما فعلهُ لأجلها، تساءلت في نفسها بقلقٍ (تُرى هل بدأ ينجذب لي؟! أم أنني أوهم نفسي بقُربه؟!).

وفي هذه اللحظة سمعت صوتًا غير مألوف يأتي من تحت الجزيرة، انتفضت جَالسة مُنتبهة كي تُميز هذا النشاط الغريب بالنسبة لها، فهذه الأصوات لا تخُص الجن ولا الشياطين!

وجدت بني النعمان أمامها يحملُ بعضًا من الطعام والشراب ويضعه أعلى التلة، نظر لوجهها المتعجب ليسألها:

ـ ماذا حدث في غيابي؟! لقد تركتكِ سعيدة بالجو والمكان!

وقفت وهي تُضيق عينيها وتُشير لأذنها قائلة لهُ:

ـ انصت لهذه الأصوات..

نهض بني النعمان ليقف بجوارها وهو يسترق السمع بتركيز شديد، جعلهُ ينزل من أعلى التلة وهو مُغمض العينين، يريدُ الوصول لمصدر هذا الصوت الغريب بالنسبة لهُ أيضًا،

مشت هند خلفهُ وقد بدأ القلق يتسرب إليها، لتقول له بصوتٍ خافت:

ـ هل جئت إلى هنا من قبل؟!

فتح عينيه وهو يُجيبها:

ـ نعم؛ جئت إلى هُنا كثيرًا، ولكني أشعر بهذا النشاط لأول مرةٍ.

اقترحت عليه وهي تَسبقه:

ـ دعنا ننتقل لأسفل.

أمسك ذراعها سريعًا قبل أن تختفي ليزعق بها:

ـ لا تتصرفي بجنونٍ هكذا مرةً أخرى، فنحن لا ندخل أماكن لا نعرف ما الذي يوجد بها، يجب عليكِ التحلي بقليلٍ من الصبر والتعقل حتى لا توقعي نفسك في فِخاخٍ لن تستطيعي تجاوزها.

توقف الصوت حين أقبلت هي على الحديث، فأوقفها:

- ششش اصمتي يا هند للحظة!

شعر الإثنان بجيشٍ يخرج من باطن الأرض، صعودًا للجزيرة الثلجية، عادت هند للخلف في فزعٍ، بينما وقف نعمان أمامها يحميها

ممن ظهر أمامهم.

كانوا أقوامًا ذو عددٍ كبير، أجسادهم كبيرة وضخمة ويتبين للرائي إنها قوية للغاية، يمتلكون بشرة سوداء، وعيونًا سوداء أيضًا، ذات حدقةٍ واحدة مثل الشياطين، ولكنهم ليسواً بشياطين، لا يملكون برؤوسهم خُصلة واحدة، وكفوفهم ضخمةٍ ذات حوافر طويلة ومُنبعجة.

نظر لهم بني النعمان بتدقيق، فهم لا يضاهونه في الحجم والقوة، ولكن كثرتهم جعلته يُقَييم الوضع بشكلٍ عقلاني،

سألهم بصوتٍ حازم:

- ما أنتم؟!

نظروا لبعضهم البعض بتعجبِ، وتبين لبني النعمان أنهم لم يفهموا لُغتهِ، فكرر عليهم السؤال بعدة لُغات لم يفهموا منها شيئًا، وظلوا ينظرون لبعضهم البعض بجهلٍ تام.

سألته هند وهي تتقدم لتقف بجواره:

ـ من الواضح أنهم لا يفهمون لُغة الجن ولا البشر، يبدو أنهم كائنات من جوف الأرض، هل سمعت عنهم؟!

أومأ بني النعمان برأسه وهو يُجيبها:

ـ نعم؛ لقد سمعتُ عنهم، لكني أراهم للمرة الأولى الآن..

تقدم أحدهم للأمام عدة خطوات بحذر، فأوقفه بني النعمان

بإشارةٍ من يده، فتوقف الرجل وقد لاح على وجهه أمارات الخوف من ملامح بني النعمان الحادة والقوية، رددت هند بحيرة:

ـ ماذا سنفعل معهم؟!

زفر بني النعمان بضيقٍ قائلًا:

ـ سأحاول التواصل معهم بشكلٍ ما.

رفع كفهُ بعدة حركات، جعلت الواقف أمامه يضيق عينيه بتركيز وكأنه يحاول فِهم ما يرمي إليه بني النعمان،

وبعد عدة دقائق أعاد هذا الكائن على بني النعمان حركات مُماثلة لها عدة معاني، ابتسم له بني النعمان وهو يقول لهند:

ـ كما سمعتُ عنهم، فهم يتعلمون لغة الإشارة بسرعةٍ عجيبة.

ارتاحت ملامح هند وهي تراهم يتحدثون بلغة الإشارة، وبعد قليل سألته:

ـ ما الذي يريده؟!

أجابها نعمان وهو يُكمل حديثه معهم:

ـ كان يتساءل ما الذي جاء بنا إلى أرضهم، وقد شعروا بنا وبهالتنا التي صنعناها عن طريق السحر، وقد خرجوا لنا كي نعلمهم إياها.

وضعت هند كفها على ذراعه وهي تقول بحماسٍ:

ـ قل لهم حسنًا سنفعل ذلك على الفور.

أشار بني النعمان للرجل أن ينتظره، ثم التفت لهند وهو يضُم حاجبيه بضيق قائلًا لها بحنق ظهر على صوته:

ـ هل حينما يطلبُ منك أي كائنٍ على الأرض أن تُعلميه السحر، توافقين بهذه البلاهة؟!

نظرت هند بغيظٍ مرددة:

ـ أولًا: أنا لستُ بلهاء،

ثانيًا: من الواضح أنهم أقومًا لُطفاء للغاية.

وضع نعمان كفه على وجهه بغيظ قائلًا وهو يصكُ أسنانه:

ـ لُطفاء! منذ متى عرفتيهم لتظُني أنهم لُطفاء؟!

وقبل أن تستمر في جدالِهِ، أشار له الكائن الواقف أمامهُ أنه مازال ينتظر رده.

أجابه بني النعمان،

(أن أمور السحر خاصة بهم، ولا يجوز لهُ أن يُعلمهم إياها)

تفهم هذا العملاق رفضهُ وتمنى لهم يومًا سعيدًا في مكانٍ آخر، لانهم لن يستطيعوا تحمُل هذا النشاط الكبير علىً أرضهم.

اعتذر له بني النعمان، ثم قام بتوديعهم مع إشارات لطيفة بسعادته لمقابلتهم، ووعد أنه سيقابلهم مرة ثانية..

بادلوه التحية والوداع.

وإلى هُنا أمسك بذراع هند وعاد بها للكهف، بينما هيٍ تتذمر بين يديه بحنقٍ كبير، بدأت تنهره بغضبٍ فرفع يدهُ يوقفها وهو ينظر حوله بريبة، وفجأة ظهر الملِك الأحمر أمامهم هو وجنوده.

انتقل بني النعمان بأقصى سرعته، ليحُول بين هند وبين أبيها، وقفت هند خلفه وقد شعر برجفتها وهي تلتصق بظهره، تعجب بني النعمان فهي لم تفعل ذلك منذ قليل عندما هاجمهم عماليق جوف الأرض!

ليتسأل في نفسه،

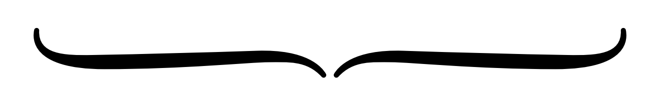
(ما الذي فعله هذا الرجل لابنته كي تخشاه هكذا؟!)

وعلى حين غُرةٍ دفعه الملك الأحمر بقوته، ليقاوم بني النعمان أن يقع أرضًا، حتى سندهُ الحائط خلفهُ ليقف بشموخٍ ثانية، صرخ الملك الأحمر بابنته حتى ارتجت أركان الكهف:

ـ تعالي هنا يا هند..

دفعها بني النعمان خلفه وهو يجيبه بعينان تضُجان بالشرر:

ـ هند لن تترك زوجها وتأتي معك، ولن يتجرأ أحدٌ منكم على مسها وأنا حي على هذه الأرض...



الفصل السابع

وبغضبٍ مُستعر أسرع الملك الأحمر مثل السهم المُنطلق، ليُمسك جِذعية وبَدويّ صوتهُ المُهتاج أخذه وانتقل به لمنطقة صحراوية واسعة ليتقاتل معه بكل ما مَلك من قوة.

حاول بني النعمان في بعضِ الأحيان أن يتفادى الكثير من من ضرباته القاتلة، وفي البعض الآخر كان يتصدى لهُ بكل قوة.

اجتمع جنود الملك حَوله ليتكاثر العدد عليه، لكنه حتى الآن استطاع التصدي للجميع، وفي إشارة من الملك فهمها بني النعمان على الفور، بأن يلتفوا حوله ويقتلوه بضربة رجُلٍ واحد.

احتدم العراك بينهم وبين بني النعمان الذي ظل صامدًا لكثيرٍ من الوقت، حتى انضمت لهُ هند، حينها عمى الغضب عين الملك الأحمر وزاد من وتيرة حركاته القاتلة التي يوجهها لزوج ابنته التي أخذها منه عنوة، وحبطت خططه التي يحاول تنفيذها منذ سنواتٍ بسببه.

لقد كرهه بشدة وندم على أنه وثق به من قبل، ظل يُكيل له اللكمات وهو يصرخ به:

- لقد وثقتُ بك أيها الحقير، لقد أمنتك عليها أيها الخائن.

تفادي بني النعمان لكماته حتى بدأ يشعر بالإرهاق الشديد في هذه الدقائق القليلة، فتحركاتهم جميعًا وتصديه لهم بمفرده، أضعف الكثير من قواه..

لقد ساعدته هند قليلاً، ولكنها لن تواجهه والدها مهما حدث، فهي تحاول إبعاد الجنود عنه قدر ما استطاعت،

لم يجد بني النعمان حلًا سوى في السحر الذي تعلمهُ، فاختفي من دائرة القتال ليظهر ثانية في المنتصف وهو يُردد تعويذةً أضعفتهم كثيرًا في بدايتها؛ لتنتهي التعويذة مع تكبيلهم جميعًا بسلسالٍ كبيرٍ مُثبت في الأرض.

زمجر الملك الأحمر بشدة حتى ثارت عاصفة من الرمال حوله، بينما توقفت هند لتلتقطُ أنفاسها بصعوبة، وهي تنظر إليهم بدهشة.

وقف بني النعمان في موضعه ينظر للجميع بأسف، هو لم يتمنى أبدًا أن يفعل ذلك في أحد المسلمين، لكن غضب الملك أعماه عن رؤية ما يفعله.

اقتربت هند من والدها بحزنٍ وهي تقول لهُ:

- لمَ فعلت ذلك يا أبي؟! لمَ أردت قتله؟!

لقد تزوجتهُ بإرادتي، هو لم يُجبرني مثلك، أرجوك يا أبي اتركنا وشأننا..

نظرات والدها الغاضبة جعلتها ترتعد رغمًا عنها، فهي لم ترَه هكذا من قبل.

حاوط بني النعمان خصرها وهو ينظر لجنود الملك الأحمر المُقيدين بسلاسل خفية مثبتة في الرمال الصفراء اللامعة كي يتأكد من ثباتهم، ثم اقترب وهو يدفعها بشجاعة كي تواجهه دون خوف ليقول لهُ:

- لقد وثقت بمن هو أهلًا للثقة، وائتمنت من هو بالأصل أمين، لكنك أنت الذي لم تحفظ الأمانة عندك، بل زوجتها رغمًا عنها زواجًا باطلاً يا ملك قبيلة المسلمين، ولم تكتف بذلك، لكن رغبتك في السلطة والقوة جعلتك تُريد بيعها للمرةَ الثانية، ولم يكفِك ما حدث لهذه المسكينة في قبيلة الشنفري، ولا أعتقد أنك تهتم أن تعرف..

أشار نعمان بسبابتهُ على صدره بانفعالٍ واضح:

- لكن أنا أهتم.. أنا أعرف.. والأهم من ذلك وذاك أنني أفهم وأعي ما الذي يجب عليّ فعله..

اعتدل بني النعمان في وقفتهُ بجوارها وهو يُقرب رأسها لتستكين على صدره وهو يُكمل حديثهُ للملك الأحمر بحزنٍ بالغ:

- أنا لم اتعدَ يومًا بالسحر على مسلم من القبائل السبع، فضلًا عن كونك ملكُ عظيم، لكنك أنتَ من دفعتني لذلك. ثم مرر بني النعمان يدهُ على السلسال المخفي وهو يعتذر لهُ:

- على كل حالٍ، أعتذر منك على ما حدث، وأريد أن أُطمئنك على ابنتك فهي في أمانٍ معي كما رأيت، فأنا أستطيع حمايتها من أي جني كان أو ساحر..

ثم حاوط خصر زوجتهُ وانطلق من هذا المكان لقصره الذي صنعه منذ سنوات تاركًا الملك الأحمر من خلفهُ حر طليق.

جَلجَل صوت الملك بسخطٍ شديد وهو يرى جنوده مازالوا مكبلين بالأصفاد.

وبأعلى صوته استدعى ساتور الذي جائه على الفور، وعلامات الفزع ترتسم على وجهه من صوت الملك..

وقف ساتور يتأمل ما حدث معهم بدهشة وهو يردد:

- كيف جرؤ هذا العفريت أن يفعل بجنودك ذلك؟!

ثم عَلاَّ صوتهُ وهو يحرر الجنود:

- يجب أن يُحاكم هذا الحقير، ألا يعلم أنه لا يجوز له استخدام السحر على أحد المسلمين؟!

ثم استقام ساتور بعدما انتهى من تحريرهم أمام الملك الأحمر الواقف بثبات وداخله يشتعل مما حدث، ليقول له:

- يجب أن نبلغ الحكماء ما فعلهُ هذا الخائن.

نظر الملك لهُ بتفكُر، يبدو أنه لا يعرف أن بني النعمان قيدهُ مثل جنوده.

ثم نظر لجنوده نظرة جعلتهم يحنون رؤوسهم للأسفل بعدما فهموا أن ما حدث منذ قليل لن يعرفه ولن يتكلم عنه أحد

أمسك بذراع ساتور قائلًا:

ـ لن نُبلغ أحدًا.. سأحاكمه أنا بنفسي.

ضم ساتور حاجبيه، فلم يكن الملك الأحمر بهذا التسامح من قبل، ولكن على أي حالٍ هو لا يريد سوى هند.

استغل الفرصة ليقول لهُ:

ـ متى ستكون هند لي؟!

وهنا قد بدأت الأحداث كما توقع، ترك الملك ذراعه وأشار لجنوده مرددًا:

ـ اتبعني على القصر وهناك سنحدد المدة..

***

وقفت هند أمام القصر الكبير تنظر له بانبهارٍ لتتهلل فرحًا قائلة:

ـ هذا قصرك؟!

أمسك بكفها وهو يعبُر بها البوابة الكبيرة الخارجية للقصر، ليمروا من خلال حديقة كبيرة تأملتها هند بإعجابٍ شديد، ليرفع بني النعمان ذراعه فانفتح باب القصر الداخليّ.

خطت هند ببطء لتقف في البهو الكبير وهي تدور بجسدها وتُديم النظر في تفاصيل القصر المُبهجة بسعادة حاولت إظهارها قدر ما استطاعت حتى تنسى خوفها من والدها وما حدث منذ قليل، توقفت عن الدوران تنظر إليه وهو يقول لها:

- هذا قصرنا.

أضاءت عيناها بسطوع ووضعت كفها على صدرها علّ قلبها يهدأ قليلًا من اضطرابهً بهذا الشكل، لقد أصبحت في كنف هذا القوي، الذي استطاع أن يحارب والدها وينتصر عليه، لا تصدق حقيقة ما جرى لها من أحداث متلاحقة، تنهدت بعُمق شعورها بالألم والدونية لسنوات، كانت فيها دُمية لوالدها يفعل بها ما يشاء..

مدت كفها الرقيق لتُمسك كفه بامتنان قائلة:

- لأول مرة أقف عاجزة عن التعبير عما بداخلي من سعادة،

ترقرقت عيناها بالدموع لتُكمل بشهقة خفيفة:

- لا يا نعمان.. أنا لأول مرة الآن أشعر بالسعادة.. بحقٍ أنا عاجزة عن شكرك.

ربت على كفها بحنان قائلًا:

- لا أريدك أن تشعري بالخوف من الآن، فأنا سأكون معكِ دائمًا، أخٍ وصديق مُخلص..

ارتعش كفها بين يده ليبهت ضوء عينيها بخفوت وهي تقول بتردد:

- أنت زوجي.. أليس كذلك؟!

ابتلع بني النعمان ريقه بصعوبة من الموقف الذي هو به الآن ثم سحب يده بخفة قائلًا:

- لا أحلُم بذلك يا هند، أنا تزوجتكُ فقط حتى أستطيع تعليمك السحر وحمايتك، عندما تُصبحين قادرة على حماية نفسك تسطيعين اختيار من يريده قلبكِ.

ثم حاول التخفيف عنها بقوله:

- هذا القصر ملك لكِ من الآن، وأنا سأكون ضيفك فيه.. تستطيعين فرشه كما تُحبين.

أبعد عينيه عنها واستدار وهو يُخبرها:

- سأذهب لوالدي، يجب أن أبرر له ما حدث، لأنني أثق أنه سيستدعيني الآن.

انتقلت هند لتقف أمامهُ بجسدٍ مُرتجف لتعترف له بما تخبئه مُنذ سنوات عن الجميع:

ـ أنت من اختاره قلبي منذ كثيرٍ من السنوات يا نعمان.

ضيق بني النعمان حاجبيه بدهشةٍ، ولكنهُ آثر الصمتُ لتُكمل هند بأنفاسٍ متلاحقة وكأنها تُجاهد لإخراج ما تحمله بداخلها:

ـ منذ أن بدأ والدي يُخبرني عنك وعن قوتك وحُسن تصرفك، منذ أن ظل عادور يُعيد عليّ بعد كل درسٍ للسحر أنك استطعت تنفيذ هذه التعويذة بكل سهولة، منذ أن زوجني أبي لعادور رغمًا عني وهو يقول لهُ..

«أريدها أفضل من بني النعمان»

منذ أن كنت أحاول كرهك لإعجاب والدي بك ومقارنته الدائمة لي، لأجدني أعود للإعجاب بك كلما سمعتُ عن انتصارٍ جديدٍ لك، بل الأكثر من ذلك هو دعواتي لك في جوف الليلً أن تعود سالمًا مع كل حرب تذهب إليها، كُل هذا وأكثر كنت أعيشه بمفردي، كنت أتجنب لقائك أو رؤيتك في أي احتفال للملوك لأحد انتصاراتك، حتى لا يزيد تعلُقي بك، كنت نقطة ضعفي يا نعمان لسنواتٍ طوال.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تقول بتأثُر واضح على صوتها المتهدج:

ـ حاولت التخلص منك بداخلي، لكني لم استطِع، فقد كنت أعود خائبة كل مرة، حتى تلاقت طُرقنا بمحض الصدفة، وقتها اختفيت، هربتُ، حاولت الاختباء منك بقدر ما أمكنني، لكن لم يكُن لدي القُدرة أن أرفض عرضك للزواج مني، وقد آلمني جدًا أنك تفعل ذلك لحمايتي، ولا أتمنى سوى أن تُقابل من تستطيع امتلاك قلبك هذا الذي تمنيتهُ يومًا؛ وسأظل أتمناه مهما حييت.

أنهتْ هند جُملتها وهي تستدير لتشعر به قد اختفى من المكان!

نظرت نحو مكانه الفارغ بحزنٍ شديد، لتجلس موضعها بقلب مُلتاع، فبعد ما أقرت بما يخالج صدرها منذ أعوام لا تستطيع الهرب الآن..

ذهب بني النعمان يبحث عن والده حتى وجده يجلس في مجلسه الموضوع في منتصف البهو، وجهه كان مُبتسمًا رغم نبرته الغاضبة التي تكلم بها معه:

ـ جئت كي تعترف على أي من مصائبك.. زواجك من هند دون علمي، أم عن استخدامك السحر على الملك الأحمر وجنوده.

لم تتغير ملامح بني النعمان المتجهمة وهو يجلس بجوار والده يزفر بضيقٍ قائلًا:

ـ لا هذا ولا ذاك.. قد جئتُك لأمرٍ آخر.

ردد الملك الأبيض بعبوسٍ يخالف شعور الفخر بابنه الذي يملأ صدره كلما جاءته أخبار عن أفعاله التي تنُم عن القوة والذكاء:

ـ كلي آذان صاغية.

سكت بني النعمان للحظات يحاول فيها أن يجمع عدة جُمل يشرح لأبيه بها ما يشعر به،

إلا أنه فشل في تحقيق هذا، فقرر أن يقول ما بداخله دُفعة واحدة:

ـ لقد اعترفت لي هند أنها تُحبني منذ زمنٍ بعيد، لقد شعرت تجاهها بعدة أشياءٍ لم أختبرها يومًا، اخترت أن أتزوجها وأحميها من أبيها، تمنيت في البارحة أن أجتمع بها، ولكن...

توقف بني النعمان هنيهة، فانتظره والده ليُكمل وهو ينصت له بكل تركيز:

ـ ولكن هناك شيئًا خفي بداخلي يأمرني أن ابتعد، يحاول تحذيري من شيءٍ أجهله، يوقفني كلما أردت الاقتراب، يكرر عليَّ في كل لحظة ألا أثق بها، وعندما قررت الزواج بها، حاولت إقناعه أني سأصبح لها أخٌ وصديقٌ فقط، وسوف أترك مسافة كافية بيننا كي تُأمنني، لكنها دكت حصوني في لحظةٍ واحدة عندما اعترفت لي بحبها،

هربت وجئت إليك كي ترشدني للطريق الصحيح.

نظر لوالده برجاءٍ قائلًا:

ـ أنا لم أُكذب يومًا حدسي، أرجوك يا أبي قل لي ماذا عليَّ أن أفعل؟

شعر الملك الأبيض بحيرة كبيرة مما يعانيه ولده، فهو مثل ولده لا يُكذب حدسه ولا يتجاهله لأنه دومًا على حق، بينما هناك احتمال ضئيل أن ابنه خائف من فكرة الحب والزواج، فهو ردد باستمرار أنه لا يرغب في أن يحب ويتزوج وهو مازال قائد الجيوش، خوفه من أن يكون سببًا في إيذاء من يحب، جعلته يخشى أن يقترب من أحدهم رغم كثرتهم حوله.

استمر نعمان في النظر لوالده يترقب سماع بعض الكلمات التي تريحه من تشتته، وضع الملك الأبيض يده على كتف ابنه قائلًا لهُ:

ـ الحب يا بني لا يأتي مع الثقة أبدًا.

نظر له بني النعمان باستفهامٍ فأكمل:

ـ في البداية لن تثق في قلبك واختياره، ثم ستُصبح متشكك في مشاعرك لفترة من الزمن، وحين تتأكد منها سينتقل الشك في من تُحب، هل سيتركك، أم سيخونك، أم الأسو سيغدر بك مهما حاول أن يُظهر عكس ذلك،

وحين تصل لكل ذلك وتتخطاه ستفقد الثقة فيمن حولك دونها، ستكون هي الحقيقة الوحيدة التي وجدتها، وقتها ستفقد حدسك معها للأبد، ولأجل أن تمر بكل تلك المراحل يجب أن تمنح الفرصة لقلبك كي يعيش ويُجرب، فلن تعرف معنى الحب ولا خسارته إلا عن تجربة.

اقترب بني النعمان من والده كي يحتضنه بقوة قائلًا:

- شكرًا لك يا أبي...

أبعده أبيه عنه مبتسمًا، ليقبل نعمان كفه بامتنان ليُكمل:

- على كل شيء.

ثم وقف ليغادر ليسمع صوت والده العالي وهو يقول له:

- لن تهرب من عقابك على ما فعلت.

انتقل بني النعمان لإحدى الكهوف الموجودة في باطن الأرض بالهند، ثم أخذ منه ما أراد بعد عدة دقائق من التنقيب وهو يبتسم بسعادة، ثم انتقل لبيتٍ يقصدهُ سوف يلبي لها ما تمنى؛

وفي طريقه أخذ يُفكر في أفضل طريقة يستطيع بها أن يبدأ مع هند حياة جديدة، وسيلة يعبر بها عما وصل له من قرار.

وصل لموقع سيدة من كِبار الجن طاعنة في السن، تعيش على قمة جبل (وستو) في كهفٍ حجري صنعته لنفسها بعيدًا عن القبيلة،

يتردد بني النعمان على زيارتها في بعض الأحيان، ولكنه اليوم يريد منها أن تصنع له شيئًا مُميزًا،

ألقى عليها التحية فتبسمت بسعادة لرؤيته، ثم دعته للدخول وهي تقول له:

ـ جئت اليوم لشيءٍ خاص، أليس كذلك؟!

دلف للداخل وهو يقول لها بخفوت:

ـ وكيف عرفتِ؟!

جلست على مقعدها وهي تشير له على يده قائلة:

ـ ناولني إياه..

مد بني النعمان يده بالحجر ليعطيه إياها وهو يقول لها برجاء:

ـ أريد منه خاتمان.

أومأت برأسها فأكمل وهو يدنو منها:

ـ أريد بهما رباط أبدي.

نظرت للحجر بتمعنٍ قائلة:

ـ كما ترغب.

انتظرها لنصف ساعة كاملة وهو يفكر فيما سيفعله مع هند حين عودته، انتهت العجوز، وخرجت من غرفتها تناوله الخاتمان قائلة:

ـ سعيدة بأنك وجدتها.

نظراته حملت معانٍ كثيرة، شعرت بها العجوز، فضيقت عينيها قائلة:

ـ لا تثق سوى بقلبك يا بني.

أخذ منها الخاتمان وشكرها عما فعلته لأجله، وانصرف وهو يفكر فيما قالته.

انتقل لقصره، فوجد هند جالسة في البهو، شاردة الذهن حتى إنها لم تشعر بقدومه، أقبل عليها بتردُد، ثم جلس بجوارها، ارتجت بخفة فتعجب نعمان قائلًا:

ـ إلى هذه الدرجة لم تشعري بوجودي؟!

أجْلت صوتها قائلة:

ـ أعتذر منك.. لقد سهيتُ قليلًا وانفصلت عن العالم الخارجي.

مد بني النعمان يده لها، ثم فتح كفيه ليظهر الخاتمان والحجر يلمع بهما،

نظرت للخاتم بيده ثم رفعت بصرها تنظر لوجهه، ثم أعادت النظر للخاتم دون تصديق قائلة:

- ما هذا؟!

رفع بني النعمان كتفيه قائلًا:

- ماذا ترين!

رددت بذهول:

من أين أتيت بالزفير النجمي؟!

تقدم منها وهو يجيبها:

- من باطن الأرض.

أمسكت بخاتمها تنظر له بانبهارٍ متسائلة:

- من أين عرفت أنني أعشق هذا الحجر!

أشار لها بعينيه نحو صدرها قائلًا:

- من قلادتك.

شعاع عينيها الذي أضاء من فرط بهجتها جعلته يُمسك بكفها ليلبسها الخاتم قائلًا:

ـ لا يجوز لكِ خلعه، لقد ربطه بخاتمي لنظل سويًا طوال العمر.

كاد قلبها أن يقفز من صدرها وهي تستمع لما قاله،

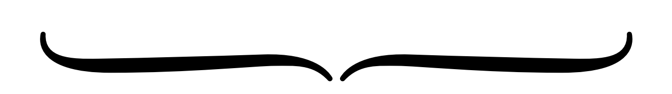
تاهت في نظرة عينيه وصوته الحنون، ولم تجد ما تقوله له سوى أن ترتمي على صدره بلهفة قائلة:

ـ لا أصدق أنك فعلت هذا لأجلي.

رفع وجهها وهو يمرر إبهامه على وجنتها قائلًا:

ـ لقد فعلت هذا لأجلي أنا يا هند.

لم يتحمل أن يكون قُربها بهذا الشكل، ليُقربها منه أكثر حتى هبط على شفتيها بقبلة كانت البداية .



الفصل الثامن

طوت روهان الكتاب الأول بعصبية مُفرطة حتى كادت تُمزِقه من غضبها الشديد بسبب ما قرأت في صفحاته، قذفته بعيدًا عنها بهياج وهي تزمجر بصوت مرتفع، لتنتفض إلينا بفزعٍ من نومها..

جلست على سريرها بقلقٍ، قامت لتطمئن على طفليها في فراشهما، ثم خرجت من غرفتها لتركض نحو غرفة خالتها.

هالها ما رأت لتشهق بمخافةٍ من المشهد أمامها، لقد حطمت روهان الغرفة بأكملها، وجدتها تجلس على مقعدها تلهث بتعبٍ إثر ما فعلته بالغرفة.

خطت إلينا بسرعة نحوها، ثم جلست أمامها على ركبتيها تسألها بذعر:

- ما الذي حدث يا خالتي لتفعلي هذا؟!

تجنبت روهان النظر إليها وهي تحاول جاهدة التماسُك، لتقول لها بحزم:

- عودي لأولادك يا إلينا، أنا لا أريد التحدث الآن.

تأملتها إلينا قليلًا، فهي لأول مرة ترى خالتها بهذا الغضب، ولأول مرة تُحدثها بهذا الجفاء، لم تجد شيئًا تفعله سوى الرضوخ لأوامرها في الوقت الحالي، فيبدو أن ما حدث معها لم يكن هينًا أبدًا، ويبدوا أن الأيام القادمة قاتمة للغاية.

خـرجـت إلـينا تجُـر قـدمـيها حـتـى وصـلت لـغرفـتها، تـأمـلت أطفالها النائمين بعمقٍ، ثم خطت لتجلس على فراشها تنتظر يوناس، عله يستطيع معرفة ما حدث مع أمه.

فـي هـذه الأثـناء اسـتدعـت روهـان زمـردة بـصوتٍ مـضطرب لتأتيها الأخيرة على عجل متسائلة:

ـ ما بك يا روهان؟!

توقفت عن الحديث وهو تنظر للغرفة بدهشة قائلة:

ـ ما الذي حدث هُنا؟!

وقفت روهان تحدقُ بها مطولًا، لتضيق زمردة عينيها القاتمة وهو تقول لها:

ـ ما بك يا فتاة! لمَ تتصرفين بغرابة هكذا؟!

انحت روهان لتلتقط الكتاب من فوق الأرض، لتضعه في يد زمردة بعنفٍ شديدٍ قائلة:

ـ اقرئي هذا..

نظرت زمردة للكتاب في يدها وهي تُخبرها:

ـ لا أستطيع قراءة لغة البشر..

صرخت بها روهان:

- زمرررردة.

رفعت زمردة كفها باستسلام، ثم قالت لها:

- حسنًا يمكنك أن تخبريني ما في هذا الكتاب بدلًا من إضاعة الوقت في قراءته.

ضمت روهان حاجبيها، ثم ضيقت عينيها بحنق جعل زمردة ترضخ لأوامرها دون أن تتكلم مرة أخرى.

سحبتها روهان من يدها لتجعلها تجلس على المقعد، ثم جلست على الفراش أمامها وهي تتأمل وجه زمردة وهي تقرأ ما كُتب بالداخل، كانت ملامح زمردة تتبدل مع كل صفحة تقوم بقلبها، حتى اكفَهّرّ وجهها وظل يتلون بألوانٍ عدة، ثم بدأت حدقتيها بالالتفاف سريعًا، وعندما عضت شفتيها السفلي بقوة، سحبت روهان الكتاب من يدها..

ابتلعت زمردة ريقها بصعوبة وهي تردد:

- لم انتهِ بعد.

أمسكت روهان بمرفقها لتَجُرها خلفها، ثم جلست على الفراش وأخذت زمردة بجوارها بهدوءٍ تام، قلقت زمردة مما تفعله روهان وما سوف تفعله معهم جميعًا وأولهم بني النعمان.

أمسكت روهان كلتا كفيها ببطءٍ وهي تقول لها ضاغطة على كُل حرف:

- أنتِ صديقتي الغالية منذ أعوام.. أليس كذلك؟!

حركت زمردة رأسها بقوة، لتُكمل روهان بثباتٍ تحاول إظهاره:

- لقد قرئتِ ما يكفي مما كتبته هذه المؤلفة، التي تدعي أنها لا تعرف شيئًا عن هذا العالم، ونعمان و يوناس يصرون على أن كُل ما كُتب في هذه الصفحات حدث بالفعل، وأنا وأنت تأكدنا الأن مما رأيناه أنها بالفعل كتبت تفاصيلًا كثيرة لَا يعلمها أحدًا غيرنا.

حدقت روهان بعين زمردة التي تحاول الهرب من نظراتها، لتهددها:

- أنتِ الآن تعلمين أن هناك جزءً كبيرًا لا أعرفه أنا، والآن سوف تخبريني كل ما حدث بالتفصيل.. أليس كذلك يا صديقتي الغالية؟!

خرج صوت زمردة مُرتجفًا وهي تقول لها:

- روهان أرجوكِ.. بني النعمان سوف يقتُلني.

ثم وقفت على عجل مرددة:

- أنا أرى أن يقُص عليكِ هو ما حدث أفضل.

وقبل أن تنهرها روهان، سمعوا صوت زيتون يُنادي زمردة كي ترى طفلتها الباكية..

تنهدت زمردة بقوة، لقد أنقذها زوجها من براثن روهان في اللحظة المناسبة، اختفت زمردة على الفور دون أن تنطق حرفًا آخر.

جهر صوتها المُغتاظ ليملئ الغرفة مرة ثانية، لم تجد أمامها سوى الإنسية التي كتبت هذه القصة، وقبل أن تخرُج من الغرفة كي تذهب إليها، تذكرت أنها أعادت مرارًا أنا مؤلفة وهذه القصص من خيالها الخصب، فمؤكد لن تعرف منها شيئًا هي بالفعل تجهلهُ.

أغلقت باب غرفتها لتدور حول نفسها تُفكر مليًا فيما سيكون عليها فعله بعد مواجهة بني النعمان، لتعود لنقطة الإنسية مرة أخرى، فما دامت تقول أن هذه القصص من نَسج خيالها، كيف عرفت كل المعلومات الموجودة عن بني النعمان؟!

ووصفت كل انفعالاته الحقيقية..

صكت روهان أسنانها بغيظٍ شديد، وقد وقعت في بئرٍ من الحيرة لا قرار لهُ، لا تجد من تتحدث معه، ولا تجد أحدًا يُمكنه أن يُخبرها حقيقة الأمر، توقفت عن الدوران حين وجدتهُ.

التقطت الكتاب من أعلى الفراش ثم انطلقت بسرعة فائقة من غرفتها، لتنزل للأسفل قاصدة قصر حماها العزيز، مؤكد الملك الأبيض لن يخشى بني النعمان، وأيضًا لن يكذب عليها..

وقفت أمام بوابة القصر وجسدها يرتعد بخوفٍ مما ستواجههُ، لقد أمست حياتها مع نعمان على المحكّ في بضعة ساعات قليلة انقلبت الموازين فيها رأسًا على عقب..

شجعت نفسها ببضع كلماتٍ وقلبها يصرخ بأملٍ أن يُصبح كل ما كُتب دربًا من الخيال، اعتصرت الكتاب بيدها وعقلها يصرخ بها، لقد اعترفت زمردة بملامحها أن ما خُط هنا هو حقيقة كاملة..

شعرت بأنفاسها تتلاحق بقوةٍ وكأنها تعدوا في سباقٍ سريع، تمنت للحظة أنها لم تطلع على هذه اللعنة، ولو أنها غلبت فضولها كان خيرًا الآن، لكن قد حدث ما حدث، دفعت باب القصر الداخلي، وصعدت الدرج بقدمين ترتجفين، والخدم حولها ينظرون نحوها بتعجب، فهي لم تأتي لهذا القصر بمفردها من قبل..

أمرت أحد الجنود أن يُبلغ الملك بوجودها، ورغبتها في رؤيته، وعلى الفور اختفي الرجل من أمامها قاصدًا غرفة سيدهّ ليُخبره بقدومها، لحظات مرت وهي واقفة أعلى الدرج تنتظر الإذن، ظهر الحارس أمامها قائلًا:

- تفضلي يا سيدتي.. الملك الأبيض ينتظرك.

تبعته ليدُلها على مكان مجلسهُ، حتى وجدت الملك جالسًا على مقعده ينظر لها بتساؤل، أحنت رأسها قليلًا بتحية إجلال، ثم خطت ببطء نحوه قائلة:

- أعتذر عن إزعاجك يا سيدي دون موعدٍ مُسبق..

ضيق الملك عينيه بتعجب قائلًا:

- ليس بين الأب والابنة مواعيد للقاء يا روهان، اجلسي وقولي لي ما الذي فعل هذا بوجهك..

تحسست وجهها بقلقٍ وهي تسأله بتوتر:

- ما به وجهي؟!

ابتسم ثم ردد بانزعاجٍ:

- وجهك حائرٌ، وحزين، بينما الوساوس تتراقص فوق ملامحكِ بقلقٍ واضح، اجلسي يا ابنتي وقولي لي ما بكِ، فأنتِ لن تلجئي لي إلا حين تصارعين مجهولًا لن تستطيعي مواجهتهُ بمفردك.

جلست روهان بتثاقُل على المقعد بجواره قائلة:

- لم أكن أعلم أن وجهي يقول كُل ما لا أقدر على التفوه به هكذا.

تزحزح الملك للأمام حتى يدنوا منها ليطمئنُها:

ـ وهذه ميزة فريدة، لا توجد عند الكثيرين.

رفعت بصرها تنظُر له، ثم ناولته الكتاب الذي طُويَ بين يديها، ليأخُذه منها وعلامات الاستفهام تظهر على وجهه، لتقول لهُ روهان بصوتٍ حزينٍ للغاية:

ـ أريد منك أن تقرأ ما بداخل هذا الكتب، وأرجوك أن تُخبرني الحقيقة..

رمقها بغضبٍ ، فأسرعت روهان للاعتذار له على الفور:

ـ أعتذر منك سيدي على تلفظي بهذه الجُملة، لكني مضطربة ومتشتتةٌ للغاية، فأرجو منك تفهُمي..

لم يتفوه بشيءٍ، لكنه تقبل اعتذارها وتجاوز عن ما تلفظت به دون قصد، فالملك الأبيض لم يُخفي يومًا الحقيقة لأجل أحد.

فتح الكتاب وبدأ بقراءة صفحة تلو الأخرى حتى توقف عند المُنتصف، وقد تلون وجهه بحفيظةٍ وهو يقول لها بصوتٍ مرتفعٍ وغاضب:

ـ من الذي تجرأ على كتابة هذا؟!

ابتلعت روهان ريقها بصعوبة، فهي في كل لقاء للملك الأبيض تشعُر برهبة جواره، فماذا وهو غاضب هكذا!

ارتجفت بخوف وهي تقول له بحروف متقطعة:

ـ كاتبةٌ إنسيه.. تَدعي أن ما كُتب هنا بقلمها هو نسجُ خيال، ولكن بني النعمان لم يُصدقها وجلبها للمملكة كي يعرف من أين جاءت بهذه المعلومات..

نهض الملك الأبيض من مقعده بسخطٍ وهو يقول:

ـ هذه ليست بمعلومات، هذه حياتنا بأكملها، ولم تذكُر حتى توقفتُ شيئًا لم يحدث، مستحيل أن يكون هذا نسج خيال، أريد رؤية هذه الانسية في الحال.

جُمدت روهان في مكانها، وهي ترجوه:

جُمدت روهان في مكانها، وهي ترجوه:

ـ أرجوك يا سيدي.. أنا جئتُ إلى هنا لأتيقن من شيءٍ واحدٍ.

على الفور فهم الملك مقصدها، ولكنه لا يستطيع تجاوز ما قرأهُ الآن، فهذا يُشكل خطرًا شديدًا عليهم..

وقف الملك بحيرة تُغلفهُ، فاستغاثت به روهان:

ـ أتوسل إليك يا سيدي أن تسمعني قليلًا وبعدها أفعل ما تشاء..

امتعض الملك الأبيض بسبب ما عرفتهُ روهان، فمؤكد هي لن تُسامح ولدهُ على ما أخفاه عليها السنوات الماضية، جلس مرة أخرى وهو يقول لها:

ـ ما الذي تُريدين التأكد منه؟!

اضطربت أنفاسها، وارتعش صوتها وهي تقول لهُ:

ـ هل صحيح أن بني النعمان قد تزوج سابقًا من جنية تُدعى هند؟!

داخلها كان يغلي مثل قدرٍ على نارٍ حامية، تتمنى أن يقول لها أن هذا لم يحدُث، تتوسل بداخلها أن يكذب عليها حتى لو حدث ذلك، هي الآن مع ما تراه من تعبيرات على وجهه لا تُريد معرفة الحقيقة، لكنها تخجل من الهروب منه في هذه اللحظة.

أجابها الملك الأبيض بوضوحٍ، وهو يحاول أن يُخفف وطأ الأمر عليها:

ـ بالفعل تزوج ولدي من هند بنت الملك الأحمر، لكن كان هذا قبل ولادتك يا روهان، بل كان من قبل ولادة أبيكِ بعدة شهور..

شعرت ببعض الراحة تسري في أوردتها، لكن ما قرأتهُ عن حبهُ الشديد لها، وعشقها لهُ، وموتها المأسوي وهي تحمل طفلتهُ، كُل هذا جعلها تتيقن أن من المستحيل أن يكون قلب زوجها لها فقط...

سألتهُ بتشكُك:

- هل ماتت بالفعل كما ذُكر؟!

لاحت على وجهه أمارة تعجبت لها روهان، ليجيبها سريعًا:

- نعم قد حدث ذلك أيضًا..

أخذت نفسًا عميقًا وسألتهُ بتوترٍ:

- ماذا فعل نعمان بعد موتها؟!

رفع الملك كلا كفيه وأسقطهما ثانية وهو يقول لها:

- ذهب للجزيرة التي تعرفينها.

قاطعته روهان مرددة بسخرية:

- مكانه المُفضل..

أكمل الملك الأبيض:

- نعم.. هذه.. ومكث فيها ثلاث سنوات بمفرده، ترك الجيش والمملكة، ولم يجرؤ أحد على الاقتراب منه حتى عاد إلى هُنا بعد مرور تلك السنوات وقد تبدل لشخصٍ آخر.

اكتفت روهان بما سمعتهُ من الملك، فهي لا تُريد تفصيلة أخرى ستجعلها تعاني لأيام، شكرته على أنه أراحها واستعدت للمغادرة بعدما أخذت الكتاب معها.

اوقفها الملك الأبيض وهي تنزل الدرج:

ـ لا تتعمدي العودة للماضي يا روهان، فلن تجدي سوى الألم.. تجاوزي الأمر يا ابنتي فهو إلى الآن لا يمسكِ بسوء..

التفتت لتبتسم لهُ بلُطفٍ قائلة:

ـ حسنًا يا سيدي، سأحاول فعل ذلك.

عادت لقصرها تنظر لجُدرانهُ بألمٍ يعتصر قلبها، فهي لا تستطيع تحمل فكرة أن تكون امرأةً سبقتها لقلبه، بل وفازت به، وليس هذا فحسب، ولكنها كانت زوجته وتحمل طفلته، نفضت رأسها سريعًا من الاسترسال في هذه الأفكار التي تشعل بداخلها نارًا تحاول إخمادها بكل ما أوتيت من قوة، لكنها لن تستطيع فعل ذلك هُنا.

وقفت في منتصف البهو تستدعي ولدها بصوتٍ حاولت أن يكون ثابت دون اهتزاز:

ـ يوناس.. احضر في الحال.

مرت عدة لحظات حتى وقف ولدها أمامها متسائلًا بقلق:

ـ ما بكِ يا أمي؟!

مسحت دمعة خائنة سقطت على جانب وجنتها سريعًا وهي تقول له:

ـ ليس بي شيء، لكني أريد الذهاب لخالتك الآن.

ضيق يوناس عينيه بدهشة قائلًا:

هل أخبرتِ أبي بذلك؟!

نظرت له بحنقٍ قائلة:

ـ لا.. ولا أريد أن تُخبره أنت.

وقبل أن يسألها ثانية، رفعت كفها أمامه لتأمرهُ:

ـ انقلني في الحال، وكفاك تساؤلات فارغة.

لف ذراعه حول خصرها بامتعاضٍ، ثم نقلها أمام منزل خالتهُ التي تنبذه هو وأبنائه إلى الآن، فممنوعٌ عليه هو ووالده دخول بيتها، بعدما قاطعتهم جميعًا لأربع سنوات بعد معرفتها بخدعتهم، تصالحت مع أختها وابنتها، ورفضت رفضًا تامًا قبول بني النعمان وابنه، حتى أحفادها تراهم مرة واحده كل عدة شهور، وإلينا تحاول قدر ما استطاعت ألا تُغضب والدتها ثانية، فهي بالكاد تمكنت من العودة لوالديها.

أشارت روهان لولدها أن يذهب قبل أن تطرق الباب، وبالفعل اختفى بانفعالٍ على تجاهل أمه له، ورفضها أن تتحدث معه عما بداخلها.

ضغطت روهان على جرس الباب بلطفٍ حتى لا تُفزع دانا، فتح عز الدين باب المنزل الخارجي، ليتهلل وجهه برؤيتها قائلًا:

ـ ما هذه المفاجأة السارة يا روهان! تفضلي يا غاليتي.

ابتسمت له روهان بودٍ وهي تحييه:

لقد اشتقت إليكم كثيرًا يا عز الدين.

تقدمها ليفتح الباب الخشبي المؤدي لداخل المنزل وهو يقول لها:

ـ ونحن أيضًا اشتقنا لكم كثيرًا.

ثم سألها عن ابنتهِ:

ـ لمَ لم تأتِ إلينا معكِ؟!

أجابتهُ روهان وهي تخطو بالداخل:

ـ لا تعرف بمجيئي.

شعر عز الدين بضيق روهان فقرر أن يتجاوز الحديث معها:

- أنرتِ المكان بأكملهِ.

ثم نادى على دانا بمرح:

- يا دانا لقد جاءنا عزيز لكِ.

طلت دانا من مطبخها تنظر عبر نافذة كبيرة على الصالة الخارجية:

- من جاء يا عز؟

رأتها تقف بابتسامة مرتعشة فهللت بسعادة:

- حبيبة قلبي وأختي الغالية.

ثم خرجت من المطبخ مُسرعة لتحتضنها بشوقٍ كبير، شعرت دانا برعشة أختها بين يديها، فأبعدتها لتحاوط وجهها بكفيها قائلة:

- ادخلي لغرفتك لترتاحي، فقد تبين الإجهاد على وجهك، دقائق وسأكون معكِ ولن أتركِكِ أبدًا.

ثم قبلتها على وجنتها مرددة:

- لقد اشتقتُ إليكِ أكثر مما تتخيلين.

احتضنتها روهان ثانية وهي تقول لها:

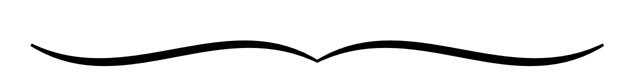
ـ وأنا أيضًا.

ثم تركتها ودلفت للغرفة التي صنعتها دانا من أجلها، لتُشبه غرفتها في منزل والدهم القديم، فهي تعرف كم تشتاق روهان لحياتها الماضية من حينٍ لآخر.

خلعت ملابسها ودخلت دورة المياه لتقف تحت شلال المياه الباردة بشرودٍ، تحاول أن تُخمد نيران قلبها المشتعلة، بعد عدة دقائق آلمتها قدماها من الوقوف مطولًا هكذا، فوضعت مأزرها على جسدها وخرجت بخطوات متثاقلة، ليرتعد جسدها بفزع حين وجدته يجلس على الفراش ووجهه محتقن للغاية مُرددًا:

ـ كيف تتجرئين على الخروج من القصر دون معرفتي يا روهان؟! منذ متى وأنتِ تفعلين ذلك؟!

الفصل التاسع



احتقن وجهها بغضبٍ وهي تحاول ألا تصرُخ به حتى لا تسمعها دانا:

ـ أجُننت أنتَ؟! ما الذي جاء بك إلى هُنا؟!

وقف أمامها يواجُهها بغضبٍ مُماثل:

ـ جئتُ لأرى زوجتي التي تركت بيتي لأول مرة مُنذ زواجنا دون إذني، والآن قد أجبتكِ.. وحان دورك.

أعرضت عنهُ، لتتخطاه نحو ثيابها، ثم أخرجت الكتاب من جيبها الذي وضعتهُ به، وقفت بانفعال لتدفعه بالكتاب على صدره مرددة بخفوتٍ وهي تصك أسنانها:

ـ إجابتي هُنا.

نظر للكتاب الذي بين يديه، ثم رفع نظرهُ إليها بتوترٍ واضح حاول إخفائه بقوله:

ـ من الذي أعطاكِ هذا؟!

زمت شفتيها بتهكمٍ وهي تقول:

ـ اممم.. يبدو أنك تعرف ما فيه جيدًا.

ثم ابتعدت عنه وجسدها يفور من الغضب، لتوليه ظهرها وهي تقول بشدة واضحة في كلماتها:

ـ اخرج من هنا في الحال.

شعرت به يقترب منها، فالتفتت سريعًا لتوقفه:

ـ إياك أن تقترب مني يا نعمان.. اذهب من هنا قبل أن تأتي دانا.

لمح الدموع في عينيها تجتهد ألا تسقُط، فأقبل عليها ببطء لتعود هي للخلف وهي تُحذرهُ بصرخات مكتومة، حتىً اصطدمت بالجدار خلفها، حاوط خصرها بذراعيه رغمًا عنها، بينما هي تدفعه بكل قوتها التي لا تؤثر به ولو قليل، نقلها لبيتهم في الجزيرة، لتصرخ به قائلة لأول مرة منذ أن عرفها وهي تدفعه ليتركها:

ـ أنا أكرهك ولا أريدك.. أعدني لبيت أختي.. الآن.

جزعَ بني النعمان مما سمعه، لتبتعد سريعًا عنهُ، وهي تنتفض من البرد والانفعال معًا..

حدق بها وبجسدها المُرتعش وقد آلمهُ قلبهُ لرؤيتها هكذا، حرك رأسه بحُزنٍ بالغ قائلًا:

ـ ما الذي تفوهتِ به الأن؟!

أجابته بنفس الانفعال:

ـ لقد سمعت جيدًا..

خرج صوتها يرتعد من برودة الجو، فأسرع نعمان نحو خزانتها، ليُخرج منها ملابس ثقيلة وعاد كي يلبسها إياها، أبعدته عنها وهي تأخذ الملابس من يده مرددة:

ـ لا تقترب مني مرة أخرى.. وهذا آخر تحذير لك..

كاد أن يُجن مما تفعله معه، وتقوله أيضًا.. لقد جُنت بالفعل.

أخذت الملابس ودخلت الغرفة كي تخلع مأزرها الذي نقلها به، وترتدي ملابسها الثقيلة قبل أن تتجمد من الصقيع..

انتهت من ارتداء ملابسها، لكنها مازالت ترتجف من البرد، جلست على الفراش خلفها وهي تضُم ركبتيها إلى صدرها، لعلها تشعُر بقليلٍ من الدفء، ثم أدامت النظر إليه، وقد تصور لها وجودهُ مع زوجته على هذا الفراش!

نهضت كمن مسها تيارٌ كهربائي، لتفتح باب الغرفة بعنفٍ شديد، وهي تصيح به:

ـ أعدني لبيت أختي.. لن أظل أرددها طوال اليوم.

استدار بملامح استياء شديد وهو يقول لها بصوتٍ شَجِيّ:

ـ ما الذي حدث لكِ لتكوني بهذا العداء؟! أنا حقًا لا أفهم!

تسارعت خطواتها بسخطٍ وهي تصيح به:

ـ ما الذي تريد أن تفهمهُ؟! إنك خائن، أم إنك كاذب؟!

أيهما تُفضل؟!

احتقن وجهه من اتهاماتها التي تُلقيها على مسامعه دون أن يرف لها جفن، وبخفةٍ دون أن تشعر حتى وقف قبالتها حد الالتصاق، ووضع كفه على فمها قائلًا:

- لا تتفوهي بشيءٍ آخر، فلن أستطيع تجاوز كُل هذا يا روهان.

أزاحت كفه من على فمها وهي تحاول أن تُفارق جسده، ولكنه أحكم ذراعه حول خصرها حتى يجبُرها على الاستماع لهُ، ظلت تتململ بين يده بجُهدٍ عظيم وهي تهتف به أن يتركها، حتى خارت قواها بين ذراعيه وتركت جسدها يتهاوى من شدة انفعالها وغضبها..

حملها نعمان بين ذراعيه بخوفٍ شديد، ليضعها على الفراش بلطفٍ وهو يتحسس وجنتها هامسًا لها:

- روهان.. حبيبتي.. أفيقي أرجوكِ.

وكأن النوم قد منحها فرصة كي تستعيد بعضًا من السلام النفسي الذي فقدته منذ أن عرفت بزواجه السابق.

جلس بني النعمان بجوارها عاجزًا عن فعل شيء، تأكد من أن جسدها وأعضائها الحيوية بخير، وتركها حتى تفيق بمفردها،

انتقل سريعًا للمملكة ووقف أمام غرفة الإنسية، حاول أن يهدئ من روعه حتى لا يؤذيها، فهو قد عاهد الحكماء ألا يؤذي إنسيًا قط، حتى لو استحق ذلك..

طرق الباب بقوة فلم يجد ردًا، وضع يده على الباب الخشبي ليتفقده بتركيز، فشعر بشيءٍ عجيب حدث داخل الغرفة، وعلى الفور انتقل للداخل دون أن يفتح الباب، فوجد المرأة ممددةٌ على فراشها في هدوء دون حياة!

اقترب منها يتأمل شكل جسدها الساكن بدهشة، يبدو أنها لم تُقتل! ولكنها كيف ماتت هكذا؟!

اقترب يلمس وجهها البارد بتأمل وهو يُغمض عينيه ويردد تعويذة تخبره ما الذي حدث لها في الساعات القليلة الماضية، لكنه فتح عينهُ سريعًا، وهو ينادي:

ـ يوناس.. أحضر في الحال.

حضر يوناس ليقف أمامه وهو ينظر للفتاة متسائلًا:

ـ ما بها الإنسية؟!

أجابه نعمان وهو يُغطي جسدها ووجهها:

ـ لقد ماتت.. أو لنقُل قُتلت.

ضيق يوناس عينيه وسأله بحنق شديد:

ـ كيف حدث ذلك! من الذي أقدم على قتل ضيفٍ لنا في بيتنا؟!

رفع نعمان كتفيه مرددًا بشرود:

ـ لم أرَ شيئًا يخُصها، لقد حدث أمرٌ خطيرٌ هُنا، ولكني عاجزٌ عن تفسيره.

لمح يوناس ورقة مُلقاة على الأرض، فانحني ليلتقطها، ثم فتحها أمام والده ليقرأ ما بها:

(وجدتُ أن الموت هو الحل الوحيد للخلاص، لذلك أرجو منك يا أمي أن تتفهمي ما فعلتهُ وأن توقني أنني الآن في مكانَ أفضل، وأنعم بحياةٍ سعيدة دون معاناة أو ألم؛ أنتظرك فيً الجنة دون فراق آخر..)

ردد يوناس بحُزنٍ:

ـ لقد قتلت نفسها.. ولكن كيف فعلت ذلك؟!

ثم أكمل بتفكُر:

ـ يبدو أنها تعاطت بعضًا من العقاقير السامة، لهذا ماتت بهدوء دون ضجيج، حتى لا يشعر بها أحدٌ منا.

نظر يوناس لوالده الواقف بشرودٍ قائلًا:

ـ ما الذي تُفكر به؟

رفع نعمان حاجبه وهو ينظر ليوناس قائلًا:

ـ ألم تُخبرنا هذه المرأة وهي تنوح أن لها أولادًا وزوجًا تريد العودة لهم!

هز يوناس رأسه هاتفًا:

ـ لمَ لم تذكرهم في وداعها؟!

ثم سألهُ:

ـ ألم يأتي بها بارئ؟!

أومأ نعمان، فنادي يوناس على بارئ ليأتيه الأخير على الفور، وقف أمامهم بتحية ليسألهُ يوناس مباشرة:

ـ من أين جئت بهذه المرأة؟!

أجابه بارئ بتعجُب:

ـ هي فتاة وليست امرأة.. وعرفتُ بيتها عندما طلب مني سيدي بني النعمان البحث عنها، ماذا بها؟!

نظر يوناس لوالدهُ بطرف عينيه وأمر بارئ:

ـ لقد انتحرت الفتاة، احملها من هنا وانقلها لفراشها.

ثم مد يده بالرسالة مؤكدًا عليه:

ـ وضع هذه الرسالة في غرفتها..

أحنى بارئ رأسه مرددًا:

ـ حسنًا.. سأفعل ذلك.

ثم نظر لبني النعمان ليسألهُ:

ـ هل تأمر بشيءٍ آخر يا سيدي؟!

أشار له نعمان بسبابته أن يفعل ما أمره به يوناس، فحمل بارئ الفتاة واختفى.

تأمل يوناس وجه أبيه المليء بالحيرة:

ـ لماذا ادعت هذه الفتاة أنها متزوجة ولها أطفال؟!

هل لكي تستعطفنا! لقد شعرتُ بالريبة من لقائها، والأكثر أنني لم أصدقها أبدًا في أن ما ذُكر في الكتب من خيالها، لقد وصفت كل ما يخُصنا بدقة لا نستطيع نحن وصفها..

أفاق نعمان من شروده وهو يضع كفه على كتف يوناس قائلًا:

ـ هي لم تكذب يا بني، لقد ظننت أنه خيال..

رفع حاجبه بغرابة:

- أتقصد أن هناك جنيًا قد أملى عليها ما كتبته!

اكتفى بني النعمان بإيماءة، فأردف يوناس:

- وهو من أمرها أن تدَّعي أنها زوجة ولها أطفال؟!

كيف فعل ذلك من خارج المملكة، الفتاة كانت بمفردها في الغرفة.

زفر نعمان بضيق قائلًا لهُ:

- هناك الكثير من علامات الاستفهام حول هذه الفتاة، وأهمها أنني لم أستطِع لأول مرة رؤية ما حدث لإنسي في الساعات الماضية، من الواضح أن من سيطر عليها يعرفني جيدًا، بل يحفظني عن ظهر قلب..

ثم تركه مُخبرًا إياه:

- سأعود لوالدتك ولن آتي اليوم للقصر، فاحذر جيدًا ممن حولنا.

ثم اتبع:

- جميعهم.. بلا استثناء يا يوناس..

عاد لروهان التي مازالت غافية على الفراش، جلس جوارها يُمرر أصابعه على خصلات شعرها الذي تسلل له اللون الرمادي بقوة، تأملها بعشقٍ وهو يتنهد بلوعة، هي غاضبة منه بشدة كما لم تفعل من قبل، توقف عما يفعله وهو يشعر بشيءٍ بيضاوي غريب تحت أصابعه..

في هذه اللحظة فتحت روهان نصف عينيها متسائلة:

ـ ما الذي حدث؟!

أجابها بابتسامةٍ قلقه:

ـ لقد أنقذني النوم من غضبكِ الثائر.

حاولت أن تجلس سريعًا وقد اغتمت عينيها مرة أخرى، ولكنها لم تستطِع فعادت للاستلقاء وهي تطلب منه:

ـ ناولني كوبًا من الماء.

على الفور جاءها نعمان بكوب ماءٍ تجرعته ببطء ثم أعادت له الكوب فارغ، ثبت عيناه على وجهها الحانق وهو يقول لها:

ـ يجب أن تتأكدي أنني لم أخدعكِ يومًا حين قُلت لكِ أني لم أعشق سواكِ.

ترقرقت عيناها بالدموع وهي تنظر له:

ـ أنت الآن تخدعني يا نعمان، لقد أحببتُها بل عشقتها وتزوجتها وكانت تحمل طفلتك، وانعزلت بعدها عدة سنوات لتعيش حُزنك عليها، فأرجوك لا تُراوغ الآن.

ليزداد اغتمامها وهي تنظر للفراش الذي يتكئ عليه قائلة:

ـ هل كان هذا فراشكم؟! أم أبدلتهُ لأجلي؟!

راقب ملامحها المُلتاعة بوجعٍ، ليثبت عيناه في عينيها قائلًا بصدقٍ:

ـ لم تخطُ قدمٌ هنا غيرك يا روهان.. صدقيني لم يأتِ أحدٌ قلبك ولن يأتيٍ أحدٌ بعدك.

سقطت دموعها عنوة، ليرفع كفه على وجنتها يُكفكفهما وهو يُحدثها باستياء:

ـ هوني عليكِ يا حبيبتي، اوقفي عقلك هذا عن التخيلات التي ستؤذيني قبل أن تؤذيكِ.

نظراتها التائهة جعلتهُ يضمها لصدره، وقد تعالت نبِضات قلبهِ بتأثرٍ شديد، فهو الآن خائفٌ لدرجة الارتعاب من فَقدها، ظل هكذاً لعدة دقائق أخرجت بها روهان كل ما تشعُر به من حزن على صدره، ثم أبعدته برفقٍ وهي تُجفف دموعها قائلة:

ـ أعدني لدانا، مؤكد ستكون غاضبة الآن لاختفائي.

اقترب بشوقٍ من شفتيها فأوقفته عن تقبيلها وهي تحول وجهها لاتجاهٍ آخر قائلة:

- أرجوك يا نعمان لا تضغط عليّ الآن، اتركني حتى أتقبل ما أخفيتهُ عني.

انفعل بشدة وهو يسألها:

- أنا لا أعلم حقًا عن ماذا تحاسبينني! عن زواج تم منذ عقود قبل ولادتك!

هزت رأسها نفيًا وهي توضح له بألم:

- لا.. بالطبع لا أحاسبك على ذلك، بل أحاسبك على إخفائك لهذا العشق الذي تُطلق عليه زواج، وكونك طمستُ هذا الجزء عني فأنت تحتفظ به داخلك، ولم يمُت كما أدعيت..

فلا تُحاول إظهاري بمظهر المجنونة التي تغار من امرأة ماتت منذ عقود كما قلت.

سألها بتعجُب:

- وهل تغارين من امرأة ماتت منذ عقود؟! حتى لو احتفظت بذكراها لنفسي ولم أخبركِ بها؟!

اعتدلت روهان في مجلسها بهياج مرددة:

ـ أنت قد اعترفت لي أنني أول امرأة تعشقها، لأكتشف بعد عشرون عامًا أنك تكذب عليَّ، وتجرؤ على قولك الآن أنني أغار؟!

نزلت من الفراش بغضبٍ لتُردف:

ـ من فضلك أعدني الآن لدانا.. لن أستمر في قول هذا طوال العمر..

رفع كلتا كفيه قائلًا:

ـ حسنًا يا روهان، سأعيدك لدانا ولكن علينا أن نتفق الآن..

قاطعته بغيظ:

ـ أنا لن أتفق معك على شيء، أنت الآن ستنفذ أوامري فقط.

ضيق عينيه وهو ينظر إليها مُرددًا:

ـ أكاد أجزم أنك تستمتعين بإذلالي.. أليس كذلك؟!

بخطواتٍ سريعة اقتربت منه لتدفعه بكلتا يديها في صدره قائلة وهي تصك أسنانها بحنقٍ:

ـ وأنا أكاد أجزم أنك لا تفهم حقًا ما شعرتُ به في الساعات الماضية.

أمسك بكلتا يديها سريعًا وهو يقربها منه أكثر ليهمس لها:

ـ بالفعل أنا لا أفهم.. ولكني سعيدٌ جدًا برؤية غيرتك القاتلة هذه.

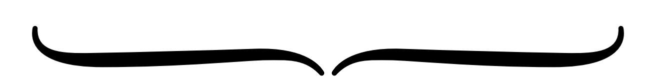
صرخت به:

ـ أنتَ أصبحتَ باردًا للغاية..

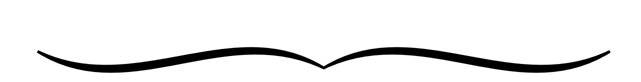
منعها من الابتعاد عنه وهو يزيح شعرها الثائر من على رقبتها قائلًا لها بخفوت:

ـ هذه الصفة أبعد ما تكون عني يا حبيبتي، فأنا مخلوقٌ من نار.

ثم قَبل رقبتها بنهمٍ، فتسارعت دقات قلبها الخائنة، وقبل أن تخضع لهُ، كان صوتٍ يوناس المذعور يملأ المكان...



الفصل العاشر



ردد نعمان بانزعاجٍ وهو ينظر لروهان:

ـ لو لم يكن شيئًا هامًا بالفعل.. سأقتلهُ.

لكزته روهان في كتفه قائلة:

ـ أعدني لدانا واذهب إليه.

ضمها لصدره وهو يقول لها بقلقٍ:

ـ حسنًا.. ولكن اليوم فقط، سوف آتي غدًا لنعود لقصرنا.

نظرت له روهان بتعجب قائلة:

ـ لمَ الغد؟! اتركني عندها بضعة أيام.

قَبَل جبهتها برقة لينقلها إلى هناك،

وحين وصلا أمام باب بيت دانا أردف:

ـ لا أستطيع البُعد عنكِ عدة أيام، وأنتِ تعرفين أن أختك لا تريدنا في بيتها، بالإضافة لأني قلقٌ على صحتك وأريد الاطمئنان.

ضيقت عينيها بتساؤل:

ـ ما الذي أثار القلق بداخلك، أنا بخير..

أمسك كفها ليُقبل باطنهُ وهو يقول لها بحزمٍ واضح:

ـ سأنتظرك هنا غدًا في العاشرة مساءٍ، لا تجعليني أضطر للدخول.

ثم تركها وانتقل ليوناس.

نظرت روهان لمكان اختفائه وأحست بقبضة قلبٍ قوية جديدة عليها، ولكنها تجاهلتها وطرقت الباب..

وصل نعمان لولده الذي وجده يدور حول نفسه بتوتر:

ـ ما بك؟! لماذا استدعيتني بهذه الطريقة!

قالها وهو يقترب منه، ليهمس له يوناس قائلًا:

ـ هيا بنا للغرفة المُحصنة.

تعجب بني النعمان من طلبه، فقصرهُ يخلو من الخونة منذ زمنٍ بعيد، لكنه أطاع ولده وانتقل الإثنان للغرفة المُحصنة ليُخبره يوناس باضطراب:

ـ عندما نقل بارئ الفتاة، خطر في عقلي أن أذهب لبيتها وأدخل غرفتها علنيَّ أصل لأية معلومة.

أنصت له بني النعمان بتركيزٍ، ليستطرد يوناس:

ـ لم استطِع دخول غُرفتها لأنهم كانوا يغَسلون الفتاة بها، فاستحرمتُ أنا أراها هكذا، مكثتُ في الخارج أحاول استراق السمع، فلم أعثر على أية معلومة من أهلها،

الكل أيقن من انتحارها، بينما والدتها الوحيدة التي تُردد أن ابنتها لم تمت منتحرة ولذلك استدعوا الشرطة كي تُحقق في الأمر، وهنا أوقفوا تغسيلها وتكفيناها، ذهبتُ مع الشرطة وهي تَنقلُها للمشرحة العامة، وقد علمتُ أن والدها له نفوذ في المدينة، لذلك حين وصولها المشرحة بدأ الطبيب في تشريحها على الفور، وهُنا دخلتُ كي أرى أية علامة على جسدها، وبالفعل وجدتُ ما كُنت أبحث عنه، وجدتُ وشمًا أسفل عُنقها وأعلى ظهرها، موقعهُ في المنتصف تحديدًا.

تركه يوناس وعاد يحمل ورقة وقلم وظل يرسم العلامة التي قام برؤيتها على عُنق الفتاة، ضيق نعمان عينيه وهو ينتظر مايرسمهُ ولده، وقد ذهب عقله لطريقٍ يتمنى من كل قلبهُ أن يوناس لا يصل له حالما ينتهي، أكمل يوناس وهو يرفع الورقة أمام والده قائلًا:

ـ كانت بهذا الشكل، حتى أن الطبيب توقف عندها للحظات، وقام باستدعاء أحد زملاؤه كي يعرفوا كنهها.

تلون وجه بني النعمان وهو يري العلامة التي كانت عبارة عن مُربع أسود بداخله كائن ذا رؤوس ثلاث:

الأول رأس ثور والثاني رجل مع تاج والثالث رأس كبش، ولديه ذيل ثعبان.

تساءل يوناس بتيه:

ـ هل تعرف من هذا الشيطان؟!

حرك نعمان رأسه نفيًا وهو يردد:

ـ لستُ متأكدًا مما لدي، لكني أعرف من سيزودني ببعض المعلومات.

ضم يوناس حاجبيه وهو يقول بتشوش:

ـ لا تفكر أن تذهب إلى هناك.

نظر له نعمان بتحدٍ واضح وهو يقول لهُ:

ـ ما رأيك أن نقوم بمراهنة بسيطة؟

هز يوناس رأسه بقوة:

ـ أبي هذا ليس تحديًا نستطيعُ أن نمرح به سويًا، الذي تريده فعله هو الانتحار بعينه.

حدق به بني النعمان بإصرار وهو يأخذ الورقة التي رسمها في يده، ثم اختفى من أمامه وهو يقول لهُ:

ـ سأعود في الغد، لا تترك القصر.

زفر يوناس بغضب وهو يقول:

ـ ويجرؤون على مناداتي بالمتهور،

(من شابه أباه فما ظلم).

ثم ترك الغرُفة المُحصنة بانزعاج، وانتقل لغرفة زوجته وولديه وقد تجهمت ملامحهُ بقلقٍ على والده.

وصل نعمان لجزيرة (القيامة)

وتقع هذه الجزيرة في أقصى جنوب شرق منطقة المثلث البولينيزي في المحيط الهادئ..

هذه الجزيرة النائية تتخذ شكلًا مُثلثًا واضحًا للغاية، لذلك وقف بني النعمان على قائمهُ الرئيسي، وضم كفيه ببعضها، لتتصادم به الرياح من الجهات الأربعة، ردد تعويذة الإيجاد، فتجمعت الرياح كلها حوله، حتى انتهى من ترديد كلماته، فتحرك الهواء للطرفِ الشرقي للجزيرة على القائم الجانبي، ثم ارتسمت على شكل رأسي وهبطت على الأرض، لتتنتشر بعد ذلك على سطحها بأكملها.

انتقل بني النعمان للموضع الذي أشارت عليه الرياح، وطرق بقدمه ثلاثًا ثم هبط للأسفل، وجد فراغًا كبيرًا في المنتصف، يربط به ممرُ طويل، خطى خطواته بحذر دون أن ينتقل بالاختفاء، لجهله بالمكان في هذا الجوف من الأرض.

وصل لنهاية الممر ليجدهُ مُكبلاً بالأصفاد المُثبتة بباطن الأرض، يُحيطهُ كرة نارية كبيرة، بينما هو يقفُ شاردًا داخلُها،

ضم نعمان كفيه، ثم رفعهما على فمه لينفث بداخلهما متمتمًا ببعض الآيات القرآنية، ثم نفخ بهما وهو يفرد كفيه، لتهبط النيران المشتعلة حولهُ وتتساوى بالأرض.

انتبه الشيطان لبني النعمان الواقف أمامه ليباغتهُ نعمان بالقول:

ـ سررتُ لرؤيتك يا عدار.

نظر عدار حوله بدهشة كبيرة:

ـ كيف دخلتَ إلى هُنا؟!

ابتسم له بني النعمان مُجيبًا:

ـ السؤال الصحيح هو، ما الذي جاء بي إلى هُنا؟

انتظر عدار على أمل أن يُخبرهُ شيئًا عن آنا، ليخيب ظنهُ عندما رفع بني النعمان الورقة أمامه متسائلًا:

ـ مؤكد أنت تعرف هذا رمز مَنْ مِنَ الشياطين؟!

أومأ عدار برأسه وهو يُحدثهُ:

ـ ما الذي تريدهُ تحديدًا؟

طوى نعمان الورقة في كفه وهو يقول لهُ:

ـ كل ما تعرفه عنه.

ـ وما الذي سأحصل عليه في المُقابل؟!

تفوه عدار بهذه الكلمات، فقهقه بني النعمان لأنه توقع ذلك، رمقه عدار بغضبٍ، فتوقف نعمان عن الضحك وهو يقول لهُ:

ـ ما الذي تريده أنت في المقابل؟!

أجابه عدار باستياء:

ـ ما دُمتُ قد ضحكت بملء فيك هكذا، فلابد أنك تعلم ماذا أريد،

لذلك لن أُطيل عليك الوقت، لأن جنود عقازئيل سيأتون بعد قليل.

أنصت بني النعمان لهُ، فأخبره عدار بما يريدهُ:

ـ يُسمى أسموديوس، هو الأمير المسؤول عن خطيئة (الشهوة).

أوقفه نعمان وهو يقول لهُ:

ـ لقد قابلتُ مامّون و لوياثان منذ زمنٍ بعيد.

هز عادر رأسه بإيجابٍ قائلًا:

ـ نعم.. فهو أخوهم الثالث.

في البداية كان يتغذى على ضحايا الشهوة الجنسية فقط، ثم قام بتوسيع عملهُ، كلما تقدم الزمن، ليشمل كل أنواع الشهوة مثل الشهوة للشهرة والمناصب و ما شابه.

ويُقال إن الذين يَخطون إلى خُطى الشهوة سيعاقبون للأبد على يده.

هذا بالنسبة لعمله، أما بالنسبة لجنودهِ فهو يُشرف على اثنين وسبعين شيطاناً تحت قيادته، ووصفهُ كما أريتني في ورقتك، بأنه ذو رؤوسٍ ثلاث، الأول رأس ثور والثاني رجل مع تاج والثالث رأس كبش، ولديه ذيل ثعبان.

قدراتهُ القوية..

ينفث النار من فمه ويمتلك رُمحاً ولعنة التنين.

شعر بني النعمان بحركة على سطح الجزيرة، في نفس الوقت الذي قال له عدار:

ـ اذهب الآن على الفور، لقد حضر جنود عقازئيل.

أعاد بني النعمان الدائرة النارية كما كانت، ثم شكرهُ على مُساعدتهِ، ليُحدثهُ عدار بقلبٍ مُلتاع:

ـ أريد أن أطمئن عليها.

اقترب منه وهو يشعُر بما يحترق داخلهُ، ليقول لهُ:

ـ هي بخير تمامًا.. لا تقلق.

وقبل أن يُغادر كان يحاوطهُ جنود عقازئيل الثلاثة، صرخ بهم عدار أن يتركوه، ولكنهم لم يستمعوا لهُ، بدأوا في محاربتهِ بكل ما أوتوا من قوة.

حاول نعمان التصدي لهم، ولكن جاء أحدهم من الخلف بغتة ليطعنهُ بقوةٍ، جعلتهُ يجثو على ركبته وهو يصرخ بصوتٍ مكتومٍ من الألم..

لم يتركوا لهُ ولو فرصة ضئيلة كي يلتقط أنفاسه، ورفع الثلاثة سيوفهم كي يُجهزوا عليه.

هنا تدخل عدار حين حرر أصفادهُ ولفها حول أجسادهم، نظر له الجميع بتعجب، ليبتلع نعمان ريقهُ بصعوبةٍ، وهو يردد تعويذة تنقله لمملكته، لأن إصابته لن تجعلهُ يستطيع التحرُك.

صرخ به عدار:

ـ أسرع أيها العفريت، لن أستطيع الصمود للحظات أخرى.

أومأ له نعمان برأسه، ثم نظر له نظرة امتنان فهمها عدار، وقبل أن يُتم تعويذته ويختفي، حاول التحدُث إلى عدار بخفوت ليسألهُ:

ـ ما دُمت تستطيع تحرير نفسك.. لِمَ تظل داخل هذا السجن؟!

أجابه وهو يُمسك السلسال الحديدي الذي يُحيط بالجنود بكُل قوته:

ـ سأخرج منه لمن! آنا لا تريد رؤيتي، اذهب الآن فلم يعُد هناك وقت.

أتم نعمان جُملته وانتقل للمملكة وهو ينادي يوناس بوهنٍ جسيم.

وفي هذه الأثناء طرقت دانا على باب غرفة روهان وهي تجُر أمامها طاولة خشبية صغيرة، تضعُ عليها كعكة روهان المُفضلة بنكهة البرتقال، وبجوارها فنجانان من الشاي الأسود الخفيف، تتراقص داخله أوراق النعناع الطازجة.

فتحت روهان باب الغرفة لأختها، ليتهلل وجهها بسعادة غامرة وهي تُغمض عينيها تستنشق رائحة النعناع المنعشة وهي تُردد:

ـ لا أعرف كيف أشكرك على هذا.

وضعت دانا كفها على وجنة أختها قائلة بشجنٍ:

ـ لا أريد شكرًا، بل أريدك أن تُخبريني ما بك منذ عُدتِ البارحة.

ربتت روهان على كتف دانا وهي تتنحى من أمامها قائلة:

ـ لقد أحضرتِ لي رشوة كي أفتح لكِ قلبي.

وقبل أن تنطق دانا ضحكت روهان قائلة:

ـ حسنًا، وأنا قبلتُ الرشوة، تعالي لنجلس وسأقص لكِ ما حدث.

جلست دانا بوجهٍ مرح، وجلست روهان أمامها، ناولتها دانا فنجان الشاي الساخن، الذي تتطاير منه الأبخرة، لترتشف منه روهان رشفة بمُتعة كبيرة وهي تقول لدانا:

ـ لا حرمني الله منكِ حبيبتي، ولا من فنجان الشاي خاصتك.

ثم تطلعت لأختها ليتغلف صوتها بنبرة حزنٍ ما زالت هي المُسيطرة عليها:

ـ لقد اكتشفتُ بعد عشرون عامًا من زواجي بنعمان، أنني زوجته الثانية.

شهقت دانا بفزع قائلة:

ـ ماذا؟!

هزت روهان رأسها بتأكيد، ثم انحنت لتضع الفنجان أعلى المنضدة، لتشعر بدوارٍ مفاجئ جعل الفنجان يقع من يدها،

وقفت دانا بهلع، لتُسرع نحوها قائلة:

- ما بكِ حبيبتي؟! هل أنت بخير؟!

أجابتها روهان وهي تفتح عينيها:

- أنا بخير لا تقلقي، فقط دوار يُصيبني منذ فترة قليلة، لا أعرف سببه.

سألتها دانا بغضبٍ:

- ألم تجري فحوصاتٍ لتطمئني على صحتك؟!

حركت روهان رأسها بإهمال قائلة:

- نعمان قال لي أنه سيأخذني اليوم في العاشرة مساءً كي يذهب بي للحكماء، رغم أنني لم أحدثه عن هذا الدوار من قبل.

حدثتها دانا بضيق:

- أنت حقًا مُهملة لأقصى حد، دعكِ من زوجك اليوم، وفي الصباح سنذهب سويًا للمشفى الكبير هُنا وهم سيفعلون معكِ اللازم.

لم تعارضها روهان لأنها تعرف أختها، ستنهرها وتوبخها وتغضب منها إن اعترضت وأصرت أن تذهب الليلة مع زوجها، فآثرت الصمت.

جلست دانا بجوارها وهي تضمُ كف روهان قائلة:

ـ اكملي ما حدث، من أين عرفتِ بزواجه الأول؟!

تأوهت روهان بخفةٍ:

ـ قصة طويلة، الأهم أنني علمت بالأمر، والمؤلم أنه لم يُنكر عشقه لها، بل أقر به واتهمني بالغيرة.

سألتها دانا وهي ترفع حاجبها بغيظ:

ـ وأين هي الآن؟!

مالت روهان برأسها مُجيبة:

ـ ماتت وهي تحمل طفلتهُ.

تركت دانا كفها بضيقٍ لتردُف:

ـ أتغارين من امرأة ميتة؟!

زفرت روهان بألم ليعلو صوتها:

ـ تقولين مثلهُ يا دانا! لا أحد يفهم حقًا! حتى أنتِ؟

ربتت دانا على كتفها قائلة بهدوء:

أعتذر منك، بُوحي لي عما شعرتِ به.

التقطت روهان أنفاسها المتهدجة بتعبٍ واضح:

- أنا لم أغَر منها يا دانا، أنا غضبتُ وحزنتُ لعدم معرفتي بالأمر، لقد ظننتُ أنه لم يعشق غيري، لقد حارب للفوز بي، فكيف بعد هذه السنوات تريدون مني أن أتجاوز معرفتي بأنه فعل مثل هذه الأمور مع امرأة غيري.

أدمعت عينيها لتُكمل:

- لقد تزوجها يا دانا، هل تدركين ما أقوله، عاشراها وحملت منه جنينًا في أحشائها، أكاد أُجن كلما تخليتهما معًا.

ثم رفعت كفها تعُد عليها إصبعًا يلي الآخر لتستطرد:

- هل ألقى على مسامعها كلمات الغزل التي يخصني بها؟!

هل حارب لأجلها مثلما حارب للفوز بي؟!

هل عشقها بقوةٍ وضحى لأجلها بعداء قومه؟!

ألقت كفها بتعب على ركبتها قائلة:

- والإجابة هي نعم بكل تأكيد، مهما حاول أن يُخفف عليَّ وطأ ما حدث، صدقيني يا دانا لن أستطيع تجاوزه أبدًا، حتى لو كانت ميته.

قربتها دانا منها لضمها بقوةٍ وهي تربت على ظهرها تواسيها:

ـ لقد شعرت بكُل ما تعانيه الآن يا روهان.

ثم أبعدتها لتزيح دموعها قائلة:

ـ ولكن صدقيني، ستتجاوزين كُل هذا ما دامت هي رحلت عن هذه الدنيا.

ابتلعت روهان ريقها بصعوبة وهي تقول لها بألمٍ:

ـ لقد انعزل عن عالمه ثلاث سنواتٍ كاملة بعد موتها يا دانا، هل تُدركين ذلك؟!

ابتسمت لها أختها قائلة:

ـ أنا أكثر من مُدركة لذلك.

توقفت روهان لتشهق:

ـ يا الهي، عز الدين، لا أستطيع أن أصدق أنني تجاوزتُ هذا الأمر لدرجة النسيان.

وضعت دانا كلتا كفيها على وجنتي أختها قائلة بشجنٍ:

ـ جميعًا تجاوزناه يا حبيبتي، لذلك أخبرتك بالحقيقة.

ابتسمت لها روهان لتحتضنها ثانية وهي تُتمتم:

ـ أشكرك على تفهمك وإراحتك لي.

طرقُ عز الدين على باب الغرفة، جعلتهم يبتعدون عن بعضهم البعض، لتخبره دانا بالدخول، عبر عز الدين الباب وهو يقول لهم بمرحٍ:

ـ لقد اشتريت لكما كل ما تحبونه من مُقبلات، هيا بنا لنجلس سويًا أمام التلفاز، فاليوم يعرضون فيلمًا سينمائيًا للمرة الأولى.

ثم شجعهم بحماسٍ:

ـ هيا يا فتيات، هيا اتبعاني.

وقفت دانا تردد:

ـ لن يكبر هذا الرجل أبدًا.

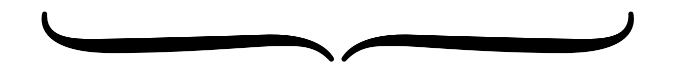
وقفت روهان بجوارها قائلة:

ـ لديكِ نعمة لا تدركين قيمتها.

ومع لفظ آخر كلمة لها، عاد لها الدوار بقوة جعلها تترنح يُمنة ويُسرة حتى فقدت اتزانها، أمسكت جانب رأسها لتتأوه بألمٍ شديدٍ لعدة لحظات، ثم صمتت فجأة ووقعت أرضًا فاقدةً للوعي!

لتصرخ دانا بأعلى صوتها:

ـ أغثني يا عز الدين...



الفصل الحادي عشر



جاء يوناس لأبيه ركضًا وهو يصيح بالحكماء..

جلس على ركبتيه بجوار والده، الذي تمدد على ظهره وهو يُقاوم الوجع بكل ما استطاع من قوةٍ، ليقول له يوناس بغيظٍ:

ـ لقد حذرتُك يا أبي، لمَ تُخاطر هكذا بنفسك؟!

أخذ بني النعمان أنفاسهُ بصعوبة وهو يحاول أن يبتسم لهُ:

ـ لقد كسبت الرهان هذه المرة أيضًا..

بدأ يقاوم انغلاق عينيه، ليصرخ يوناس ثانية بالحكماء حتى تجمعوا حولهم، نقلوه لفراشه على عجلٍ، ثم بدأوا بمداواته..

وقف يوناس والقلق يأكل جسدهُ وهو يراهم قد تجاوزوا الساعتين، وهذا يدُل على أن جُرح والده غائرٌ للغاية..

استدعته إلينا بصوتٍ باكٍ، فذهب لها على الفور ليجدها تجوب الغُرفة بفزعٍ وهي تمسح دموعها:

ـ هل انتهوا؟!

ـ هز رأسهُ نفيًا، بينما وجههُ يحتقن بالدماء غضبًا من والده.

حاول طمأنتها لتهدأ، فضمها لأحضانه قائلًا:

ـ لا تخافي هكذا.. فبني النعمان لن يموت اليوم، أنا أثق في ذلك.

أبعدت رأسها عن صدره وهي تسأله باضطراب:

- هل عرفتْ خالتي شيئًا عما حدث؟!

أجابها سريعًا:

- لا... لا... فأنا أحمدُ الله أنها ذهبت لأمك البارحة، لو كانت هُنا الآن لأصابها مكروهًا من رؤية أبي بهذه الطعنة.

تنهدت إلينا براحة وهي تقول:

- هي تدابير الله، فهو يعلم ما لا نعلم.

نادى الحكماء على يوناس فتركها وهي تؤكد عليه:

- طمئنني على الفور يا يوناس، لا تتركني هكذا أرجوك.

خرج يوناس من غرفته، ليجد الحكماء يصطفون أمام غرفة بني النعمان وجوههم تعلوها أمارات من السكينة و الهدوء.

التقط نفسًا عميقًا وهو يقول لهم:

- هل أصبح بخيرٍ الآن؟!

تقدم أحدهم ليُخبرهُ:

- لقد عرض حياته للخطر بشدة، ولسوء حظه أن من طعنه قام بذلك في جُرحُه القديم، ولكن كان الله معنا واستطعنا انقاذه بصعوبة عليه الآن الراحة، ولا تجعلهُ ينتقل لأي مكان لمدة ثلاثة أيام فقط، وسوف نتناوب على مراقبته في هذه الأيام.

شكرهم يوناس بشدة، ثم ودعهم ليذهبوا إلا واحدٍ منهم الدور على مناوبته اليوم.

التفت ليدخل غرفة أبيه، فوجد جَده جالسًا بجواره، ابتسم له قائلًا:

- مرحبًا يا جدي.

أجابه الملك الأبيض:

- مرحبًا يا بني.

ظل يوناس على باب الغرفة ليُخبره:

- حسنًا.. ما دُمت هنا سأذهب أنا كي أُطمئن إلينا أنه أصبح بخير.

أومأ لهُ جده، فأحنى يوناس رأسه وذهب.

نظر الملك الأبيض لولده الفاقدُ للوعي أمامه قائلًا:

- بالله عليك.. ما الذي تفعله بنفسك هكذا يا بني.

ثم زفر بضيقٍ مُردفًا:

ـ للمرة الثانية تؤلم قلبي العجوز بفقدانك.

فتح بني النعمان عينيهُ ليبتسم نحو أبيه مرددًا بضعفٍ:

ـ لا تقلق عليّ أيها العجوز.. فلن أرحل وأتركك.

ابتسم الملك الأبيض رغمًا عنه، ثم انحني ليُقبل جبينه قائلًا:

ـ حمدًا لله على سلامتك أيها الشقي.

تغيرت ملامح بني النعمان وهو يسأل والده:

ـ ما الساعة الآن؟!

تعجب أبيه لسؤاله، ولكنه أجاب:

ـ العاشرة والنصف.

انتفض بني النعمان، ليتألم بوجعٍ من تحركه المفاجئ، فأوقفه والده:

ـ أجننت أنتَ! ما الذي تفعله؟!

ردد نعمان بصعوبةٍ:

ـ روهان تنتظرني.

صاح به الملك:

ـ سيأتي بها يوناس، يجب أن تستريح لثلاثة أيامٍ.

اعترض نعمان وهو يحاول القيام من فراشه:

ـ لو وَجَدت يوناس مكاني ستفزع، فأنا أعرفها جيدًا.

أمسك الملك ذراعَهُ بقوة وهو يزعق به:

ـ يوناس سوف يُقلها في لحظات، لا ضرر من فزعها لثوانٍ قليلة يا نعمان.

حاول بني النعمان سحب ذراعه من كف أبيه وهو يقول له:

ـ أنت لا تعرف شيئًا يا أبي، صدقني أنا أشعر بشيءٍ مُخيفٍ تجاهها، يجب أن أذهب الآن.

دوى صوت الملك بإسم يوناس، الذي جاء بهلعٍ ليرى والده يحاول الوقف باستقامة، بينما يُمسك جده بذراعًه وهو يزعق به:

ـ اذهب إلى أمك وانقلها إلى هُنا على الفور، فهذا المجنون يريد الذهاب إليها وهو في هذه الحالة المُزرية.

حرك يوناس رأسه بنفاذ صبرٍ ثم انتقل لبيت خالته دون أن يجادل والده، فهو عند أي شيءٍ يُخصها لا يستطيع أحدٍ إيقافه.

هبط أمام المنزل المُظلم لينظر نحوه بتعجُب، لم ينتظر كثيرًا وانتقل للداخل ليجده فارغًا، لا يوجد أحدٌ منهم في المنزل! الآن!

أصابهُ القلق في مَقتل، وقف للحظات عاجزًا عن التفكير، وكل ما يجول بخاطرهِ الآن أفكارًا سوداء.

وضع يدهُ على رأسه، ثم أسرع ليُخرج سواره كي يرتديه.

تحول لوجه غيثٍ وجسده، وهكذا استطاع أن يطرق على المنزل المجاور ليسألهم عن خالته وأمه، فتحت لهُ سيدة خمسينية ليسألها بلُطفٍ:

ـ أعتذر لإزعاجكِ يا سيدتي، لكني أريد السؤال عن السيد عز وزوجته هل تعلمين أين هم ؟

سألتهُ السيدة بتودُد:

ـ من أنت؟!

أجابها بابتسامةٍ هادئةٍ:

ـ أنا زوج ابنتها، وقد جئتُ لأرى أمي التي هي شقيقتها، فلم أجد أحدًا بالمنزل.

ظهرت ملامح الأسف على وجه السيدة وهي تقول لهُ:

للأسف لقد أتت عربة الإسعاف لمنزلهم منذ ساعة أو يزيد.

ارتعب يوناس ليستفسر منها:

ـ هل تعلمين جاءت لمن؟!

حركت السيدة رأسها نفيًا، ثم قالت لهُ:

ـ لكن عربة الإسعاف هذه تخُص المشفى الرئيسي.

أخبرته بمكان المشفى، ليشكرها حالما انتهت على تعاونها معه ، وتركها وذهب.

شعر بالقلق الشديد عليهم، فخلع السوار وانتقل إلى هُناك، بحث عنهم في اقسام المشفى جميعها بتوتر كاد أن يقتُلهُ، فهو لا يعلم إلى الآن من المصاب منهم.

هل خالته أم زوجها أم تكون أمه!

سيطر على تفكيره عند هذا الحد وهو يتوسل برجاءٍ داعيًا الله أن لا تكون هي.

لمح زوج خالتهُ من بعيد فاقترب منهم ببطءٍ وروية، فوجد خالته تقف بجواره تبكي بحُرقة على كتف زوجها!

توقفت أنفاسهُ في حلقهِ، وتجمدت قدماه وهو يقف أمامها وهم لا يرونهُ، ظل على هذه الحالة من الشلل المؤقت، وهو لا يعرف ما الذي حدث لأمه،

ولا يوجد لديه استعداد ليسمع خبرًا سيئًا كالذي يجوب عقلهُ عنها الآن، خرج الطبيب من الغرفة التي يقطُن بابها خلف خالته، لتُسرع دانا وعز وهما يحاوطان الطبيب، لتسألهُ دانا برجاءٍ:

- أرجوك طمئنني على أختي؟!

ملامح الطبيب المتجهمة جعلت يوناس يظل مكانه دون حَراك، نظر الطبيب لدانا بشفقةٍ وهو يُخبرها عن حالة روهان:

- للأسف جميع الفحوصات كانت بنتيجة واحدة، وهي أن السيدة روهان تعاني من ورم كبيرٍ في المخ، وفي مراحل متأخرة، لا أعلم كيف احتملت الألم والدوار الفترة الماضية.

أجهشت دانا في بكاءٍ مريرٍ، بينما دمعت عين عز الدين وهو يُربت على كتف دانا ويسأل الطبيب:

- ألا يوجد أملًا ولو ضئيلًا في شفائها؟!

حرك الطبيب رأسه بأسى.

لم ينتظر يوناس أكثر من ذلك، بل انتقل لداخل الغرفة التي تنام بها والدته، نظر نحو جسدها المترامي على الفراش بوجعٍ لم يستطيع تحملهُ، فضمها لصدره وهي مازالت نائمة وردد بخفوت:

ـ كوني بخير لأجلي يا أمي.. أرجوكِ.. أنا لن أستطيع العيش دونك.

ثم حملها على ذراعيه وانتقل بها للمملكة، تاركًا صفير الأجهزة التي كانت موصولة بها تدوي خلفه.

وجد الحكيم ما زال يقفُ أمام غرفة والده، فدلف لغرفته ووضع أمه على سريره، بينما شهقت إلينا بفزعٍ قائلة:

ـ ما بها خالتي؟!

لم يستطِع يوناس إجابتها، فنظر لها بتيه وهو لا يعرف كيف يُخبرها ما حدث، حرك رأسه بقلة حيلة وانطلق خارج الغرفة ليطلب من الحكيم أن يفحص والدتهُ.

دخل الحكيم للغرفة وتركهُ يوناس مع إلينا، ودخل لغرفة والده الذي ما زال يتشاجر مع جده بأن يتركه قائلًا:

ـ لقد تأخر يوناس، هناك خطبٌ ما أنا أثق بحدسي.

بينما يقف الملك حائلًا بينه وبين الباب لا يدعه يذهب وهو يرجوه:

ـ أرجوك يا بني انتظر قليلًا بعد.

حاول يوناس أن يتماسك من خلفهما، ثم أوقفهم قائلًا:

- اهدأ يا أبي لقد جئتُ بها.

تقدم نعمان منه بدهشة ليسألهُ:

- أين هي؟!

أجابه يوناس وهو يحاول ألا يشعر والده بشيءٍ مما عرف:

- لقد دخلت لغرفة إلينا، فأنت تعلمُها جيدًا مؤكد خالتي أوصلت لابنتها عدة أشياء لذلك اتركهم كي ينتهوا.

ثم أكد عليه يوناس:

- لا تفزعها أرجوك، دعها حتى تأتي إلى هنا بمفردها.

ضيق نعمان عينيه مرددًا:

- ما بها روهان؟!

صاح به الملك الأبيض:

- ما بك أنت! لقد أخبرك أنها بخير.

خطى نعمان ببطء من الألم الذي ما زال يشعُر به، أقبل عليه وهو يُحدق بعينه قائلًا بإصرار:

- قُص عليّ ما حدث معك هُناك.

١٦٠

ثم رفع سبابته أمام وجهه محذرًا إياه:

ـ وإياك والكذب.

فكر يوناس قليلًا قبل أن ينطق:

ـ حين ذهبت لم أجد أحدًا منهم في المنزل، لبستُ السوار وسألت أحد الجيران، فأخبرتني السيدة أن..

توقف حين صرخت إلينا بأعلى صوتها بانهيارٍ تام، وهي تطرق باب غرفة بني النعمان..

فتح يوناس الباب على الفور وهو يُمسك ذراعها يجُرها للداخل قائلًا:

ـ هل جُننتِ.. ما بك؟!

وضعت يدها على صدرها وهي تبكي بحُرقة، قائلة بلهاث:

ـ لقد أخبرني الحكيم أن خالتي روهان...

أوقفها صراخ بني النعمان بولده:

ـ تنحَّ جانبًا.

ثم خرج من الغرفة مُسرعًا يتحامل على نفسه، حتى وصل لغرفة يوناس، فوجد الحكيم يقف أمام الغرفة ووجهه قلق للغاية، قلبهُ يعتصره الألم، وجسده بدأ بالارتعاد وهو يسأله:

- ما بها زوجتي؟!

أجابه الحكيم وهو يطرُق بعينه للأسفل:

- تعاني من ورمٍ كبيرٍ في المخ ، نعجز عن مداواته .

قبض بني النعمان على رقبته بغضبٍ قائلًا:

- أريد رؤية كل حكيم على هذه الأرض، الآن.

ثم تركه ليختفي من أمامه بعد أنا كاد يختنق، ليدخل الغرفة مُسرعًا، تعالت دقات قلبهُ برعبٍ عليها، لا يتخيل حياته دونها، عاش لسنوات يراقب جسدها الذي يضعُف بعجزٍ جعلهُ يجوب الأرض حتى يجد لها عقارٍ يُحسن من وضعها الصحي، دومًا كان يمنع عقلهُ أن يسترسل في أفكاره التي تؤدي إلى احتمال عدم وجودها يومًا.

تنهد بقوة وقد بدأ يبحث في عقله عن أي شيء تعلمه في السحر يستطيع انقاذها، أو حتى جعلها تتحمل حتى يجد الحل..

لقد أخبره ذات مرة حكيمًا طاعنًا في السن، أن الكتاب الذي ظل داخلها سنوات جعلها أقوى وجعل تقدُمها في السن أبطأ،

وبالفعل هذا ما حدث إلى الآن، ما الذي أصابها إذاً..

سمع صوتها تأِن بخفوت، فدنا من الفراش بتمهُل كي يتمالك نفسه،

١٦٢

أمسك بالمقعد جواره وقد خانته قدماه لأول مرة في حياته، فأغمض عينيه وهو يصك أسنانه بقوة، هو بني النعمان من أقوى أقوياء الجان، لا يجوز له هذا الضعف والوهن..

مؤكد سيجد حلًا..

بدأ يُردد بعضًا من الأدعية إلى أن فتح عينيه واستقام بجسده، اقترب منها فوجدها بدأت في استعادة وعيها، حبيبته ُالمُقاتله..

جلس بجورها وهو يتلمس وجهها قائلًا:

ـ لقد أصبح نومك هذا كثير، لن أتحمل هكذا.

ضمت حاجبيها بألمٍ واضح وهي تقول لهُ:

ـ ما الذي حدث لي؟!

أمسك خصلات شعرها الطويلة ليمررها بين أصابعه وهو يُجيبها:

ـ لا أعلم، لقد انتقل يوناس لبيت دانا ونقلك إلى هُنا.

حاولت الجلوس بضعفٍ قائلة:

ـ لقد كُنت مع دانا وعز الدين، وفجأة شعرت بدوارٍ جعلني أفقد الوعي.

ظهرت ملامح الغضب على وجهه وهو يسألها:

ـ منذ متى وعدم الاتزان هذا يطاردكِ؟!

رددت بعدم اهتمام:

ـ على ما أتذكر منذ عدة شهور.

حاول أن يُهدئ من روعه:

ـ ولمَ لم تُخبريني من وقتها؟!

أجابته وهي تنظر لوجهه بغرابة:

ـ لم أشك أنه شيئًا خطيرًا.

ثم دققت في ملامحه قائلة:

ـ ما بك؟!

حرك رأسه نفيًا:

ـ أنا بخير.

اعتدلت في مجلسها ليعلو صوتها بذعر:

ـ ما الذي حدث لك؟!

أمسك بكفها يُقبل باطنه مُجيبًا:

١٦٤

ـ لقد أصبحتُ بخير حينما رأيتك.

نهضت من الفراش وهي تتحسس جسده بتدقيق، لتسأله بإرتعابٍ:

ـ هل أُصبت؟!

أمسك ذراعيها وهو يقول لها:

ـ اهدأي يا حبيبتي، أقسم لكِ أنني بخير.

طرق يوناس على الباب فدعاه والده للدخول، فركضت روهان نحوه قائلة:

ـ ما الذي حدث لوالدك في غيابي؟!

أجابها يوناس وهو يحتضنها بقوة:

ـ حمدًا لله على سلامتك أولًا.. ما الذي حدث لكِ؟

أبعدتهُ روهان عنها لتردد:

ـ أنا لا أعرف ما الذي حدث، لقد فقدت الوعي واستعدته الآن، ثم زجرتهُ:

ـ لا تخدعني الآن وأجب.. ماذا حدث لوالدك؟!

رفع يوناس كتفيه بإهمالٍ قائلًا وهو ينظر لأبيه:

ـ أجبها..

زفرت روهان بغيظ لتزعق بهما:

ـ لينطق أحدكم الآن.

نظر لوالده نظرة، ثم أشار على باب الغرفة، ففهم نعمان أن الحكماء ينتظرون بالخارج، فحرك له عينيه ليخرج، ثم دنا من روهان قائلًا:

ـ اهدئ يا روهان، لقد أصبت إصابة خفيفة، هذا كل ما في الأمر.

ثم أكمل قبل أن تنطق وهو يحاوط خصرها بذراعه:

ـ دعك الآن مني وتعالي معي كي يفحصكِ الحكماء.

احتضنته بقوة وهي تقول له:

ـ لمَ تفعل هذا بي يا نعمان.. أرجوك لا تتهور ثانية، عدني بذلك.

ضمها بقوة وهو يردد بحزنٍ شديد:

ـ سوف أعدك حين تعاهديني أنك من الآن لن تنشغلي سوى بصحتك فقط، وستتركين لي نفسك كي أطمئن عليكِ كما أريد، ولن تعترضي على شيءٍ مما أفعله .

ابتعدت عنه قائلة:

ـ كُل هذا؟!

نظر لها بجدية فأردفت:

ـ حسنًا .. اتفقنا.

خرجا سويًا ليجد الحكماء أمامه في نُسقٍ واحد، تقدم كبيرهم ليقول له:

ـ نريدها معنا.

حرك نعمان رأسه وهو يقول:

ـ حسنًا .. إلى أين؟!

أجابه:

ـ ويفرلي هيلز.

أمسك يوناس ذراع والده قائلًا:

ـ حسنا سأذهب أنا معها .

رمقهُ نعمان بنظرة ثاقبة جعلتهُ يقول:

ـ أبي أرجوك.

أدار نعمان وجهه للحكيم قائلًا:

ـ هيا بنا..

تنحنح الحكيم بخجل:

ـ سيدي، يجب أن تُصنت من أجل صحتك.

ظهر صوت روهان القلق:

ـ ما الذي يحدث هنا؟!

أجابها يوناس:

ـ لا يجب أن ينتقل أبي لمدة ثلاثة أيام.

أبعدت ذراع نعمان عنها وهي تقول لولدها:

ـ حسناً هيا بنا نحن.

أحنى نعمان رأسه وهو ينظر لها مرددًا بذهول:

ـ ماذا قلتِ؟!

التفتت نحوه بشراسةٍ:

ـ لن تنتقل وأنت مريض هكذا، وإلا سأقسم أنني لن أنتقل من هنا ولو أردت...

لم تُكمل جملتها لتجد نفسها بين ذراعيه لينتقل بها لمدينة لويزفيل الأمريكية يتبعهم يوناس صارخًا، بينما يتوعده الملك الأبيض بسجنهُ حين يعود.



الفصل الثاني عشر

وصل بها للقرية الريفية لتدفعه بقوة أعلى كتفيه تُبعده عنها ليُجلجل صوتها في المكان بأكمله:

ـ لقد عاشرتُك لسنواتٍ وأعرف جيدًا أنك مجنون وغير متزن عقليًا، لكنني اليوم لأول مرة أكتشف أنك أحمق.

وقف الحُكماء على مسافة كافية منهم، وهم يشعرون بالحرج،

بينما اقترب يوناس من والدته قائلًا:

ـ اهدئي يا أمي قليلًا لا يجوز قولك هذا لأبي أمام الغرباء.

نظرت لولدها بحنقٍ مُرددة:

ـ ألا ترى ما فعله؟!

ثم وقفت على أطراف أصابعها لتهمس لهُ:

ـ لقد كان جسدهُ يرتجف بشدة أثناء انتقالنا يا يوناس.

رفع يوناس رأسه ينظر لوالده، فوجدهُ يلتقط أنفاسه بصعوبة، وهو يحاول ألا ينحني من إحساسه بالألم، بينما يبدو على ملامحهُ انفصاله عمن حوله، رآه يضع كفهُ على جُرحه، فترك والدته وأسرع نحو والده ليسنده قبل أن يقع أرضًا، رأت روهان هذا المشهد فانطلقت نحوهم بذعرٍ وهي تنادي الحكماء ليقتربوا، اقترب منهُ أحدهم ليفحصه، بينما هو مازال على وقفته ويوناس يحاوطه بكلتا يديه كي يستقيم ،

ردد الحكيم بحنق :

ـ أنت عنيدٌ للغاية يا سيدي.

ثم أشار لاثنان من الواقفين ليقول لهم:

ـ انقلوه للمشفى في الدور الرابع، وانظروا لجُرحه جيدًا .

حرك نعمان رأسه بالرفض قائلًا بثبات:

ـ لا لن أنتقل لمكان، سأبقى مع روهان، ابدأوا الآن الفحص الخاص بها ودعك مني.

تساقطت دموع روهان بحزنٍ ثم قالت لهُ بصوتها الباكي:

ـ أرجوك يا نعمان، أرجوك أطعهم وأنا سأنتظرك حتى تكون بخير، فنحن بنفس المشفى يا نعمان، أتوسل إليك لا تكن عنيداًا هكذا، لن أتحمل رؤيتك بهذا الضعف.

رضخ لرجائها، واقترب ليمسح دموعها برفق قائلًا:

ـ حسنًا كما تُريدين، لكن كُفي عن البكاء ولا تهلعي هكذا فأنا بأحسن حال.

ثم قَبل جبهتها برقة، وخطى مع الحكيم، ظل يوناس يسنده، فنزع نعمان يد ابنه من عليه قائلًا:

ـ أنا لا أحتاج مساعدة يا بني، ابق مع أمك مهما حدث .

إيماءة من يونـاس كانت كافية لينطلق بني النعمان مع الحكماء نحو الدور الرابع.

أمسك يونـاس بيد روهـان وانطلقا لباقي الحكماء، الذين صاحبوهم نحو بوابة أخرى للمبني، وقفت روهـان تنظر للمشفى الكبير المصنوع من الأخشاب و القرميد الأحمر، وقد انقبض قلبها وشعرت بأنفاسها تضيق عند اقترابها من الباب الآخر.

أمالت على ولدها متسائلة:

- ما هذا المشفى يا ولدي؟!

أحنى يوناس رأسه ليقترب من أذنها قائلًا لها بخفوت:

- هذه مستشفى تخص البشر، شُيدت في القرن التاسع عشر، كانت لمرضى السل الرئوي وأُغلقت عام ١٩٦٠ لانحسار المرض، تم افتتاحها ثانية عام ٦٢، ولكن هذه المرة افتتحوها لرعاية المسنين وفي عام ١٩٨٠ أُغلقت نهائيًا لتكون من بعدها المشفى الخاص بالجن، يعالجون فيه الحالات...

صمت دون أن يُكمل كي لا يُقلق أمه، ليراها

ضيقت عينيها وهم يدلفون للداخل، ثم وضعت يدها على صدرها قائلة:

- لا أشعر بالراحة نهائيًا هنا.

كان المكان بأكملهُ في ظلام دامس، لتتمسك بذراع ولدها بقوة وقد سرت رجفة جسدهاً وأخذت تتزايد، حاوط يوناس جسد أمه هامسًا لها:

- لا تخافي يا أمي أنا معكِ.

مروا بنفقٍ يؤدي لطوابق تحت الأرض، سألته بقلقٍ:

- أين نحن ذاهبون يا بني؟!

ربت على كتفها بخفه مُجيبًا بضحكة خفية:

- لمكان نقل الجثث الذين قضوا نحبهم بسبب السُل.

ضربته على كتفه وبغضبٍ حدثتهُ بصوتٍ منخفض:

- أريد جديًا أن أُعيد تربيتك من جديد.

ضحك يوناس بصوتٍ مكتوم وهو يقول لها:

- تمكثين منذ سنواتٍ في مملكة من ممالك الجن، وقد قابلت شياطين كُثر، وتعرفتِ على فصائل الجن أجمع وترتجفين من رؤية مشفى مهجور!

أمي أرجوكِ...

تهجم وجهها رغم ابتسامتها التي تُخفيها بفخرٍ خفي من شجاعتها ومواجهة كل ما ذكره ولدها،

ليعود الحُزن يحفُر آثار على ملامحها وهـي تُردد بدموعٍ أبت أن تظل بين مُقلتيها:

ـ كـنت أواجـه كـل هـذا مـع أبـيك، لـكني الآن لا أسـتطيع مواجهة هذا المكان المجهول الذي تراه أنت لا يساوى شيئًا أمام كل ما ذكرته دونه.

انحنى يُقبل رأسها وهو يطمئنها:
ـ أنت تعرفين زوجك العنيد، لن يتحمل بعيدًا عنك، لن تمُر لحظات بعد فحصه وستجدينه أمامك.

في هذه اللحظة أنار المكان بأكملهُ لتشهق روهان بانبهار.

مكان كبير وواسع، أرضيتهُ بيضاء وجدرانه تتلون بالأزرق الهادئ الذي يبعث البهجة والراحة في النفس، بينما يملتئ هذا المكان بمعدات وأدوات لم ترى مثيلها قط.

انطلق الحكماء كل منهم على جهاز، ليتقدم أحدهم يقف أمام روهان ليمد لها يده قائلًا:

ـ تفضلي معي يا سيدتي.

نظرت لولدها برهبة فحرك يوناس رأسه بإيجابٍ وهو يُقدمها له برفق قائلًا لأمه:

ـ أنا هنا يا أمي.

اغتمت عيناه بدموعٍ حاول حبسها وهو يرى أمه تخطو ببطءٍ مع الحكيم،

لم يفقد يومًا مشاعره الإنسانية التي ورثها عنها، ولكنه لم يختبرها يومًا سوى الآن.

تمنى من كُل قلبه أن يجدوا لها حلاً كي تظل معه طوال حياته، هو لن يستطيع فقدانها، ولن يعيش يومًا بدونها، لا يعرف أحدًا ذلك، لكنه يعرف جيدًا من لحظة ما علم منها بحمايته لها وهو مُجرد نطفة في أحشائها وأن مصيره معها، فهو يكبر بسرعة أكثر من الجان لجيناته الأنسية، لذلك يوم أن ترحل عن الدنيا سيكون هو معها.

نظرت روهان حولها، بينما يحيطها كل تلك الأجهزة الطبية التي تعمل بالسحر كما رددت بهمس، لتنادي أحد الحكماء الذي كان يقترب منها كي يشير لها أن تتمدد على ظهرها أعلى الفراش الكهربائي، أخذت نفسًا عميقًا للتحضر لإجابته قبل أن تسأله:

ـ ممَ أعاني؟!

وجدت نعمان جوارها يهمس لها:

ـ مؤكد من عشقي الكثير عليكِ.

التفتت نحوه تنظر له وقد تهلل وجهها لتعتدل كي تحتضن إياه بقوة، بينما هو يشير بعينيه للحكيم أن ينصرف، لف ذراعيه حول جسدها يضمها إليه بقوة، لتهمس له وقد غلبتها دموعها لتختلط بصوتها:

ـ كنت مرتعبة دونك، لا تتركني ثانية حتى لو طلبت منك ذلك.

قَبَّل حنايا عُنقها بشوقٍ كاد يقتُله مرددًا:

- لن أفعلها ثانية، أعدك.

ثم أبعدها عنه وهو يمرر كفيه على وجنتيها قائلًا:

- افعلي ما أمرك به الحكيم الآن، أنا هنا بجوارك لن أتركك مهما حدث.

حركت رأسها بسعادة وتمددت على الفراش وفي لحظات كانت فاقدة للوعي وهي تنظر لعينيه بابتسامة حتى انغلقت عينيها.

تنحى نعمان عندما تأكد أنها غَفت، التف الحكماء حولها باهتمامٍ كبير، يحملون بأياديهم أدوات طبية متقدمة لا يعرفها البَشر، بينما تحيطهم أجهزة مثلها.

أشار لأحدهم فجاء على الفور، ليسأله نعمان:

- ما طبيعة الحالة الآن؟! وما هي نسبة نجاح ما ستفعلونه اليوم؟!

غمغمت عين الحكيم وهو يُخبره:

- لا أستطيع قول شيء يبعث في نفسك الأمل، حالة سيدتي سيئة للغاية، لقد وصلت لمراحل متأخرة من المرضِ، لذلك سنحاول قدر استطاعتنا بما لدينا من أدوات أن نُمنعه من الانتشار.

شكرهم نعمان على محاولتهم جميعًا أن ينقذوا زوجته، تركه الحكيم كي يشترك مع البقية لينادي نعمان ليوناس بهمس سمعه على الفور، جاءه وهو يحاول إخفاء حزنه وهو ينظرً نحو موضع جسد أمه المخفي من الحكماء مرددًا:

ـ أمرك يا أبي.

تطلع نعمان نحوه وهو يُضيق عينيه قائلًا بينما يشير لوجه ولده:

ـ ما هذا البؤس الذي أراه على وجهك؟

صك يوناس أسنانه ولم يُجيب، ليقربه نعمان منه وهو يُمسك بشدة ملابسه الملتصقة بصدره قائلًا:

ـ لن تصاب أمك بسوء، هل تفهم ذلك؟!

ثم تركه وهو يردد بصوتٍ خافت، لكنه قويٌ للغاية حتى يفهمه يوناس:

ـ استقم في وقفتك ولا تترك هذا المكان نهائيًا، وانسَ مشاعر الإنس التي تسيطر عليك الآن.

ثم دفعهُ في صدره مُردفًا:

ـ لقد أنجبتُ رجُلًا يخشاه أعتى الجن، ولم أنجب فتاة من الإنس تبكي على مرض أمها،

قف هنا ولا تتحرك حتى قف هنا ولا تتحرك حتى أعود، وحين أقول لك ابق معها ولا تتركها مهما حدث لا تفعل سوى ما أمرك به.

وقبل أن ينتقل هدده:
- وحين نعود للمملكة ستمكُث في سجنك بضعة سنوات حتى ترى حياة الجن العاصي.

تركه وانتقل لجزيرة بوفيت وهو يتذكر أن ما قالهُ لولده منذ قليل كانت هي نفس كلمات والده التي رددها على مسامعه حين انعزل عن الجميع بعد موت هند، وصل للجزيرة بصعوبة وقد طالت مدة انتقاله عدة دقائق لضعفه الشديد بسبب الطعنة التي وجهها لهُ هذا الحارس الخسيس.

صك أسنانه بقوة وهو يتوعده حين يكتمل شفائهُ سيعود كي يقتله بأسوء طريقة عرفها.

أغمض عينيه رافضًا أن يتذكر ما حدث بينه وبين هند على هذه الجزيرة، ليُبدل ذكرياتهما معًا بذكرياته في السجن الذي حبسهُ فيه والدهُ حتى يتعلم فيه أن يُعايش حزنه على الأرض دون انعزال.

قام بتصفية ذهنهُ بعدة حركات سريعة، ثم حاول بكل قوتهُ أن يُمارس بعضًا من السحر عالي النشاط حتى أصابهُ ألمًا شديدًا لم يستطِع تحمُله ليتوقف سريعًا قبل أن يضُر جسده أكثر، استند على جدار ثلجي خلفه وهو يتمنى أن ما فعلهُ كان كافيًا،

وبعد لحظات شعر بتحركاتهم تحت أرض الجزيرة، ابتسم بحبور فقد نال ما أرداه.

عدة ثواني مرت حين انفتح بابًا خفيًا وسط الثلوج ثم اصطف أمامه ست من الجنود، ليتقدمهم كبيرهم الذي قابله منذ ما يقرب من مئة عام..

أشار له بترحابٍ فتبسم العملاق بجذلٍ وهو يقول له بلغة الجن:

ـ تمنيت لقائك مرة ثانية.

دنا منه بني النعمان عدة خطوات وهو يقول له:

ـ لقد تعلمت لُغة الجن يا صديقي، انبهرتُ بك.

قال له العملاق بحبورٍ:

ـ لم يكن بالشيء العصيب.

ثم أردف بسؤاله:

ـ ماذا تريد؟!

ارتسمت أمارات الجدية على وجه بني النعمان وهو يقول لهُ:

ـ لقد عرضت عليَّ عرضًا من قبل أن أعلمكم السحر،

أنا على استعداد لفعل ذلك الآن ولكن بمقابلٍ واحد.

أنصت لهُ العملاق ليُكمل نعمان:

ـ زوجتي الإنسية تعاني من مرضٍ شديد، لا يوجد لهُ علاج في الإنس، وحكماء الجن يحاولون السيطرة عليه لبعض الوقت، أريد منكم علاجًا نهائيًا له.

تعجب العملاق مرددًا:

ـ وكيف ظننتُ أن علاجها في عالمنا؟!

ـ أنا أعلم جيدًا بمدى تقدُم عالمك الطبي والعلمي، وهناك بعض الحكماء الذين تعلموا على أيديكم، ولكنهم لا يملكون الأدوات ولا المواد العلاجية التي لديكم، لذلك هم عاجزون عن إنقاذها.

عاد بضعة خطوات ليعرض على من معه ما قاله بني النعمان،

ليجتمعوا في النهاية على إيصال الأمر لكبيرهم أولًا.

فالتفت الرجُل نحو بني النعمان قائلًا:

ـ سنعرض الأمر على القائد العظيم وسوف نُجيبك بعد بضعة ساعات،

قال له بني النعمان:

ـ هل أستطيع مقابلته أنا وعرض الأمر عليه؟

اندهش العملاق لمطلبه قائلًا:

ـ لم يجرؤ أحد من الجن من قبل على طلب ذلك.

استقام بني النعمان في وقفته قائلًا:

ـ لقد فعلتها أنا الآن، وأنتظر الموافقة.

لمعت عين العملاق وهو يردد:

ـ هل أنت دومًا تثق في نفسك هكذا؟!

أومأ نعمان برأسه قائلًا:

ـ قوتي تؤهلني لذلك.

جالت عين العملاق على جسده بتدقيقٍ ليخبرهُ:

ـ لكنك الآن لست بالقوة الكافية لتنزل للأسفل، فجُرحك ينزف من انتقالك لمسافة بعيدة كالتي جئت منها.

حرك بني النعمان رأسه بإهمال، ثم قال بتحدٍ واضح:

ـ أتريد الاختبار؟!

أخرج الرجل من جيبه حفنه من الأعشاب الخضراء ليناولها إياه وهو يقول له:

ـ تستطيع أخذ هذا أولًا ثم سوف نختبر قوتك لأقصاها، لا تقلق.

ثم تركه وأدار له وجهه قائلًا:

ـ سأعرض الأمر بمقابلتك للقائد العظيم.

ثم أردف وهو يستدير نحوه ويشير لحفنة الأعشاب التي بيده:

ـ لو ظلت الحياة بجسدك بعد ما تبتلع هذا.

نظرات نعمان الثاقبة جعلته يتوقف للحظات وهو يراه يضع جميعها في فمه، حدق له بذهولٍ مثل الواقفين حوله، حتى قال لهم بني النعمان:

ـ سأنتظر هنا حتى تأتيني بالموافقة.

انفتحت البوابة ثانية ثم نزلوا لأسفل ونظرة الاندهاش مازالت تعتلي وجوههم، صمد بني النعمان حتى اختفوا من أمامه ثم ترك جسده يهوي أعلى الثلوج حتى فقد الوعي بشكلٍ كامل.

لقد طال عمل الحكماء لساعاتٍ عديدة في الجراحة التي يجرونها لروهان، شعر يوناس بالقلق الكبير على أمه حين رأي أنهم فجأة بدأوا يسرعون في خطاهم بتوترٍ ظاهر، سأل أحدهم ما الذي يحدث معهم فلم يُجيبه وهو يصبُ انتباهه على ما يفعلهُ أمام الجهاز.

شعر يوناس أن خطبًا ما حدث لأمه، لكنه تماسك وظل يردد آياتٍ من القرآن وهو يذكر حديث والده منذ ساعات أن والدته ستكون بخير، مؤكد أنه الآن يبحث عن شيءٍ لإنقاذها، وهو واثقٌ بشدة في والده وما يستطيع فعلهُ.

جاءتهُ نداءات استغاثة فزعة من إلينا، تجاهلها بقلبٍ يرتجف حتى سمع صراخ طفليه عاليًا يرددون اسمهُ خلف أمهم...



الفصل الثالث عشر



وقف يوناس في حيرةٍ كبيرةٍ وبعجزٍ أكبر، لا يستطيع اتخاذ قرار كهذا، ردد وهو ينظر للأعلى:

ـ يا إلهي ما هذا الاختبار العصيب، أنا لن أتحمل كُل ذلك.

ثم همس بخوفٍ ظهر على صوته:

ـ أين أنتَ يا أبي؟

لم يُطيق سماع صراخ طفلته العالي فنظر لأحد الحُكماء المساعدين ليسألهُ:

ـ ما الذي يحدث؟! هل أمي بخير؟!

طمئنه الرجل:

ـ لا تقلق يا سيدي، فنحن نسيطر على الوضع حتى الآن.

نظر له يوناس برجاءٍ قائلًا:

ـ حسنًا، يجب أن أرحل من هنا الآن، فهُناك أمرًا طارئًا، لن أمكث مدة كبيرة، لذا أرجوك أن تستدعيني لو حدث أي حادثٍ لأمي.

حرك الحكيم رأسهُ بإيجابٍ وهو يقول له:

ـ لا تقلق فما زال أمامنا بضعة ساعات هُنا.

ارتاح يوناس قليلًا وانطلق بأقصى سرعة وهو يتبع صوت ابنته روهان التي ما زالت تصيح بذعر.

صوتهم كان يأتي من الغرفة المُحصنة بقصر جده!

ذهب إلى هُناك على عجل وهو يفكر ما الذي حدث ليجعل جَده ينقلهم لهذه الغرفة، ظهر أمام إلينا التي كانت تحتضنُ والديها بثبات، بينما ابنته تبكي بخوفٍ شديد، وولده يحاول التماسك مثل أمه.

حين رأته إلينا ركضت نحوه قائلة:

ـ لقد هجم الملك الأحمر على القصر، بالكاد استطاع جَدي أن ينقلنا إلى هُنا ويعود إليهم، تحرك يوناس نحو ابنته المنهارة ليحملها وهو يربت على ظهرها بحنان حتى صمتت وهي تنام على كتفه.

أكملت إلينا ما حدث وهي تحمل ولدها مثلما فعل يوناس:

ـ وقبل أن يذهب أمرني أن أستدعي أبيك وأخبرهُ أن ينقلنا للغرفة السرية الموجودة في قصر جدي الكبير، لكني حاولت كثيرًا فلم يُجيب فاضطررتُ لمناداتك.

ردد يوناس بذهول مما سمعه:

ـ ما الذي يحدُث لنا؟!

أمسكت إلينا بذراعه قائلة:

- لا وقت الآن لمثل هذه التساؤلات، هل تعرف غرفة جدي السرية؟!

نظر لها يوناس بحنقٍ مرددًا:

- لحمي ودمي وكل ما في عقلي مما خطت يداه يا إلينا.

زفرت إلينا بضيق من غبائها لتقول لهُ:

- لقد نسيت هذا الأمر، أعتذر منك.

وقبل أن ينقل والديه أولًا قالت له إلينا:

- أريد الفلوت خاصتي قبل أن تعود، الآلة بغرفتنا.

نظر لها يوناس قائلًا:

- حسنًا سوف أتي بها حالما أنقلهم إلى هناك، مدام أمر جدي بذلك فهذا معناه أن هذه الغرفة ليست بمأمن لمدة طويلة، لذلك يجب علينا التحرك الآن.

أخذ منها الفتى على ذراعه الآخر وقال لها:

- سوف أنقلهم وأعود إليكِ.

أمت برأسها فذهب مُسرعًا لبيت جده الأكبر، وصل للغرفة السرية ووضع ولديه على الفراش المنصوب في منتصف الغرفة،

ثم أحاط الفراش بالستائر البيضاء المنقوشة بالتعاويذ، انحنى ليُقبلهما قائلًا:

ـ لا تتحركا من هنا.

ثم نظر لروهان ابنته التي ابتسمت بسعادة وهي تقول له:

ـ كما تأمر يا أبي.

اقترب منها وهو يمرر كفه على رأسها متسائلًا:

ـ ما الذي جعلك فرحة هكذا يا حبيبتي؟ لقد كُنتِ تصرخين برعبٍ منذ ثوانٍ قليلة.

اعتدلت الطفلة على ركبتها لتهمس له:

ـ نحن هُنا بأمانٍ تام، لن يستطيع أحدٌ من الجن أو الشياطين إيجادنا.

رغم دهشته من حديثها إلا انه كان سعيدًا لأنها تشعر بذلك، فتركها كي يأتي بإلينا دون أن يستمع لباقي حديثها التي أكملته بعدما اختفى:

ـ لقد أخبرني جدي الرمَاح بذلك.

انتقل يوناس لغرفتهُ كي يأتي لإيلينا بآلتها الموضوعة في أحد الأدراج الخاصة بها، زفر بحنقٍ فهو لا يعلم موضعها تحديدًا، بحث على عجل حتى وجدها،

وهنا توقف حين سمع أحدهم يقترب من غرفته، وضع الفلوت في ملابسه ووقف يُربع ذراعيه وهو يطقطق رقبته يمينًا ويسارًا منتظرًا من سيجرؤ على فتح باب غرفته، وبالفعل دفع الباب بكل قوته..

لم يكُن جنيًا واحدًا بل كان عشرة جنود من الجن،

تقدم قائدهم بينما ظل يوناس على وقفته، فاهتزت حدقتي الرجل أمامه وهو يراه ثابت هكذا رغم تكاتفهم أمامه، ليتكلم الجني باستفزاز:

- لمَ لم تهرب مثل أبيك حين سمعت صوت اقتربنا من غرفتك؟!

لم يعطِه يوناس شرف الرد، بل بدأ في ضربهم جميعًا بحركات بالكاد استطاعوا رؤيتها.

هرب نصفهم بالاختفاء من أمامه بعد دقيقة واحدة فقط؛

بينما صمد النصف الآخر فكان مصيرهم الموت إلا قائدهم الذي احتفظ به يوناس للنهاية، حالما انتهى ممن تبقى منهم أمسك رقبته بين كفيه، حاول الجني التكلم قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، فسمح له يوناس بالتحدث فرجاه الجني بخوفٍ شديد:

- أرجوك يا سيدي أنا أنفذ الأوامر فقط، أعدك لو تركتني لن أقترب من هذه المملكة للأبد ولا حتى للزيارة.

ابتسم لهُ يوناس قائلًا:

ـ يوناس ابن القائد العظيم بني النعمان لا يهرب من حثالة أمثالكم، بل يظل ليقتل جنودك الأغبياء، ويجعلك ترى الأذكياء منهم الذين فروا بالهروب فور تحركي البسيط، وحالما ينتهي؛ يقتلك وأنت تتوسل إليه البقاء على حياتك، حتى لا تجد وقتًا لتتندم فيه على ما تفوهت به أمامي.

لم يعطه فرصة للحديث مرة أخرى وأنهى حياته بحركةٍ واحدة،

ثم تركهم خلفهُ رمادًا على الأرض وانتقل لإلينا التي صرخت به:

ـ ما الذي جعلك تتأخر هكذا؟!

لف ذراعه حولها وانتقل بها للغرفة السرية وهو يقول لها:

ـ ما الذي حدث هناك؟!

كان قلبها يدقُّ بشدة من الخوف، فجلست على الفراش جوار ولديها وهي تقول له بأنفاسٍ متلاحقة:

ـ لقد سمعتُ أصواتهم أمام باب الغرفة المُحصنة، كانوا يحاولون الدخول قبل مجيئك بلحظات.

أمسك كفها يربت عليه وهو يقول لها:

ـ اهدئ يا إلينا، أنتِ الآن بأمان.

أخرج لها آلة الفلوت خاصتها ليعطيها لها، ولم ينتبه لابنته التي نزلت من أعلى الفراش لتتبع الضوء الأخضر الذي يُضيء أمامها.

أمسكت إلينا آلتها واختبرتها قليلًا، ثم توقفت وهي تقول بحزنٍ:

ـ لم أستخدمها منذ سنوات، والآن أستطيع القول..

ما الذي يحدث لنا؟!

أدرك يوناس أن روهان ابنته ليست موجوده جوارهم،

نزل من أعلى الفراش بذعر وهو ينادي باسمها فلم يأتِه الرد،

ارتعد جسد إلينا وهي تبحث عن ابنتها على الجانب الآخر من الغرفة التي لم تكن كبيرة بحجم غرفتهم في القصر لدرجة أن تضيع بها ابنته في لحظات هكذا، ظل يُردد اسمها هو وإلينا بتوتر كبير، وفجأة وجدوها تخرج من مكانٍ ما في الحائط لتتحدث لهم بصوتٍ رجولي عميق:

ـ لقد استطعت العودة أخيرًا.

فتح عينيه ليجد نفسه وسط الجليد، تحرك وجلس بسرعة عكس ما كان يشعر به قبل أن يفقد الوعي،

أحس وكأن الليل قد آتى على الرغم من أن الشمس لازالت في كبد السماء وضوئها يطغى على كل شيء، الوقت الذي يشعر بمروره يخبره أنه الآن في الليل.

على هذه الجزيرة لا يوجد ظلام، لذلك لا يصعد عليها من العماليق سوى المجموعة التي قابلها أول مرة، لانهم يستطيعون تحمل الضوء لعدة دقائق أكثر من بني جنسهم، أما البقية فيصيبهم أذى كبير، هم أعداء الشمس.

لقد ظل فاقدًا للوعي وسط هذا الجليد لمدة تزيد عن الثلاث ساعات، ولم يفق إلا على صوت الرياح القوية، اعتدل واقفًا ينظر حوله بتعجب وهو يسأل نفسهُ..

(ما الذي حدث لي؟!)

تحسس جسده ثم ضغط على مكان جُرحهُ فوجدهُ لم يعد يؤلمه!

لم يُصدق أن حفنة العُشبة التي أعطاها له العملاق فعلت معه ذلك، لقد فهم الآن ما ألقاه على مسامعه قبل أن يدفع هذه العُشبة في فمه دُفعة واحدة.

(تستطيع أخذ هذا أولًا ثم سنختبر قوتك لأقصاها.. لا تقلق).

(لو ظلت الحياة بجسدك بعد ما تبتلعها).

فهذان هما الخياران لهذا الدواء، إما أن يتحملهُ جسده فيُصبح أقوى، أو يموت جراء ذلك.

ابتسم وهو يستقيم بجسده مُفكرًا في أبعد مكان عن هذه الجزيرة لينتقل إليه كتجربة لما يظنه،

وبالفعل وجد نفسهُ ينتقل بشكلٍ أسرع من ذي قبل، لقد استرد عافيته بأكملها، بل أصبحت أفضل مما كانت عليه، وكأنه عاد بعمره لمئة عامٍ ويزيد.

عاد للجزيرة لتلمع عيناه بتعويذة تسبب نشاط كبير ستجبرهم على مقابلته والخضوع لمطلبه، بل سيسعون حينها كي يطلب منهم مطالب أكثر.

يعرف بني النعمان لتعويذة تفعل ما لا يستطيعون هم فعلهُ، فبتقدمهم العلمي هذا يُصعبون الأمور عليه، ولكنها لم تكُن يومًا مستحيلة.

أخذ نفسًا عميقًا، واستشعر جميع قوته الداخلية، ثم تحرك على كل شبرٍ في الجزيرة وهو يُتمتم بتعويذة الظلام، تلك التي تعلمها على يد (ساري) أقوى ساحر في الجن، ولم يُنازعه على هذا اللقب أحدًا منذ قرون.

انتهى من أخذ حفنة تراب بركاني من أسفل الثلوج، ليجمع في يده حفنة كبيرة مأخوذة من جميع الجزيرة، وقف في المنتصف، ثم رفع كلتا ذراعيه للأعلى، قام بعمل حركات دائرية قامت هذه الحركات بنثر الثلوج في الهواء لتكونً فقاعةٍ كبيرةٍ ظلت تتوسع حتى أحاطت الجزيرة بأكملها،

شعر بحركاتهم تحت قدميه فابتسم وهو يرفع سبابته للأعلى ثم ظل يُتمتم بكلماتٍ متتالية وصوتٍ يعلو تدريجياً..

خرجت المجموعة نفسها وهم ينظرون حولهم بذهول وتلك الفقاعة تلتف حول الجزيرة بشكلٍ دائري، بدأت تلك الفقاعة الهوائية تتلون باللون الأسود القاتم، ثم بدأ اللون ينتشر في جميع الفقاعة من الأعلى للأسفل.

هتف القائد من خلفه:

ـ ما هذا الذي تفعله؟!

لم يلتفت له بني النعمان وظل على حاله حتى أصبحت الجزيرة بأكملها في ظلامٍ دامس، لقد حجبت عنهم ضوء النهار بأكمله،

ـ سمع همهمات الجنود خلفه بأصواتٍ مسموعة غير مفهومة، ولكنه يستطيع استنتاج نبرة السعادة في أصواتهم.

التفت ليقابل القائد الخاص بهم، فوجدهم يقفون في صف متساوٍ وبنظامٍ عجيب، ليرفع كل واحدٍ منهم إصبعه عند عينهً وينزع منهم عدسات يلصقها كلٌ منهم بحدقتيه، يبدو أنهم يرتدونها كي تحجب ضوء الجزيرة عن أعينهم.

نظر نحو قائدهم وهو يدنو منه قائلًا:

ـ الدرس الأول: كي تكون ساحرًا عظيمًا لا تسمح لأحدٍ أن يُشتت انتباهك.

وقبل أن يتحدث العملاق، أردف بني النعمان بقوةٍ لا يُستهان بها:

ـ الدرس الثاني: كي تبقى على قيدِ الحياة أمام ساحر يُلقي تعويذة خاصة لا تتحدث معهُ مُطلقًا.

اتسعت حدقتي الرجُل وهو يسأله بغرابة وهو لا يُصدق ما يراه:

ـ كيف فعلت ذلك؟!

اقترب منه بني النعمان مجيبًا:

ـ أستطيع تعليمك، حين تنفذ مطلبي.

وقف الرجل يتأمله قليلًا ثم قال له:

- أنا لستُ سوى قائد مثلك، الأمر كله بيد القائد العظيم.

- وهل أستطيع مقابلته الآن؟!

قالها نعمان وهو ينظر للهالة من حولهم، ليجيبه الرجل:

- اتبعني للأسفل .

ثم تقدمت الجنود وخلفهم القائد وهم مازالوا ينظرون للجزيرة المُظلمة بذهول، تبعه بني النعمان وهو يبتسم هامسًا لهُ:

- وفوق كل ذي علمٍ عليم.

فهم الرجل ما أراد الجني إيصاله له، وفتح البوابة ليظهر دَرج كبير أمامه، نزل الجنود عبر الدرج، بينما أخرج العملاق عدسات تشبه التي شاهدها مع الجنود منذ قليل، قدمها لبني النعمان وهو يقول لهُ:

- ارتدِ هذه على عينيك حتى ترى بالأسفل.

أمسكهم نعمان بين يديه محدثًا إياه:

- أنا جني، أي كائن يعيش في الظلام، هذا إن لم تكن تعلم.

أخبره الرجل بجدية:

- أنا أعلم جيدًا أنك تعيش في الضوء والظلام معًا، بالأسفل لا يوجد ولو القليل من الضوء، رؤيتك لن تكون واضحة أبدًا، يجب أن تعتاد أولًا.

رفع نعمان كتفيه بإهمال وهو يضع العدسات بعينيه، ثم تعقبه أسفل الدرج.

أُغلقت البوابة من فوقه فور نزلوهم جميعًا، ليجد بني النعمان أن العملاق كان مُحقًا انه مُعتمٌ للغاية، لحظات وبدأت رؤيته تتضح بفضل العدسات التي وضعها، خطى وهو ينظر حوله مذهولًا مما يراه .

مدينة كاملة تعيش تحت الأرض، وليس هذا فحسب بل كل جزء فيها مزودٍ بالآلات الإلكترونية التي لا يعرف كيفية عملها، أو ما الذي تصنعه هذه الآلات.

عالمهم مُتقدم بالفعل لدرجة لم يرَها من قبل، لقد جاب الأرض ذهابًا وإيابًا ودخل عوالم كثيرة للبشر والجن وحتى الشياطين، ولكن هذا عالمٌ منفرد بالتأكيد.

المكان بأكمله كان عبارة عن مصفوفة منظمة للغاية،

لقد لاحظ أنهم أناس تقدمهم العلمي يكمُن في النظام الزائد الذي يتحلون به.

أوقفه القائد أمام مبني كبير وعظيم، ليخبرهُ:

ـ انتظر هنا دقائق قليلة وسوف أعود إليك على الفور.

حرك بني النعمان رأسه بإيجاب، وانتصب في وقفته بعظمٍ، لثقته في أنهم يشاهدونه بالتأكيد الآن.

هاجمه القلق بشدة على زوجتهُ وبدأ يتملل في وقفته بنفاذ صبر،يكره أن يشعر بالعجز هكذا، ويكره أن يُخالف وعده معها، فهو يعرفها جيدًا، لقد استسلمت للحكماء لمعرفتها أنه سيبقى جوراها ولن يتركها لحظة واحدة.

وقبل أن يتصرف بغضبٍ ظهر القائد أمامهُ معتذرًا عن جعلهُ ينتظر، ليتبعه بني النعمان داخل المبني الذي هو من الداخل لم يكن على هيئة طوابق مثل مظهره الخارجي!

بل كان ساحةٍ واسعةٍ للغاية، في نهايتها يوجد درجتين، يعلوهم مصطبة كبيرة عليها عرشُ عظيم، توقع على الفور أنه يخص قائدهم الأعلى، ولكن لا أحد يجلس فوقه!

استدار نحو العملاق الذي أتى به إلى هنا متسائلًا:

ـ ما الذي يحدُث هنا؟!

أجابه الرجل وهو يشير له نحو شاشة ثلاثية الأبعاد بجواره:

ـ ستعرف إجابة كل أسئلتك من هُنا، الآن.

لف كي ينظر إليها فوجد عدة مبارزات متتالية لجنٍ ساحر من قبائل كثيرة مختلفة على مدار المئة عامٍ الفائتة، روى له العملاق من خلفهِ:

ـ مُنذ جئت لأول مرة على هذه الجزيرة ورأينا نشاط السحر الخاص بك، رفضت حينها تعليمنا تعاويذك، لذلك بحثنا عن كل جني على الأرض يعرف بأمور السحر، وجدنا الكثيرين الذين وافقوا على تدريبنا، وكي نستطيع المفاضلة بينهم، جعلناهم يبارزون بعضهم بالسحر ومن ينتصر يبارز الآخرين وهكذا، حتى استطعنا العثور على اثنان منهم، ستُقابل أحدهم الآن، لو استطعت الانتصار عليه سوف نقوم بعلاج زوجتك، وأعتقد أنك جربت علاجنا منذ قليل.

تقدم منه بني النعمان خطوة وهو يحدق به بغضبٍ قائلًا:

ـ لقد عالجتني حتى تُثبت لي أن علاج زوجتي عندك؟!

رفع العملاق كتفيه قائلًا:

ـ تُرى وأنت عفريت من الجِن، ما بالك بإنسية أضعف منك بالكثير، ثم أنك تعرف مُسبقًا أن علاجها هُنا.

وقبل أن يتحدث نعمان ثانية، أردف الرجل:

ـ وأنت قد فعلت نفس الشيء في الأعلى، أريتنا قدرتك كي نوافق على طلبك، لقد فعلنا بالمثل.

تردد نعمان للحظات، ليتعجب الرجل:

ـ لم تتردد في أخذ دواء قلت لك أنه سوف يقتُلك، والآن تتردد لأجل مبارزة أنا أثق مثلك تمامًا أنك فيها فائزًا.

ثبت نعمان نظره على العملاق ليستشعر الأخير قوته وهو يقول له:

ـ لا أحب من يتلاعب بي، ولا أريد الدخول في مقارنات أعرف قدري بها، لستُ معتادًا على ذلك، لكني مضطر للموافقة لأجل زوجتي، وأريد أن نفعل ذلك حالًا لكي آتي بها إلى هنا في غضون دقائق.

لاحت على وجه الرجل ابتسامة إعجاب وهو يمُد له يده قائلًا:

ـ اتفقنا.

اختفت الشاشة من أمامهُ، ليظهر «ساتور» في مقابلتهُ على الجانب الآخر، لم يفكر كثيراً ما الذي جاء به إلى هنا، لكنه فهم جيداً أنه ليس خصماً سهلاً عيناه يملأها الحقد والشرر من ما فعله به وبقبيلة الشنفري بأكملها وتلك السمعة التي التصقت بهم بعدما فعل نعمان ما فعله مع «ساتور»، وعلى الرغم من كل تلك الأفكار التي راودته لجزء من الثانية نفضها نعمان عنه وقهقه بصوتٍ عالٍ وهو يردد ساخراً:

- تلك هي المبارزة؟ ألم تجد أحدًا أقوى من هذا؟!

- اشتعل غضب ساتور أكثر وأجابه بصوتٍ عالٍ ليحفظ ماء وجهه ويثبت نفسه أمام الجميع:

- لا تغتر بنفسك هكذا يا بني النعمان، فأنت لا تعرف قدراتي الآن وأني عندي أصل ما تعلمت.

أمال نعمان رأسه بجانب العملاق قائلًا له:

ـ هيا فلنبدأ في الحال.

ثم نظر لعينيه ليستطرد:

ـ تسطيع الآن الجلوس على عرشك أيها القائد العظيم.

ضحك القائد بملء فِيه وهو يردد:

ـ لم تفشل في إدهاشي منذ أن رأيتُك أيها العفريت.

تركه بني النعمان وتقدم للأمام ليرى علامة خفية تُشكل دائرة في المنتصف، وقف بها في هدوءٍ وهو يستعد بكل قوته وتركيزه أن يبدأ وينتهي بسرعة، الوقت ضيق أمامه ويريد الذهاب لزوجته وإذا كان ساتور هو العقبة فسينهي حياته في الحال!

تلونت عيناه باللون الأسود الفاحم، بينما انطلق ساتور نحوه بغضبٍ شديدٍ وحقدٍ دفين، تركه نعمان وهو يتلو تعاويذه الواحدةً تلو الأخرى، حتى حاوطه ساتور بهالة من نيرانٍ سوداء، عرف جيدًا أنه بمجرد لمسها سيُصبح رمادًا فيً الحال.

ظل نعمان ثابتًا كما هو ليردد ساتور من خلف هذه الهالة ساخراً محاولًا أن يُثبت لمن حوله أنه الأقوى والطرف الأكثر استحواذًا في المبارزة:

ـ لمَ تقف هكذا أيها الساحر العظيم، تقدم نحوي كي تُجهز عليّ.

قال له نعمان براحة تامة:

ـ هل هذا أقصى ما استطعت فعله؟!

أجابه ساتور بقهقهة عالية:

ـ أراك تتباهى بما لا يوجد لديك يا قائد جيوش المسلمين،

كفاك ثرثرة و..

لم يُكمل جملته وهو يشعُر بالاختناق الشديد، دار بعينيه كي يرى من الذي يحاول خنقهُ هكذا، فلم يرَ أحدً أمامه!

نظر نحو الهالة السوداء التي صنعها فوجدها كما هي!

ضاقت أنفاسه وأصبح الباقي معدودًا على اليد الواحدة، حاول تخليص نفسه فلم يستطع، وكل ما يريده الآن هو أن يعرف من الذي يخنقهُ هكذا، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة وجد بني النعمان أمامه يبتسم وهو يدنو منه هامسًا:

ـ أنا لدي الكثير، لكنني لا أتباهى مثلك.

لم يمنح له فرصة لفِهم ما يحدث، وقذفه على الهالة التي صنعها بنفسه، ليسقط جسدهُ رمادًا على الأرض وتختفي الهالة باختفائه ويُقتل الساحر بسحره نفسه، كان ذلك في ثوانٍ معدودة تحت أنظار الجميع التي تحاوطه بانبهارٍ ودهشة

بينما وقف القائد ليحييه، ثم توجه نحوه وهو يقول:

ـ كما توقعت، والآن سأحقق الجزء الخاص بي، أنتظرك أنت وزوجتك بعد دقائق من الآن.

ثم أعط له كبسولة بيضاءٍ صغيرة ليُردف:

ـ ضع هذه في فم زوجتك قبل أن تنزل إلى هُنا.

أخذ بني النعمان الكبسولة من يده وقبل أن يصعد للأعلى، أوقفه القائد متسائلًا:

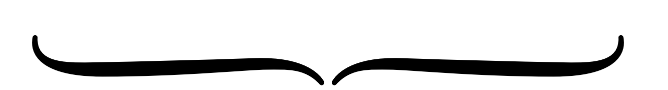
ـ هل يمكنني أن أسألك كيف خرجت من الهالة التي صنعها لك ساتور؟!

أجابه نعمان بثقةٍ:

ـ بنفس الطريقة التي حاولت بها إقناعي أنك مجرد قائد مثلي ولست الحاكم هُنا.

تركه يبتسم بغرابة، وقبل أن ينتقل للأعلى،جاءه صوت من خلفه اختل توازنه عندما مر بأذنيه تقول:

ـ أريد مبارزتهُ قبل أن يرحل..



الفصل الرابع عشر

هند!

كيف حدث ذلك! ولماذا الآن؟!

لم يُصدق أذناه للحظات!

ولكنه وإن كذبهما فهل يستطيع تكذيب قلبه!

شعوره بوجودها منذ أن خطى داخل هذا المبنى كان قويًا للغاية، لكنه لم يكن كافيًا لإثبات صحته، فهو يحارب بقدر ما أستطاع من قوة ألا يسمح للشك أن يتسربل لقلبه تجاه أبيه.

لكن الآن ما الذي يجب عليه فعله؟!

مؤكد لن يعود إليها، رغم أن هناك رغبة شديدة بداخله تريد منهُ الالتفاف ومواجهتها، أسئلة عديدة تحتاج إلى إجابة منها، لكن ليس الآن!

نظر نحو الحاكم الذي انتظر قراره بالعودة، لكنه لن يستطيع طلب ذلك منه فقد قاموا بالاتفاق المُسبق، حسم بني النعمان أمره واختفى من أمام الحاكم كي يعود لهم بروهان كما اتفقا، متجاهلًا صراخ هند من خلفه وهي تُردد:

- جَبان.

وقفت مُويرا خلفها تهمس لها بحقدٍ رغم نبرة السرور التي في صوتها:

ـ لقد أخبرتك أنه سيختار الإنسية.

التفتت لها هند وقد تطاير الشرر من عينيها وهو تنظر نحوها لتُخبرها وهي تصك أسنانها بغيظ:

ـ يظهر الفائز في النهاية يا مويرا، البداية مُجرد خُدعة.

ثم تركتها خلفها تبتسم بخُبث وهي تدفع بذيل ثوبها بعيدًا عنها.

انتقلت هند لأبيها الذي وجدتهُ ينتظرها على عرش الملك الأبيض قائلًا:

ـ اخبريني أنك استطعت قَتله؟!

جلست هند على مقعد بني النعمان لتُردد بغضبٍ كبير وهي شاردة في الفراغ أمامها:

ـ أصبح ضعيفًا وواهنًا من كثرة معاشرته للإنس.

خبط أبيها على مقعده وهو يُحدثها باستياء:

ـ كنت أعلم أنك أضعف منه ولن تقتليه كما اتفقنا.

رمقته بنظرة مُشتعلة وهي تقترب منه بينما وضعت كلتا ذراعيها على طرفي المقعد لتُحاوطه بغضبها لتُخبره وهي تضغط على كل حرف:

ـ لقد أخبرتك مرارًا أن هذا العالم لن يتحمل وجودنا نحن الإثنين، وأنا أخترتُ نفسي منذ أعوامٍ كثيرة، وإن أصبحت أنتَ بنفسك عائقًا لي سأتخلص منكً في غمضة عين، فلا تتحداني.

ابتسم لها الملك الأحمر وآثر الصمت، فهو الآن يشعر بسعادة كبيرة، لقد قام بتربية وحشًا لا يردعهُ رادع، وقد غذى عقله جيدًا بكُل ما يملُكه من حِقدٍ وبُغض تجاه الملك الأبيض وابنه، لقد كاد بني النعمان الاقتراب من أن يُحبط خططه، ولكنه بذكاء أستطاع أن يُعيدها إليه ليجعلها كما أراد وتمنى.

نظر لها بفخرٍ أبوي أنه امتلك المقدرة والدهاء كي تُصبح أشجع منه، وأمهر منه، بل وأذكى منه أيضًا.

فلولاها لما أصبح بهذه القوة التي جعلته الآن يجلس على عرش الملك الأبيض، بينما هو سجينٌ في زنزانةٍ سحريةٍ لا يعرف مكانها مخلوق غيره هو وابنتهُ و لن يستطيع هو الخروج منها حتى يموت.

عادت هند لمجلسها لتسأله بضيقٍ:

ـ أين ابن الإنسية وزوجته وأولاده الآن؟!

اكفهر وجهه وهو يُخبرها ما حدث:

ـ لقد فر هذا الخسيس بعدما قتل عشر جنودٍ من جنودي.

رفعت حاجبها بعبوس وهي تقول له:

ـ ولو بعثتُ له مائة من حثالتك سيقتلهم، أنت لا تعرف أبَدًا من هو عدوك، لذلك لا تستطيع التقدم خطوة واحدة منذ قرون، ثم نهضت من مجلسها لتسألهُ:

ـ هل تعرف مكانهم؟!

زفر بضيق وهو يجيب:

ـ لا.. لم نستطِع تتبعه.

رمقتهُ بنظرات اشمئزاز وهي تردد:

ـ كُنت أعلم ذلك.. استمر هكذا في الاستمتاع بمِقعد الملك الحقيقي، وفور سيطرتنا على الممالك السبع..

أستقمْ بجسدك وانظر للجميع بخيلاء وهم يرددون

(عاش الملك)

ثم تركتهُ وهو يتخيل ما ألقته على مَسامعه باستهزاء مُنذ قليل لتَرتسم الابتسامة على وجهه وهو يستقيم بالفعل على مقعده ويمرر كَفيه على القوائم الخشبية على جانبيه بفخر.

انتقلت لغرفة يوناس وهي تزيح رماد الجنود بقدميها، وعلامات التقزز على وجهها،

وضعت كفها على فراشه ومررتهُ ببطء وهو تصُك أسنانها بنفور وهي تستشعر آثر روهان على الفراش الوثير، الغيرة أصبحت ثقيلة على قلبها بشكل لم تعُد تستطيع تحمله، هي الآن تريد قتله على أنه سمح لقلبه بأن يُحب أخرى، ولم تكن هذه الأخرى سوى إنسية!

ما الذي أعجبه بها؟! ضعفها أم مشاعرها المُثيرة للشفقة؟! كيف استطاع انتزاع امرأة مثلها من داخله بتلك البساطة؟!

رفعت كفها سريعًا وهي تنتقل إلى باقي الأثاث حتى وجدت آثره على إحدى الأدراج، نظرت لخاتمه بيدها وهي تقول بغيظٍ شديد:

ـ بيننا رباط لن تستطيع الفكاك منه يا نعمان.

انتبهت لما تفعله ثم قامت بادخار تركيزها على أثر يوناس، لتعرف أين انتقل بعدما رددت عدة كلمات لتتبعهُ..

رددت وهي تنتقل للغرفة المُحصنة:

ـ لن أترك من ذريتك الضعيفة هذه أحد يا بني النعمان، لن تجد غيري أمامك كي تعود لي، وحينها ستُصبح ملكي للأبد؛ فأنا لعنتك التي لن تقدر على التخلص منها مهما حاولت وأنكرت ذلك..

جالت بعينيها على جنودها الذين استطاعوا الدخول للغرفة المُحصنة،

ثم أشارت لقائدهم الذي لم يكن سوى (بارئ)

حارس نعمان المُخلص هو وأخويه، لقد غوته مويرا ليُصبح كلبها المُطيع لها ولسيدتها.

أقترب منها بارئ وهو ينحني أمامها لتسأله بتعاظم:

ـ هل تتبعت أثر ابن الإنسية؟!

إيماءة من رأسه كانت كافية لتبتسم لهُ وهي تُردد:

ـ لقد أحسنت اختياري لكَ يا بارئ.

لمعت عيناه بسرور وهو يُخبرها:

ـ انتقلوا جميعهم للغرفة السرية الموجودة في قصر جدهم الساحر الكبير رَمَاح.

ضمت هند حاجبيها مرددة:

ـ هذا الساحر الذي أراد مامّون أن يأخذ كتابه من قبل ولم يستطيع دخول غرفته بمساعدة يعقوب.

حرك بارئ رأسه بإيجابٍ:

ـ نعم هو، لكنه لم يتصدَ له بمفرده بل كان سيدي معه.

شردت هند وهي تقول بسخطٍ شديد:

- تركني وأنا بين الحياة والموت وذهب ليُنقذ الإنسي.

صمت بارئ بينما هي اشتعلت بنيرانٍ داخلية، لتختفي من أمامه كي تتوجه للغرفة السرية.

منذ قليل في غرفة الرَمَاح..

اختضت إلينا بفزع وهي تضع يدها على فَمها تكتُم شهقتها وهي ترى ملامح ابنتها التي تبدلت، وصوتها العميق الذي أصبح مُخيفًا للغاية.

رددت بخفوتٍ وبصوتٍ مُهتز:

- هل يصيب الجن مس؟!

أعادها يوناس لتقف خلفهُ وهو يرمُقها بدهشة قائلًا:

- مستحيل.

ثم وقف بثباتٍ كي يواجه ابنته مُحدثًا الشخص الذي أحتل جسدها بهدوء حاول التحلي به:

- من أنت؟!

تغيرت حدقتي الفتاة وهي تنظر لأبيها وبنفس الصوت الأجش أجابه:

ـ أنا جدك الأول يا يوناس رَمَاح.. وما تحمله في جسدك كتابي.

ضم يوناس حاجبيه ليسأله بقلق:

ـ وما الذي تفعله في جسد ابنتي؟!

طمئنهُ رَمَاح:

لا تقلق يا بُني لن أؤذيها.

حرك يوناس رأسه بتعجب مرددًا:

ـ كيف استطعت العودة يا جدي؟!

أجابه سريعًا:

ـ ادخرتُ تعويذة خاصة كي أعود بها لعدة دقائق حين تحتاجون لي، وابنتك كانت الأقرب لي جينيًا كي تتحملني، فهي الوحيدة التي شعرت بوجودي، حافظ عليها جيدًا فهي ثروة في عالم الجان، وستُصبح قريبًا جدًا هدفًا ثمينًا لكل سحرة الجن والإنس، فدماؤها التي تحملها لم يحملها إنسي مُنذ مئات السنين.

وقبل أن يستفيض يوناس أكثر كي يُخبره على وسيلة لحمايتها، أردف جده:

ـ اسمعني الآن، فلم يعُد عندي الكثير من الوقت، بالنسبة لابنتك فستجد كل الإجابات في كتابي الذي تحمله بين ضلوعك، لكنك للأسف إلى الآن لم تستطع حُسن استعمال ما تملكه، لذلك فهند بنت الملك الأحمر قد اقتربت من هُنا، ولو استطاعت الدخول، وسوف تستطيع.. ستقتلكم جميعًا وستُبقي عليك أنتَ لعدة ساعات حتى تستخرج من جسدك كتابي.. ووقتها تستطيع القول أن الممالك السبع أصبحت بين أصابعها تُقلبهما كيفما تشاء.

سألتهُ إلينا بفزع:

ـ وما العمل الآن؟!

أجابها جدها:

ـ سنستطيع معًا، أنا وأنتِ ومعنا روهان الصغيرة أن نوقفها لدقائق معدودة، أما عن يوناس فيجب أن يذهب الآن إلى قمة جبل (وستو) هُناك في كهفٍ حجري يوجد سيدة من كُبراء الجان المُعمرين.

قاطعه يوناس متسائلًا:

ـ ما اسمها؟!

أجابه بحنقٍ:

ـ لا تُقاطعني مرةً أخرى، لن أستطيع قول اسمها لك، لأنني لا أعرفه، لا يوجد بشري يعرفه، هي ستعرفك دون أن تُخبرها، فقط قُل لها أن هند عادت، وهي ستبعث معك شيئًا يستطيع بني النعمان من خلاله التصدي لها.

طرق يوناس برأسه للأسفل قائلًا:

ـ أبي ليس هُنا يا جدي، هو مع أمي تخضع لعملية خطيرة تُهدد حياتها مع حكماء الجن.

ردد الرَمَاح بحزنٍ شديد:

ـ نعم توقعتُ ذلك، فأنا لم أكن أقدر على العودة إلا وحياتها في خطر.

نظر يوناس لإلينا التي أدمعت عيناها بخوفٍ شديدٍ على خالتها، ليصيح بهم جدهم:

ـ انصتوا إليَّ الآن.

أردف وهو ينظر ليوناس:

ـ مصير المملكة بيدك أنت الآن، وأنا أعرف جيدًا أن قدراتك أقوى من أبيك ولكن قلبك مازال ضعيفًا ورقيقًا مثل البشر، لذلك فالخيار في يدك، إما أن تُصبح كابوسًا لأعدائك أو ستكون سببًا في هلاك أكبر قبيلة للمسلمين.

تبدل لون عين يوناس للأحمر القاني، ليبتسم جده وهو يُحدثه:

ـ هذا ما أردته تحديدًا.. لا تُضيع الوقت وانطلق الآن نحو العجوز، وأنا هنا سأحميهم حتى تعود.

لم ينتظر يوناس ليستمع لكلمةٍ أخرى، وانطلق تاركًا إلينا من خلفه تُخبر جده عما تستطيع فعله بآلاتها، انتقل يوناس للصين على قمة جبل (وستو) فوجد كهفًا حجريًا من كهوف الجن المعروفة في أعلى قمتهُ لا يستطيع إنسيٍ بلوغه،

خبط على صخرتهُ ثلاثًا وانتظر حتى أزاحت له الصخرة وخرجت تتأملهُ بتركيز.

نظر نحوها فوجدها عجوزًا للغاية، ليحدث نفسه..

(كم تبلُغ هذه؟! أعتقد ألف سنة أو يزيد..)

قاطعت أفكارهُ وهي تُخبره:

ـ لا لم أُكمل الألف بعد يا ابن بني النعمان.. تفضل.

دخل خلفها وهو يقول لها:

ـ أعتذر منكِ..

عقبت بابتسامة:

- لا عليك يا ولدي، فلقد أطال الله عمري لأُكمل رسالتي.

لم يُرِد أن يسترسل في أحاديثٍ جانبية الآن وعائلتهُ في خطر، فأخبرها على عجلٍ:

- لقد عادت هند.

توقفت عن التقدُم للأمام، والتفتت إليه قائلة:

- كُنت أعرف ذلك.. وقد حذرتُ والدك من قبل، لكنهُ لم يشك لحظة في أبيه.

لم يستطع يوناس سؤالها عما حدث بسبب ضيق الوقت، لذلك سألها سريعًا:

- حسنًا ما الذي يجب عليَّ فعله الآن؟!

تركتهُ ودخلت لتختفي من أمامه في باطن الكهف،

انتظرها بنفاذ صبرٍ حتى خرجت وهي تحمل معها جُزءً صغيرًا من حجر الزفير النجمي، اعطته لهُ قائلة:

- هذا هو الحجر الذي ربط هند بأبيك للأبد، لذا هي لن تمُوت مدام نعمان حيٌّ يُرزق.

قاطعها يوناس بدهشة:
- ماذا يعني هذا الكلام؟! هل يجب أن يموت أبي حتى نستطيع التخلُص منها؟!

رفعت كتفيها بقلة حيلة:

هذا هو الحل الوحيد.

كاد أن يصرُخ بها ولكنه توقف احترامًا لها، ليسألها برجاءٍ:

ـ أرجو أن يكون لديك حلًا آخر.

تحدثت بحُزنٍ:

ـ الربط بالحجر المُخصص لكل شخصٍ من أصعب أنواع الرباط الذي لا فكاك منه، يا بني يجبُ أن تفهم، أن والدك قد حاول منذ سنوات أن يتخلص من الخاتم والحجر عن طريقي لأنني أنا من ربطهما معًا بُناءً على رغبته، حينها جربنا كل الطُرق وسلكنا جميع السُبل التي نعرفها فلم نستطِع، لذلك ستجد الخاتم في يد والدك لم يستطِع حتى انتزاعهُ..

زفر يوناس بضيقٍ وهو يقول:

ـ وما العمل الأن؟!

أشارت لهُ نحو الحجر الذي ناولته إياه منذ قليل، ثم أجابته:

- هذا هو باقي الحجر الذي استخدمتهُ في الربط، لقد حثني حدسي على أن أحتفظُ به،

وأنا لا أخالف حدسي يومًا، تستطيع بعدة تعاويذ على هذا الحجر الصغير، أن تَجلب من خلاله شيئًا خشبيًا مُميزًا كي يوضع به الحجر، وهنا تستطيع التصدي لهند بشكلٍ مؤقت، حتى تجد حلاً لأبيك.

سألها يوناس بقلقٍ:

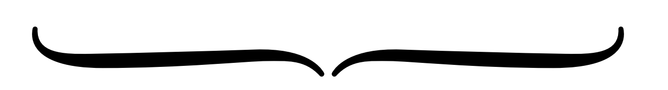
وما هي هذه التعاويذ التي سوف تجلب لي الشيء الخشبي؟!

ضيقت عينيها وهي تُمرر نظراتها على جسدهُ قائلة:

ـ هالتك قوية جدًا يا ولدي، ويبدو أنك تحمل داخلك شيئًا ثميناً ولكنك لا تعرف قدره، ابحث داخلك عن طريقة تستطيع بها بلوغ مرادك، وقتها ستُصبح لعنة على كل أعدائك.

وقبل أن يسألها سؤالًا آخر قالت لهُ بتعبٍ:

ـ اتركني الآن وارحل، أشعر أن موعدي قد اقترب.



الفصل الخامس عشر

خرج يوناس من كهف العجوز وهو يُمسك بجزء الزفير يُقلبه بين إصبعيه بحيرةٍ كبيرة، وهو لا يعرف من أين يبدأ؟!

الوقت يمُر، قلقهُ يتزايد برجفةٍ من قلبه لم يعتَد عليها، دومًا كان يشعر بالأمان مدام أبيه بجواره، حتى في أكثر الأوقات الحالكة من الحروب والتمردُ والخطر الذي عاشوا داخلهُ منذ ولادتهُ، كان ثابتًا كي يَشُد عضُده ويؤازرهُ ويُرشده للطريق الصحيح، الأن هو بمُفرده، حائر، ضائع، يشعُر بالتيه.

تذكر حينما كان أبيه ينتصب بقوة، ويأخذ نفسًا عميقًا ويُصفي ذهنه، وهو يرفع ذراعيه لأعلى.

فعل مثلهُ تمامًا، لكنه لم يصل لشيء!

زفر بضيقٍ وحاول مرة أخرى، ليفشل ثانية.

مرة تلو الأخرى جعلته يصيح بصرخةٍ عالية من فوق الجبل حتى وصلت عنان السماء.

خرج قلقهُ وتوتره وضغطه الكبير الذي يقع في أعماقه، ليسحقهُ بهدوءٍ وروية، حتى أنه يعجز عن التقاط أنفاسهُ.

وإلى هُنا عَرف السر...

السلام النفسي والشعور بالسيطرة والقوة، ثلاث خطوات لن يتم الأمر سوى بها.

أعاد الخطوات بشكلٍ أهدى وبسيطرةٍ أكبر، لذا بدأ في الشعور بقوةٍ كبيرة تُصارع لتخرُج من داخله، حلق في الهواء تاركًا جسدهُ للرياح تسحبه كيفما شاءت، توالت أمام عينيه المغمضتين كلماتٌ ذهبية اللون تومض بوميضٍ شديد، ثم تبدأ بالخفوت حتى تختفي!

عَلَم على الفور أنها التعاويذ التي أخبرته عنها العجوز.

بدأ بترديد الكلمات التي كانت بلغة الجن، كلمة تلو الأخرى حتى أنهى القطعة المُضيئة أمامه.

وفي هذه اللحظة عاد للسيطرة على جسده بالتوقف ثم فتح عينيه فوجد أنه ارتفع للأعلى حتى وصل للسماء الأولى، وجد الزفير النجمي الموضوع في كفه يُصدر شعاعًا أزرق اللون يخرجُ بقوة من بين أصابعه!

فتح كفه ليُحلق الحجر أمامه كي يرتفع لمكانٍ أعلى منهُ، ثم شكّل الزفير نجمة كبيرة فضية اللون، كونت من خلالها ست أضلاع، وقف الحجر في منتصفها..

سقط شعاع الأضلاع في مناطق مختلفة من العالم ثم صعد وكأنه مغناطيس يسحب كل ضلعٍ منهم شيئًا خشبيًا،

لفَّ بشكلٍ دائري حول الست أضلاع ليرى ما جاءوا به من أسفل، وكما أخبرتهُ الساحرة فهذه الأغراض جميعها ممُيزة، لكنه ما زال في حيرةٍ من أمره، أيهم أفضل..

فقد سحب أحد الأضلاع عصا كبيرة، والآخر ارتفع بخَاتم، بينما الثالث حمل معه قَلم،

الرابع كان يحتوي على عودٍ خشبيٍ سميك بكُرةٍ صغيرةٍ أعلاه،

الشعاع الخامس كان يحمل مِطرقة،

والسادس كان يُمسك بتمثالٍ خشبي كان على شكل دُمية لفتاةٍ فاتنة ترتدي على رأسها تاجًا له قائمُ محفورٌ به دائرةً فارغة..

تردد في الاختيار بين العصا والخَاتم، لكنه وقبل أن يتخذ قرارهُ بينهما، انتبه لشيءٍ ما تعجب له!

قلل ارتفاعه ليقف منتصفًا تحت الحجر الدائري، ليجد أن الأشعة الست مختلفة في مسافة ارتفاعها، فهناك غرضين أقل ارتفاعًا من الباقين.

جال بنظره عليهم وهو يدور تحت الحجر بتركيزٍ تام، حتى وجد أن الأكثر ارتفاعًا من البقية التمثال الخشبي والقلم، فذهب إليهما وبقياسٍ سريع للمسافة وجد أن التمثال الخشبي أعلى من القلم بعدة سنتيمترات، وهنا استطاع معرفة الغرض الذي سوف يضع به الحجر.

وحين أخذ التمثال تساقطت باقي الأغراض، وتجمعت الأشعة الست نحو التاج الموجود في التمثال الذي بيده، ليستقر الزفير النجمي موضع الدائرة الفارغة أعلى التمثال.

اختفت النجمة بأشعتها، وتحول الحجر الأزرق اللامع للونٍ أحمرٍ قاني.

دقق يوناس في الحجر بدهشة عندما تبدل لونه، ثم حاول استخدام التمثال بعدة حركات لم ينتُج عنها شيء!

عاد لتصفية ذهنه كما فعل من قبل، ولكن هذه المرة أبقى عينيه مفتوحتين كي يرى هل ستظهر الكلمات وعيناه مفتوحتان أم يجب عليه أن يغلقهُما؟!

وكما ظن قد حدث.. لقد ظهرت الكلمات واضحة جَلية داخل حدقتيه ليراهم بوضوح، وهنا استطاع معرفة كيف يتم الأمر، فالتعويذة التي يبتغيها تظهر أمام عينيه، وليس هذا فحسب بل تدُله على الاتجاهات الصحيحة للتمثال.

لم يستطِع تجربة شيءٍ آخر فقد مر كثيرٌ من الوقت.

انتقل على الفور عائدًا للغرفة السرية فوجدها فارغة تمامًا!

صاح بإسم إلينا ولديه فلم يحصُل على إجابة من أي أحدٍ منهم.

في هذه الأثناء وصل بني النعمان لمشفى ويفرلي هيلز، احمرت عيناه بالغضب حين لم يجد يوناس بجوار أمه كما أمرهُ، أمال على الحكيم الواقف أمامه يراقب روهان ليسأله بقلقٍ:

ـ ما هو الوضع الآن؟!

أجابه الحكيم بقلقٍ مُماثل:

ـ الوضع غير مُطَمئن يا سيدي، فقد فقدناها لثلاث مرات متتالية، وبصعوبة استطعنا إعادتها،

صك أسنانه بغيظٍ قائلًا:

ـ أين ذهب ولدي؟!

اتسعت حدقتي الحكيم باستياءٍ مرددًا:

ـ لقد جاءتنا أخبارًا منذُ قليل بعد رحيل سيدي يوناس، أن جنود الملك الأحمر هجموا على مملكتنا وسجنوا ملكنا، أعتقد أن سيدي ذهب ليُنقذ عائلته.

تحولت ملامح وجه بني نعمان بكمدٍ، لتتسع حدقتيه المتلونتان باللون الأسود الحالك، لم يتفوه بكلمةٍ عما سمعه، وأكمل حديثه عن زوجته، فهي الأهم الآن.

وحـين يـطمئن عـليها سـيأتـي دور كـل أحـد مـنهم بـالـحساب العسير:

ـ هل ستصمُد لعدة دقائق كي ننقلها لجزيرة بوفيت؟!

أجابه الحكيم وقد تهلل وجهه من شعوره بالأمل:

ـ سأرى ذلك مع زُملائي، لكن قبل ذلك هل أستطيع سؤالك عن شيئين، أومأ نعمان له، فاستطرد:

ـ أرى أن جسدك عاد أفضل مما كان، ما الذي أعطاه لك العماليق؟! وكيف استطعت إقناع الأرضيين بدخول سيدتي لعالمهم كي يقدروا على علاجها؟!

أجابه نعمان بجدية :

ـ لقد أعطاني حاكمهم عُشبة خضراء اللون، لم أرَ مثلها في عالمنا، ولا أعرف لها اسم، لكني ادخرتُ القليل منها، ثم أخرج ما خبئَهُ من جيبه وأعطاه للحكيم ليُردف:

ـ أريد منكم البحث جيدًا عن تكوينها، وأين يمكننا أن نزرعها وكيفية زراعتها، اجروا عليها أبحاثكم بدقة..

أما عن إقناعي لهم بمعالجة روهان فلم يكن بالشيء العصيب.

ثم أسرع بقولهِ:

ـ والآن دعنا نُسرع، فكل دقيقة تمر تُشكل خطرًا عليها.

حرك الحكيم رأسه بإيجاب وعاد يلتفت لزملائه كي يتباحثوا عن إمكانية نقلها الآن دونً أن تتعرض لسوء.

عاد الحكيم لبني النعمان الذي ثبت عينيه على جسد روهان الماثل أمامه على الفراش، موصولة بخراطيم بلاستيكية في كل جزء من ذراعيها وفمها وحتى رأسها.

أخرجه الحكيم من هوة مرضها التي سقط داخلها، وهو يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يُخرجها منها سالمة، تنهد بعُمقٍ وهو يستمع للحكيم الذي يُحدثه باهتمامٍ بالغ:

ـ نستطيع بعد عدة دقائق أن ننزع عنها الأجهزة الطبية، لكن الوقت لن يكون طويلًا بعدها، فقط عدة دقائق تصل للخمسة عشر، بعدها لا نستطيع التكهُن بما سيحدُث لها، فالجراحة التي أجريناها دقيقة للغاية حتى نستطيع احتواء هذا الورم اللعين واستئصاله، لكن الأمر لم ينتهِ هُنا لأنها لم تتحمل أن نُكمل الجراحة لجسدها الهَزيل، لذلك توقفنا في منتصف الطريق، ولن نستطيع فعل شيء لها بعد ذلك.

حرك نعمان رأسه بتفهُم، وانتظر حتى سمحوا لهُ بنقلها للجزيرة، حملها على ذراعيه وهو ينظر لوجهها المتألم بوَصَب، مُحدثًا إياها بخفوتٍ:

ـ لا تعبسي هكذا يا حبيبتي، لقد بقى القليل فقط وستعودين لي بكامل صحتكِ و بهَاءك و حُسنكِ الذي يملأ كَوني برحيقِ عطركِ المُسكر لحواسي.

قَبَل رأسها الذي أزالوا عنه جميع ما به من شعرٍ، ثم رفعها إلى صدره ليضُمها بقوةٍ وهو يستنشق رائحةً جسدها المُميزة، ليتذكر حين عشقها وأصبح المكوث جوارها ورؤيتها وهي نائمة ملاذهُ الخاص.

انتقل بها لجزيرة بوفيت، ووقف فوق البوابة الكبيرة التي حفظ موقعها من قبل، ثم أخرج من جيبه الكبسولة التي أعطاها له العملاق، ووضعها في فم روهان الغافية بأنفاس هادئةٍ وبطيئة، جعلته يُغلق فَمها وهو يحاول أن يجعلهًا تبتلعها بأي طريقة، فجلس أعلى البوابة على ركبتيه، ثم وضع جسدها عليهما، وقام برفع منتصف ظهرها الأعلى وهو يربت عليه برفقٍ هامسًا لها:

ـ ابتلعي هذه الكبسولة يا حبيبتي، هيا أرجوكِ ساعديني.

شهقت بخفة فابتسم وهو يُقبل جبهتها قائلًا:

ـ أحسنتِ.

طرق على البوابة ثلاثًا وهو يرتدي العدسات التي نزعها عند خروجه، وفي غفلة منه أفاقت روهان بوهن وهي تقول له:

ـ ما هذه العدسات التي تضعها في عينيك؟!

نظر لها بعدم تصديق، ثم احتضنها ببهجةٍ وهو يحمد الله على رؤيتها واعية، انفتحت البوابة أسفل قدميه، فضمها أكثر لصدره ونزل بها للأسفل.

رددت روهان بجسدٍ يرتعد وهي تنظر حولها، ولا ترى سوى هذا الظلام الدامس:

ـ أين نحن يا نعمان؟!

اقترب من أذنها ليُخبرها بخفوت:

ـ لا تفزعي يا حبيبتي، أنا هُنا معكِ، هذه المحطة الأخيرة وستكونين بعدها في أحسن حال.

أشار له الجنود أن يذهب باتجاه اليمين، ففعل ذلك ليجد نفسه في ممرٍ طويلٍ وشاسع، ممتد لمسافة لم يستطِع إحصائها.

تبع العملاق الذي يرشدهُ للطريق الصحيح، شعر أن الدقائق التي أخبره بها الحكيم قد قاربت على الانتهاء،

لكن ما يجعلهُ مطمئنًا قليلًا هي أنفاس روهان المنتظمة التي يشعُر بها على أسفل عنقه، وصل لغُرفةٍ جانبية وقف العملاق أمامها وأشار له كي يدخل بها.

وقف أمام باب الغُرفة ينظر لمحتواها بانبهار، هي ليست غرفة بالمعنى الحرفي، بل هي آلة كبيرة على شكل غُرفة، لم يرَ مثيلًا لها من قبل.

وجد داخلها كائنات تصطف أمامه بانحناءة تحيةٍ وتقدير، أشكالهم لا تُشبه العماليق على الإطلاق،

فهم صغار الحجم مثل الإنس، بينما تتلون بشرتهم باللون الأخضر، يرتدون ملابس تُشبه البشر لحدٍ كبير، ولكنها فضفاضة بشكلٍ مُلفت.

مد له الرجُل ذراعيه كي يأخذ منه روهان، حرك نعمان رأسهُ نفيًا، وأشار له أن يُخبره على الموضع الذي يريدها فيه،

ردد الرجل بلغة الجن:

ـ حسنًا كما تريد، فقط ضعها داخل هذا الأنبوب.

تعجب من كونه يتكلم بلغته، لكنه ترك التعجُب جانبًا وذهب كي يضعها كما قال له، حدَّث نعمان روهان بصوتٍ خافت:

ـ سأضعك داخل أنبوبٍ زجاجي شفاف وسوف أراقبكِ من الخارج، لا تهلعي يا حبيبتي فأناً هُنا أمامك.

تعلقت برقبتهِ ليشعر بدقات قلبها التي أصبحت بطيئة بشكلٍ ملحوظ، جعلته يُدرك أن الوقت المسموح قد انتهى.

حاول أن ينزع يدها من عُنقه ليجدها تتشبث به بقوةٍ أكبر وهي تردد بصوتها الباكي:

ـ لا تتركني يا نعمان أرجوك، أنا مُرتعبة من هذا المكان، ولا أشعر بخيرٍ أبدًا.

كان يود أن يُطمئنها، لكنه أسوءَ منها، هو لا يثق بهم نهائيًا، لكنه لم يجد حالًا أخر، حاول أن يجعلها تتماسك، وهو يُقبل كلَّ جزءٍ بوجهها مطمئنًا إياها:

ـ أعدك أننا سنخرجُ في الحال فور انتهائهم من علاجك، فقط أطيعيني هذه المرة يا حبيبتي، كي تُصبحي بخير.

أردفت بعجزٍ شديد:

ـ لا تذهب إليها يا نعمان، لقد نصبت لك فِخاخًا كثيرة كي تُصبح لها.

نظر لوجه زوجته المتألم بغرابة ليسألها:

- ما هذا الذي تتفوهين به يا روهان!

صممت وهي تُخفف من التشبث به قليلًا، لتبدأ ذراعيها بالتراخي حتى سقطت جوارها خائرة القوى،

دفعها نعمان داخل الأنبوب وعاد للخلف وهو يصرخ بهم:

ـ ابدأوا الآن.. سريعًا.

اقترب منه الكائن الذي حدثه من قبل ليأمرهُ:

ـ اخرج الآن من الغرفة، هيا أسرع.

٢٢٧

رمقُه بني النعمان بنظرة كادت أن تحرقهُ في موضعه، ابتلع بعدها باقي كلماته، ثم تمتم وهو يتوجه للبقية:

ـ سيؤذيك ما سيحدث الآن، لكن كما تريد.

تجاهلهُ وهو ينظر نحو جسد حبيبته الذي حلَّق عاليًا بتراخٍ داخل الأنبوب، بينما عيناها مُغلقتان باستسلامٍ كبير.

ظل يُردد تمتمات من الأدعية لتعود له سالمة، انبعث من أسفل الأنبوب إشارة حمراء صغيرة، ازداد توهُج هذه الإشارة لتُصبح دائرة ظلت تكبُر في الحجم حتى حاوطت جسدها بأكمله، ثم بدأت بالانكماش حتى وصلت لرأسها ليتضاعف حجمها ثانية، نظر نحو ملامح وجهها الهادئة فاطمئن قلبه قليلًا، على الأقل هي لا تشعُر بالألم مما يحدث لها.

في هذه اللحظة انتشرت الكائنات الخضراء هذه حوله بسرعة فائقة لم يستطيع من قوة سرعتهم رصد حركاتهم، صنعت الدائرة الشعاعية الحمراء عدة دوائر متتالية، لتكون حلقات تضيق عند رأسها وتسقُط ببطءٍ لتتسع حول جسدِها بحركاتٍ متواترة، أسرعت وتيرة هذه الحركات، بسرعة الكائنات الخضراء حوله، حتى بدأ يشعُر أنه بداخل دوامة كبيرة، وقتها فَهِم لمَ طلب منه هذا الكائن الخروج من الغرفةً.

حاول أن يتحمل هذه الدوامة التي تحُثهُ على الدوران، فثبت نظره على جسد روهان التي مازالت مسترخية للغاية بداخل الأنبوب،

بدأ يتغير لون الشعاع الأحمر تدريجيًا إلى اللون الأصفر، وهنا بدأت الحركات تُسرع عما كانت منذ قليل.

استمر على وقفته بثباتٍ وكل شيءٍ يدور من حوله بشكل جنوني، بعد قليل تغير اللون الأصفر للأخضر وقد زادتً الدوائر أضعافًا وزادت السرعة كذلك،

كاد أن يصرُخ بهم في نوبة غضبٍ حارقة، لكنه قرر أن يصمُد من أجلها.

أغمض عينيه وهو يستشعر نشاط هذه الكائنات الغريبة عليه، التي لم يرَها من قبل.

فنشاطهم كان كبيرًا ومُختلفًا بشكلٍ ملحوظ عن بقية العماليق، أحس بشيءٍ من الهدوء حولهُ ففتح عينيه ليرى أن الدوائر المتتالية على جسد روهان بدأت بالتباطؤ حتى توقفت عند المخ.

صنع هذا الشعاع فقاعة غلفت رأسها بأكمله، وظلت تتسع ببطءٍ ملحوظ حتى اختفت تمامًا، لتظهر بالأسفل عند قدمي روهان إشارة بيضاء فعلت مثلما فعلت مثيلتها، ليتوقف جسد روهان عن التحليق، ثم اتسع الأنبوب ليستدير كالفراش، فهبط جسد روهان أعلاه بهدوءٍ تام .

توقفت الكائنات من حوله، ليتقدم منه كبيرهم كي ينقل لهُ البُشرى:

ـ لـقد عـادت زوجـتك لـطبيعتها، واخـتفت جـميع الأمـراض بجسدها.

شكره نعمان بابتسامةٍ جذلة :
ـ أشكركم جميعاً على ما فعلتم.

ثم سأله:
- هل أستطيع الآن إخراجها من هُنا؟!

أجابه الرجل:

ـ بالطبع لا.. ستمكُث هنا لعدة أيام، يُمكن أن تكون ثلاث ويُمكن أن تَمتدُ للسبع.

خطى نحو الرجل ليسألهُ السؤال الأهم بالنسبة لهُ:

ـ هل ستستيقظ قبل مرور الثلاثة أيام؟!

حرك الرجُل رأسه بالنفي قائلًا:
ـ لا، ستبقى غافية حتى يعود نشاط جسدها.

سَعِد نعمان لهذا الخبر لأنه سيستطيع تركها الآن كي يعود ليرى ما الذي يحدُث لملكته،

و قلقهُ الذي يملأ داخله من مكوثها هنا بمفردها، لكنه بالطبع لن يتأخر عليها، سيقضي عليهم جميعًا ويعود



الفصل السادس عشر

فاقت إلينا على لكزةٍ ضعيفة من ولدها وهو يقول لها بحنان:

ـ أمي استيقظي.. هيا أفيقي.

انتفضت بفزعٍ وهي تُردد:

ـ ما الذي حدث؟!

جاءها صوت الملك الأبيض من خلفها قائلًا:

ـ كيف وصلت هند إليكم؟!

التفتت لهُ سريعًا لتراه يجلس بظهر مفرود، يُربع قدميه، بينما ابنتها تجلس بجواره مُقلدةً إياه حتى في نظراته.

غلبها البُكاء، ولأول مرة تتجرأ أن ترتمي في أحضانه من خوفها، ابتسم الملك الأبيض من حركتها العفوية، ثم ربَّت على كتفها بخفة، فابتعدت عنه وهي تمسح دموعها قائلة:

ـ أعتذر منكَ.

مرر كفه على رأسها مرددًا:

ـ لا عليكِ يا ابنتي، لا تجزعي هكذا أنا هنا معكم.

انضم الفتى لأمه كي يلتصق بها، لترفع إلينا رأسها تتأمل المكان الذي هُم بداخله،

كان عبارة عن كهفٍ حجري من الخارج، ولكنه مُبطن بحجرة زجاجية من الداخلَ، تلك التي يجلسون في باطنها، وقفت إلينا وهي تربت على رأس والدها بلُطفٍ، كي يترُكها تتفقد المكان.

إقْتربت من الجدار الزجاجي تلتمسه بيدها بتعجب، حتى شهقت وهي ترى أسماكًا ملونة تقترب من الكهف، لكنها حين تدنو منه تَفر هاربة في اتجاهات مختلفة،عادت إلينا وهي تشعُر بالاختناق الشديد من هذا المكان، لتسأل جدها:

ـ ما هذا المكان الغريب؟!

أجابها الملك الأبيض بشرود:

ـ سجَنٌ سحري تحت البحر بعدة أميال.

ثم أردف وهو ينظر إليها قائلًا:

ـ أو دعينا نقول إنـها غُرفة ملكة من ملكات الجن المائـي، سحرتها هند كي تُصبح سجنًا لنا.

وقبل أن تسأله إلينا مرة أخرى، سألها هو:

ـ ما الذي حدث معكم في الغرفة السرية؟!

قصت عليه إلينا ما حدث مع ابنتها، وما قالهُ جدها ليوناس،

٢٣٢

ثم أدمعت عيناها وهي تتذكر ما حدث لهم في أسوءِ جزءٍ، كي تسرده عليه:

ـ بعد دقائق من ذهاب يوناس وجدناها أمامنا، كانت عيناها قاتمة بشرٍ وحقدٍ عجيب، حاول جَدي التصدي لتعاويذها الغريبة، وحاولت أن استخدام الفلوت خاصتي، لكني لا أعرف ما الذي فعلتهُ بي.

توقفت عن السرد وهي تتحسس ملابسها باحثة عن الفلوت، ثم التقطت نفسًا عميقًا حين وجدته، يبدو أن هند غفلت عنه.

أكملت بتأثُرٍ واضحٍ على صوتها وهي تقبض على الفلوت بيدها:

ـ لقد شعرتُ بجسدي مشلول نهائيًا، حتى عيناي توقفت عليهما، كنت أشعر بما يحدث حولي وأراهم يبارون بعضهما البعض.

تساقطت دموعها وهي شاردة لتعود لها مشاعر الخوف التي عايشتها منذ قليل:

ـ كان ولدي نعمان يقفُ خلفي بثباتٍ، بينما ابنتي تجاهد كي تحافظ على صوت جدها الرنان دون ضعف.

وبحركةٍ تلقائية ضمهم جدهم إليه بحنانٍ كبير، وبفخرٍ أكبر لقوتهم وصمودهم، واستطردت إلينا:

ـ ثم بدأ جدي يضعُف كلما طال الوقت في جسد روهان، فبدأ يخفُت صوتها تدريجيًا، وقتها سلمتُ إنها النهاية، فرأيتُ هند تقترب مني بعينيها القاسية تلك، وجدتُ صوتي قد تحرر فنظرتُ لها بغضبٍ وأنا أصرخ بها:

(حلي قيدي أيتها الجبانة وأنا سوف أتغلب عليكِ)،

قهقهت بصوتٍ مُشمئز ولم تتركني، ثم تمتمت ببضع كلماتٍ فقدتُ الوعي على إثرهم، ولم أشعر بشيءٍ سوى الآن.

نظر نعمان الصغير لجده قائلًا:

ـ لقد قالت لأمي بعدما غفت

(لقد أقترب أجلكم لا تتعجلي هكذا، ولكن ليس الآن).

احتقن وجه إلينا وهي ترد على ولدها:
ـ سنرى عندما يعود والدك وجدك من الذي أجلهُ قد أقترب..

ثم نظرت للملك الأبيض وهي تسعُل بإختناقٍ طفيف، لتسأله:

ـ ما الذي حدث مع الملك الأحمر كي يفعل هذا؟! أليس ملكًا من ملوك المسلمين السبع؟!

أجابها وهو يُضيق عينيه بغُمة:
ـ هو بالفعل كذلك يا ابنتي، لكنه من يوم أصبح ملكًا وهو يريد تدميري، ولكني أنا الذي تركت لهُ نفسي كي يخدعني.

سألتهُ إلينا بغرابة:

ـ ولمَ ذلك؟! ما الذي فعلتهُ لهُ؟!

رفع الملك كتفهُ بإهمالٍ وهو يقص لها ما حدث، بينما ازداد سُعال إلينا بشكلٍ ملحوظ:

ـ لم أفعل شيئًا سوى أنني وُلدْت من أبٍ قائد لأكون مثله وولدي مثلنا.

رفعت إلينا حاجبيها وهي تُردد:

ـ وهل هذا الأمر يجعله يُكن لك كل هذا الحقد والبُغض؟!

تنفس الملك بعُمقٍ وهو ينظر للجدار الزجاجي أمامه قائلًا لها:

ـ ليس بالضرورة أن تؤذي أحدهم كي ينصُب لك فخًا لتقع به وأنت تظُن أنه يريد السلام، يكفي أن تكون مميزًا وقويًا وذو شأنٍ بين الناس، حتى يفعل كُل ما بوسعه كي يراك ضعيفًا، واهنًا، يستمتع برؤيتك تتجنب النظر إليه من فرط شعورك بالخزي من نفسك لأنك يومًا وثقت به، تراه سعيدًا بشكلٍ لا يُصدق لأنه أثبت لك العكس، يحاول إظهار ضعفك أمام نفسكَ بكل طريقةٍ ممُكنه وهو يتباهى أنه استطاع خداعك، وبدلًا من أن تكرهه هو لأنه خسيسٌ وخائن، تكره طيبتك ولطفك وتفكيرك دومًا بالصلاح داخلهم.

ليُنهي كلماته المؤلمة على قلبه بثباتٍ:

ـ لكن لا تيأسي، فهذا الخائن سوف يموت بأسوء طريقة ممكنةٍ لأمثاله، ولن يرحل قبل أن يرى من آمنهم يخونوه، وبنفس النظرة التي تفاخر بها أمامك، سوف يتباهى بها خائنُه أمامه، ووقتها فقط سوف يموت لآلاف المرات غير مأسوفٍ عليه.

تهدج نفس إلينا وهي تُحدثه:

ـ وما هي قصة هند؟!

أجابها وقد ازداد قلقهُ عليها:

ـ من كثرة حقده عليّ أنا وولدي، كان يريد أن تُصبح ابنته مثل بني النعمان، فزوجها لأحد معلمين السحر العِظام كي تُصبح مثلهُ، ولكن أصل الأشياء هي التي تحركه لأحد الجانبين، فكان الشر فيها متأصلًا، فقتلت زوجها لأنها اكتشفت أنه لا يُعلمها تلك الأشياء الخاصة التي تعلمها بني النعمان على يد مُعلمه ساري، جاء والدها يترجاني كي أبعث لها بني النعمان حتى يحميها من قبيلة الشنفري لأنها تُريد القصاص من أجل أحد الكُبراء، وهذا كان خطئي الأول، أنني صدقتهُ.

سألته إلينا بانتباه:

ـ وما الذي حدث بعد ذلك؟!

ضيق عينيه مستفسرًا:

ـ هل أنتِ بخيرٍ يا ابنتي؟!

إيماءة من رأسها كانت كافية ليُكمل:

ـ نفذ بني النعمان أمري كعادته، ومن هنا استطاعت هذه الحية أن تتلاعب بمشاعره وتجعله يتزوجها، كنت أظنها فتاة مسكينة لأبٍ قاسٍ يحمل في جنباته قلب شيطان، أراد بيعها مرة أخرى للأخ الأصغر لزوجها السابق مع دفع الدية كي يُنقذ حياتها، فشجعت ولدي على حمايتها من أبيها لأكتشف أن الأمر كُله خُدعة، وهذا لأن ساري رفض تعليمها السحر لما رأه داخلها من شر، وهكذا حاولت أن تجعل بني النعمان يُعلمها أسرار السحر الخاصة، وذلك لأنها محدودة بين خمسةٍ فقط من كِبار القبيلة وساتور الأخ الأصغر لعادور لا يعرفها، حاولت أن أكشف لبني النعمان أمرها ولكنها كانت تحمل طفلته وقتها، وحدث حادثٌ كبيرٌ قلب كُل الموازين،

أغار أحد الشياطين يتبعه ساحرٌ إنسي كان يريد الكتاب من جدك، تصدى له بني النعمان فقام بطعنها طعنة فقدت ابنتها على إثرها، وهنا أستطاع الملك الأحمر أن يُرجعها للقبيلة بعدما انتهى نعمان من تعليمها جميع أسراره، ليقوم هذا الملعون بخداعي ثانية والاتفاق معي أنه سيأخذ ابنته ليعالجها في أقاصي الأرض،

وسوف يُبعدها عن ولدي ويترك لنا هذا الجُزء من الأرض ولن يعود ثانية، وللأسف صدقته وكل ما كان يجول بخاطري أن أحمي ولدي من براثن هذه الشيطانة.

تسارعت أنفاس إلينا بشدة، لدرجة أنها لم تعُد قادرة على التقاط أنفاسها، اقترب الملك الأبيض منها وقد أيقن أنها أصبحت على شفا أن تفقد حياتها إن لم تخرُج من هُنا الآن، لمح نظرات الرُعب في عيني ولديها، بينما هي استلقت على ظهرها شاخصة البصر.

لم يجد الملك الأبيض حلًا أمامه سوى النداء عليها بغضبٍ وهو يبحث عن عرضٍ مُغري لن تستطيع رفضه.

- منسا.

وقف يوناس في منتصف الغرفة السرية حائرًا في البحث عن تعويذة تدلُه على مكانهم، لكنه اكتشف بعد قليلٍ أنه يبحث في المكان الخاطئ، نظر نحو الحجر الموضوعٍ في التمثال وهو يضيق عيناه بتفكر، حتى وجدها...

لو عرف مكان هند بالتأكيد سيصل لزوجته وأولاده، وباستخدام التمثال الذي يحوي جزءً من الحجر الذي ترتديه سيكون من السهل عليه إيجادها.

وجد تعويذة تستطيع أن تتبع أثر الجن ولكنها تحتاج إلى أثر!

ردد يوناس بانفعالٍ شديد:

ـ ما الذي يعنيه هذا الكلام الآن!

فقد التحكم في أعصابه وانتابتهُ نوبة غضبٍ جارفة كاد أن يحرق بها غرفة جده، لكنه توقف فجأة عندماً رأى شيئًا يلمع على أرضية الغرفة، انحنى ليرى ما هذا،

فوجدهُ رمادًا عالقًا لشيءٍ ما، ووجد الحجرِ الموجود في التمثال يزداد شعاعه كلما لمس هذا الرماد، فَهِمَ على الفور أنه أثر هند، ردد سريعًا التعويذة التي ظهرت أمامه فرأى ذلك الأثر يرتفع للأعلى و يمتد للأمام، تبعه يوناس حتى وصل لغرفة أبيه وأمه في قصرهم..

وهنا أضاء التمثال بضوءٍ ملأ المكان بأكمله، قبض على التمثال بقوةٍ كبيرة وانتقل داخل الغرفة، وجدها تتمدد على الفراش براحة، انتفضت حين وجدت يوناس!

نظرت للخاتم المضيء في يدها بدهشة، كانت تظُن أنه هو، كيف فعل ابنه ذلك؟!

لمحت التمثال بيده فصاح بها يوناس وهو يسدد لها ضربة عاجلة:

ـ انهضي من هذا الفراش أيتها الحقيرة، فشيطانة مثلك مكانها المزابل وليست غرف الملوك..

أثار غضبها بشدة فرفعت يدها ترد له الصاع صاعين وهي تصرخ به:

ـ المزابل تلك مكانك أنت ووالدك أيها الضعيف، كانت تتوالي التعاويذ أمام يوناس، لكنه لك يكن بالسرعة الكافية ليُباغتها بها.

كانت خبرتها وذكائها وممارستها للسحر منذ سنوات كثيرة، تجعلها أسرع وأمهر منه بشكلٍ حاول يوناس الصمود أمامه، غرفة والدهُ أصبحت ساحة حربٍ بينهما، لتتهدم الغرفة، ويحترق الأثاث حولها.

وقفت في المنتصف بينما يحاول الوقوف ثابتًا بعدما قامت بزلزلة الأرض من تحت قدميه، لتعاجلهُ بضربةٍ قويةٍ جعلتهُ يقع أرضًا، ليتدحرج التمثال من يده بعيدًا، تقدمت منه ثم أمسكت بشعر رأسه لترفع رأسه عاليًا وهي تُحدثه:

ـ هل صور لك غرورك أنك تستطيع التغلب عليَّ، أنا هند أقوى ملكات الجان أيها الفتى الهجين؟!

أصبحت نظراته أكثر شراسة نحوها، لتتجمد مكانها للحظة عندما لمحت في نظراته هذه أبيه!

لقد تبدل لون عينيه للأحمر مثل نعمان؟!

لم ترَ جنيًا تتبدل عيناه مع مشاعره سوى هو، كانت تعرف من نظراته صدق مشاعره ناحيتها، كما كانت تعرف أيضًا متى يكون غاضبًا، أو حزينًا أو حتى عاشقًا.

استغل يوناس شرودها ورفع ذراعه سريعًا كي يستجلب تمثاله بعدما ظهرت تعويذة أمامه رددها على الفور، فأبعدتها عنه بضربةٍ قوية جعلتها تلتصق بالحائط خلفها،

لم يتوقف عن التمتمة ليسجنها داخل هالة حمراء مُشعة بفعل الحجر، التقط أنفاسه بصعوبة بينما هي وقفت داخل الهالة تقهقه باستهزاء، ثم توقفت وهي تنظر لهُ قائلة:

- هذا كل ما استطعت فعله؟!

ثقتها هذه المقرونة بكلمتها التي تُشبه والده بشكلٍ لا يُصدق، وهذا شيء أزعجهُ كثيرًا ليستقيم في وقفته، وهو ينظر نحوها بحقدٍ جعلها تُردد:

- تعرف أنني توقفتُ عن قتلك منذ لحظات لأجل هذه النظرة.

رفع يوناس زاوية فمه بتهكُم مرددًا:

- أتتغذين على الغضب مثل أمير الشياطين.

ليُردف وهو يتقدم منها:

- لمْ أدعِ بسبك شيطانة فمن الواضح أنك هكذا بالفعل.

حركت رأسها نفيًا وهي تقول له:

ـ لا أنا أتغذى على كل ما يخص نعمان، وحين رأيت نظرته في عينيك توقفت عن قتلك، فلقد أنقذتك جينات أبيك لبضع دقائق.

حطمت الفقاعة الزجاجية بكل بساطة وخرجت وهي تدفعه كي يلتصق بالحائط مُقيدة إياه بسلاسل ظاهرة، استطاع حلها قبل اقترابها الوشيك منه، ثم صنع حائطً زجاجيًا أمامه حتى لا تطاله يدها، فهو الآن أيقن أنها لو استطاعت إمساكه مرة أخرى ستكون نهايته .

حاولت مرتين أن تدمر الحائط ولكنه كان قويًا عما فعله منذ قليل، وهذا معناه أن هذا الفتى يتقدم بسرعة البرق، قبل حتى أن تُدرك ذلك.

اعتدل يوناس خلف الحائط ليستعد للهجمة القادمة، مُقررًا أنها ستُصبح هي بين يديه، لكنه لن يستطيع قتلها بسبب خاتم والده.

فزفر بضيقٍ وهو يفكر كيف عليه تقييدها حتى تُخبره عن مكان إلينا وأولاده، لقد تأكد الآن أنها لم تقتلهم، وهذا لم يكن إلا لسبب لم يعرفه بعد.

وجَّه التمثال أمام جسدها في نفس اللحظة التي حطمت بها الحائط الزجاجي،

وقبل أن يُقيدها كما فعلت معه منذ قليل، كانت هي تحاوطه بدائرةٍ من نَارٍ، وقفت أمامه لتُحذرهُ:

ـ لا تتحرك يا فتى، فهذه ليست كأي نَار.

دنت منه ولكنها تركت مسافة كافية بينها وبين دائرة النار تلك، لتستطرد بخفوت:

ـ هذه نَارِ السَّمُومِ، طريقتي المميزة لقتل الجن.

ثم شهقت بخفة وهي تضع كفها على فمها وهي تقول:

ـ دعني أقول الحقيقة؛ إنها طريقة والدك المُفضلة، لذلك أنا أيضًا أفضلها كثيرًا.

شعر يوناس بجسده ينصهر ببطء، نظر للتمثال الذي بيده، فوجد الحجر قد خفت وقد توارى لونه الأحمر ليُصبح أسود، بينما اختفت التعاويذ من أمام عينيه في هذه اللحظة.

التفت هند حول الدائرة مُرددة:

ـ سأخبرك كيفية عملها، في بداية الأمر تشعر بالانصهار لأول مرة في حياتك، فيبدأ جسدك الناري محاربتها لبعض الوقت عن طريق إفراز بعد المواد السامة، ثم تُصبح هذه المواد بلاء حين تتسمم جميع أعضائك الداخلية.

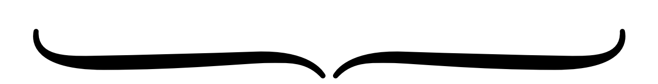
وقفت أمام الفراش المهدوم، وبحركاتٍ من يدها أقامته ثانية لتتمدد عليه كما شاهدها حين دخوله، لتُكمل باستمتاع تعجب هو له:

ـ كل هذه الخطوات تتم بألم لا يُحتمل، أو دعنا نقول أنه غير مألوف للجن الأقوياء مثلك، لكني أصريت أن أختار لك طريقة والدك المُفضلة التي اخترعها بنفسه، كي تموت بما جنت يداه.

جلست ثانية وهي تخبط على جبهتها قائلة:

ـ نسيت إخبارك أنك لو أردت الموت بسرعة أكبر عليك محاولة الخروج منها.

عادت للاستلقاء، بينما جاهد يوناس أن يظل واقفًا، لكن قدماه لم تتحمل حمله لهذه المدة البسيطة فهوى أرضًا يُنازع وصور والديه وزوجته تتوالى على عقله...



الفصل السابع عشر



ظهرت منسا على الفور من خَلف الزجاج عندما سمعت نداء الملك الأبيض، الذي ترك جسد إلينا وهي ما زالت تحاول أخذ أنفاسها بصعوبة بالغة، فعلى هذا العُمق تحت سطح البحر، يقل الأكسجين تدريجياً ومع سجنهم داخل هذا الزجاج المُحكم أصبحت قاب قوسين أو أدنى من أن تختنق بشكلٍ تام.

حَدَّث الملك الأبيض منسا برجاء:

- هل تستطيعين إخراجها من هُنا؟!

نظرت منسا لإلينا قائلة:

- هذه الأنسية ليس لديها الكثير من الوقت، ثم أنا لن أقدر على الدخول، لقد سَحرت هِند الكهف بأكمله.

ضيق الملك الأبيض عينيه بغضبٍ مُرددًا بعدم تصديق لما قالته:

- ما الذي دفعكِ على مساعدتها؟!

فأنتِ تعلمين مدى الشر بداخلها، ونحن دومًا كنا يدًا واحدة، كيف استطعتِ خيانتنا!

رفعت منسا كتفيها بإهمالٍ وهي تُجيبه:

- لم يعُد لدي وقتٌ لتلك المشاعر يا ملكي العزيز، أنا الآن لا أبحث سوى عما سأجنيه فقط،

وقد اتفقتُ مع هند على مساعدتي لتحقيق انتقامي ممن تسببوا في موت أبي، وهذ كل ما يهمني.

لَمعت عيناها باللون الأصفر ثم التفتت لتغادر، فأوقفها الملك الأبيض بقوله:

- تعرفين أن هند ستخسر أمام بني النعمان، لذلك أحب أن أخبركِ أنكِ في الجانب الخاطيء.

عادت لهُ وقد علت ابتسامتها قائلة:

- أعلم ذلك جيدًا، لكن لو حدث وهي تغلبت عليه سيُصبح جيشي حينها لا يُقهر، أما إن تغلَّب عليها هو فلن أكسب شيء، فبني النعمان لا يحارب أحد ملوك المسلمين، وبالأخص لو كان صديقه المُقرب مثل كفيائيل، لذلك أنا في الحالتين لستُ خاسرة.

نظر لها الملك الأبيض نظرة ثاقبة وهو يعرض عليها:

- لو أنقذتِ ابنتي هذه الآن، أعدك أنكِ ستكسبين جانبي.

التصقت بالزجاج وهي تدقق النظر في ملامحه الجدية قائلة:

- هذا بالفعل عرضٌ مغري للغاية، والأكثر إغراءً به أنه سيكون طعنة قوية لعمي العزيز.

ظلت هكذا للحظات تتخيل وجه عمها كفيائيل حين يرى جيش الملك الأبيض معها، تهلل وجهها وهي ترى هذا المشهد بعينيها المُضيئة ثم قالت له بتأكيد:

ـ هي فقط.

إيماءة من رأسه كانت كافية، وفي اللحظة التالية دخلت منسا غُرفتها ثم انحنت لتحمل إلينا بين ذراعيها صاعدة إلى السطح وهي تقول له بصوتٍ مُرتفع:

ـ لو أخلفت وعدك معي يا ملكي الغالي، لن أتوانَ لحظة عن قتل كل عزيز لديك، بيدي هاتين.

ملامح الحُزن احتلت وجه الملك الأبيض وهو يردد:

ـ أتمنى أن تُسامحني يا كفيائيل، فلم يكن لدي خيار آخر.

ثم جلس ليأخذ أحفاده بين ذراعيه مطمئناً إياهم أنه استطاع إنقاذ أمهم.

صعدت إلينا على السطح فعادت بشهقة كبيرة، جعلت منسا تتأملها بتعجُب لتسألها وهي ما زالت تحمل جسدها:

ـ هل أنتِ بخيرٍ الآن؟!

حركت إلينا رأسها بإيجابٍ وهي ما زالت تَسعل بقوة، تحول ذيل منسا لقدمين وهي تتقدم نحو الكهف التي كانت تقابل به كِنان منذ زمنٍ ليس ببعيد.

وقفت تتأمل الكهف بعينين دامعتين، لتُخفي وجهها الحزين هذا فور تملل إلينا بين ذراعيها،

تركتها منسا تنزل على قدميها، وأخبرتها وهي تُغادر:

ـ لا تتحركي من هذا المكان حتى يأتي زوجك إليكِ.

أوقفتها إلينا بأنفاسٍ متلاحقة:

ـ أشكركِ على إنقاذك لحياتي.

ورغم بساطة الجملة توقفت منسا عن التقدم، وقد شعرت بشيءٍ داخلها يصارع كي يخرج، تذكرت منذ عدة سنوات ماضية كيف كانت مُحبة ورقيقة وتُحب مساعدة الناس، وبالأخص كِنان الذي أحبته وهو بشري، ورغم جهلها بكونه جني كانت مستعدة لفعل أي شيء من أجله.

أخذت نفسًا عميقًا وهي تستنشق عبق رائحته التي مازالت عالقة في هذا المكان، فاندهشت إلينا لوقفتها هكذا، ولكنها لم تُرد أن تختلط معها، لقد شعرت بالامتنان لها على مساعدتها وقامت بشكرها وانتهى الأمر.

ورغم ذلك أحست بالخطر من وقفتها التي طالت هكذا، فوضعت يدها على جيبها تتحسس الفلوت خاصتها، أخرجته وهي تستعد لأي شيءٍ مُفاجئ قد تفعله، تذكرت ما حدث مع هند وعدم سرعتها حتى تبدأ بالعزف، فقررت البدء الآن وهذه الجنية ما زالت مُتجمدة مكانها .

بدأت تشعر بالبرد الشديد في هذا المكان، بالإضافة لملابسها المبتلة من الماء، فجاهدت حتى تُخرج أنفاسها مستقرة، لكن ورغم ذلك خرجت باهتزازٍ واضح، ضمت منسا حاجبيها عندما أقدمت إلينا على العزف، استدارت نحوها وبسرعةٍ شديدة تأملتها وهي تدنو منها لدرجة ارتعبت لها إلينا، توقفت عما تفعلهُ حين وجدتها لا تتأثر، بل تُحدق بها بشكلٍ مخيف.

التزمت إلينا الصمت وهي تتراجع للخلف لتسألها منسا:

ـ لمَ توقفتِ عن العزف؟!

زمت إلينا شفتيها بتعجب قائلة:

ـ اقترابك مني بهذا الشكل غير مريح على الإطلاق.

عادت منسا للخلف وهي تعتذر لها:

ـ أعتذر منكِ.

ثم ضمت حاجبيها تسألها بقلق:

ـ هل تشعرين بالبرد؟!

حاولت إلينا التماسُك وهي تقول لها:

ـ لا، أنا بخير.

اختفت منسا على الفور من أمامها، وعادت وهي تحمل معها ملابس ثقيلة لتناولها إياها قائلة:

ـ ارتدِ هذه، ستجعلك دافئة.

نظرت إلينا للملابس الصوفية الثقيلة التي بيدها لتسألها بدهشة:

ـ من أين جئتِ بهم؟!

وقفت منسا أمامها وهي تعطيها ظهرها كي ترتدي الملابس دون حرجٍ قائلة:

ـ تستطيعن القول بأن هذا الكهف كان مسكني لفترة، ولهذا احتفظت ببعض ملابس البشر حتى أستطيع ارتدائها عند حصولي على قدمين.

انتهت إلينا وجلست تتنهد براحة وقد بدأ جسدها يشعر بالحرارة، جلست منسا جوارها قائلة:

ـ الآن اكملي عزفك، فلقد سحرني، فأنا لم أستمع إلى مثله من قبل.

ابتسمت إلينا وهي ترى تأثر منسا الملحوظ، فسَعِدت وهي تُفكر مليًا في تكوين صداقة متينة مع هذه الجنية، لكنها كما سمعت من يوناس من قبل أن الجني المائي يُماثل تكوينه، ففي لحظة يكون هادئ وفي لحظة أخرى يثور بعاصفة تنهي حياة كل من حولهُ.

نقلت نظرها بينها وبين الملابس وهي تشعر أن هناك أمل أن تعود هذه الفتاة للاتجاه الصحيح، فقد سمعت حديثها مع جدها فيبدو أنها ضلت الطريق ويجب أن يتطوع شخصًا ما لإعادتها.

رفعت آلتها على فمها وبدأت معزوفتها المُميزة، التي أخرجت جميع الجن المائي من البحر الذي تجلس أمامه، لكنهم يقفون بحذرٍ على مسافة بعيدة منهم لوجود منسا في المكان، تعلو على وجهم الدهشة الكبيرة، فهم كما يطلق عليهم سحرة الإنس فمن أين جاءت هذه الإنسية لتسحرهم جميعًا بعزفها.

انتقل بني النعمان لقصر أبيه، فوجد الملك الأحمر يجلس براحةٍ كبيرة على مقعد والده، وقبل أن يُدرك الملك الأحمر وجود بني النعمان كان يُصوب نحوه أشعة من نارٍ حامية جعلتهُ ينتفض فزعًا من كرسيه.

اختفى بني النعمان من أمامه ثم ظهر خلفه قبل أن يهرب، فهو يعلم جيدًا أن آفته الجُبن.

قيده خلف مقعد والده، ثم قام بشد السلسال الحديدي بقوة جعلت الملك الأحمر يجلس على ركبتيه رغمًا عنه، اقترب بني النعمان منه وهو يُمسك رقبتهُ بقوة قائلًا له وهو يشتعل من الغضب:

ـ من أين جاءتك هذه الجرأة كي تتعدى على مملكة الملك الأبيض، بل وتسمح لنفسك بأن تجلس على مقعده.

نظر له الملك الأحمر بثقة قائلًا:

- ابنتي التي سوف تقتُلك الآن هي التي مدتني بتلك الشجاعة.

لم يُعقب بني النعمان على تُرهاته بل سأله بوضوح:

- أين أبي؟!

قهقه الملك الأحمر بشدة وهو يقول له:

- لا أحد على الإطلاق يعلم مكانه، سوى أنا وابنتي.

ترك بني النعمان رقبتهُ، وأرخى السلسال الذي يجعله منحنيًا، وتركه كي يستطيع الجلوس على الأرض، بينما جلس بني النعمان أمامه ليسألهُ بهدوءٍ تام أرعب الملك الأحمر:

- لا أريد معرفة أين سَجنَت ابنتك أبي الآن، ولكني أريد معرفة كيف خدعتني بموت هند؟!

ثم أردف وهو يرفع سبابته أمامه:

أعتقد أنك تعلم جيدًا أنني أملُك أساليب أسوء من الموت، فلا تسمح لنفسكَ بخداعي مرة أخرى، كي أفكر في طريقة تجعلني أعفو عنك.

ثم اقترب بوجهه منه مرددًا:

ـ ما رأيك أنت أن نتفق هكذا؟!

رغم اهتزاز حدقتي الملك الأحمر بخوفٍ إلا أنه حدثه بثبات:

ـ أنا لستُ خائفًا منك على الإطلاق، لكنني سأقص عليك ما حدث حتى أراك وأنت تُصْدم بمن حولك.

رسم بني النعمان علامات الحزن على وجهه، فصدق الملك الأحمر أنه سوف يرى علامات الصدمة على ملامحهُ، كي يتشفى بشعوره القوي بالخداع والكذب من أقرب الأقربين إليه، عائلتهُ التي يتباهي بها، وجنوده المخلصين، وكل من عرفه حتى الآن.

حدق به بنظرة يعرفها بني النعمان جيدًا، ليروي له ما حدث:

ـ لقد أتاني ساتور يدعوني للقاء مأمون وساحرهُ من الإنس يعقوب، وأبرم معي الثلاثة إتفاقًا أن أساعدهم على معرفة اسم الساحر الحقيقي الذي يعمل على كتاب أسرار الجان، وكان المقابل أن يساعدونني هم على عودة ابنتي، بعدما استحال رجعوها عندما حملت طفلتك.

أوقفه نعمان وهو يضم حاجبيه بتفكر ليسأله:

ـ كانوا يريدون اسمه فقط؟!

مرر الملك كفه على رأسه ليُكمل:

ـ نعم هذا كان الاتفاق، فالأسماء الحقيقية بالنسبة لنا كنوز كما تعلم أنت.

أردف بني النعمان:

ـ لماذا إذًا حاول مأمون اختطاف الرمَاح، مدام أراد اسمه الحقيقي فقط؟!

أجابه الملك بابتسامةٍ ماكرة:

ـ هذه لم تكن سوى مناورة سريعة كي تذهب أنت إليه وأستطيع أنا إقناع والدك بأن يتفق معي.

نظرات بني النعمان جعلتهُ يستطرد بفرحة عارمة:

ـ لم يُرِد مأمون سوى الاسم حاليًا، وذلك لأن الجميع يعرف أن الرَماح لم يُكمل كتابه بعد.

رَبَّع بني النعمان ذراعيه قائلًا:

ـ لقد ظننتُ أنه يريد قتله قبل أن يُكمل الجزء الخاص بالأمراء السبع .

نفى الملك الأحمر الأمر سريعًا:

ـ لا، لا.. لم يكن هذا غرضه، بالعكس تمامًا كان يريد أن يُكمله حتى يسيطر على البقية.

فَهم بني النعمان الأمر بأكمله وهو يستدرج هذا الأحمق، ثم وصل لجزء الملك المُفضل:

- ومن هو الخائن في قصري حتى يساعدك أن تفعل كل هذا؟!

لمعت عينا الملك الأحمر وهو يقول له:

- كانت مُهمة هند الصعبة أن تقنعك بمويرا خادمةً لها، وكان من المستحيل على مويرا إغواء شاص أو أحد أخويه، لكن بعد مدة كبيرة استطاعت أن تضم بارئ إليها، وبذلك استطعنا معرفة كل شيء.

لاحت على وجه بني النعمان ابتسامة ساخرة وهو يسأله:

- وبعدما عرفت كل شيء تريده أنت و مامون ويعقوب، لماذا لم تقدروا على الرَماح؟!

حرك رأسه بإهمال:
- هذا ليس شأني أنا كنت أريد ابنتي بعدما تعلمت منك أسرار السحر جميعها كما اتفقت معها، لكن حملها بطفلتك كانت الطامة الكبرى التي جعلتها تعصاني وتريد الاستمرار معك.

وقف بني النعمان ورفعه؛ بحركة مفاجأة من يده كي يسأله السؤال الأخير:

- وما هو كان اتفاقك مع أبي؟!

صاح به الملك بعد ما فعله به من حركة سريعة أجفلتهُ:

ـ حررني أولًا وسأكمل لك.

عاد بني النعمان خطوة واحدة للخلف وهو يحاوطه بدائرةٍ من نَارِ السَّمُومِ وهو يقول له:

ـ هل تعرف أنني لم أستخدم هذه الدائرة منذ زمنٍ بعيد، ثم وضع يده على جبهته ليتذكر قائلًا:

ـ لا، كي أكون دقيقًا، فأنا لم أستخدم السحر منذ أن ماتت ابنتك.

شعر الملك الأحمر بأعضائه الداخلية تنصهر، فصرخ بألم وهو يقول له:

ـ توقف أرجوك.

أقبل نعمان عليه وهو يضع كفه على أذنه قائلًا:

ـ هذه ليست إجابة سؤالي.

رأه يلهث بتعب فرفع ذراعه كي يُخفف من حدة النيران المتصاعدة، فالتقط الملك أنفاسه وهو يقول لهُ بصوتٍ متهدج:

ـ اتفقتُ معه على أن آخذ ابنتي بعيدًا عنك مقابل أن يقنعك بموتها.

إلى هُنا قد أكتفى بني النعمان منه.

فرفع ذراعه للأعلى فارتفعت النَارِ الحارقة لسقف القصر العالي ليُصبح الملك الأحمر مجرد رماد على أرضية الغرفة، ليتكوم أمام مقعد والده المُحترق.

نظر بني للنعمان لرماده مُرددًا:

- قد عشت أحمقًا وخائنًا ومِت بجحيم أفعالك، فإلى جهنم وبئس المصير.

انتقل إلى غرفته فوجد هند مستلقية على سريره، بينما يرقد يوناس أرضًا وسط النيران، رفعت هند رأسها ببطء وهي تنظر لبني النعمان قائلة:

- هل اشتقت إليَّ؟!

وقف أمام النيران كي يُخمدها، فوقفت هي خلفهُ لتُقرب فمها من أذنه هامسة:

- أعتذر منك على قتل ابنك الوحيد.

ثم رفعت عينيها وهي تنظر لدائرة النيران التي انطفئت لتجدها فارغة، جحظت عينيها واحتقن وجهها ليلتفت بني النعمان نحوها وقبل أن تُدرك كان يقيد يديها وقدميها لتُسحب مجرورة للحائط .

لم تُبدِ أي ردة فعل مما صنعه، وتمتمت بذهول:

ـ كيف حدث هذا؟!

ظهر يوناس ليقف خلف أبيه مبتسمًا، فدنا منها بني النعمان وهو يُقرب وجهه منها قائلًا بخفوت:

ـ يبدو أنني لم أعلمك السحر الخاص بالتخلص من الجن.

ثم أردف هامسًا:
ـ أعتذر منكِ لأنني لم أثق بكِ يومًا لأفعل ذلك.

ثم عاد للخلف عدة خطوات وهو يصيح بها:
ـ والآن أين أبي وأحفادي؟

ثم خفض صوتهُ بحُزنٍ مُصطنع:
ـ وهذا لأنني قتلت والدك قبل أن أعرف منه مكانهم.

ثم دنا خطوة منها وهو يزم شفتيه أمام ملامحها المُحتقنة بالغضب الشديد:

ـ أعتذر منكِ ثانية، فأنا لم أستطع سماع ثرثرتهُ لوقت أطول من ذلك.

تلاقت أعينهم للحظات قبل أن تتحلى بقوتها المعهودة وهي تقول لهُ:

ـ ثقتكَ الزائدة في ذكائك ستكون هي سبب موت عائلتك الغالية.

حررت يديها وقدميها في لحظة وهي تندفع نحوه لتُمسك برقبته قائلة:

ـ زوجتك بين يدي جماعة تبيع حاكمها من أجل حفنة من الدماء الزوهري، وأنت تعرف مثلي كم هي قيمتهُ في جمع ثروات الأرض الخافية، وأنا الآن مصدرهم الوحيد لجلب هذه الدماء، لذلك خلال دقائق معدودة إن لم نعد أنا وأنتَ سويًا إليهم فستموت الإنسية.

ثم شهقت بخفة وهي تستطرد:

ـ ألم يُخبرك حدسك أن لا تأمن أحدًا من الأرضيين؟!

دنت منه خطوة أخرى وهي تقول:

ـ خلال نفس هذه الدقائق سوف تنطلق تعويذة الوقت كي تحكم قبضتها على السجن الموجود فيه أبيك وأحفادك وزوجة ابنك الإنسية، ثم قربت فمها من أذنيه:

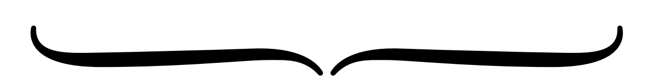
ـ التي سبقتهم إلى الجنة مُنذ قليل.

ثم ابتعدت عنه وهي تضع سبابتها على فمها وتشير نحو يوناس:

ـ ششششش

تركت رقبته وهـي تعود للخلف تزم شفتيها بتفكر قائلة:

ـ امـمـم أيـهما سـتختار الآن، تـعرف مـكان سـجن والـدك وأحفادك، أم ستختار الإنسية !





الفصل الثامن عشر

التفت نعمان ليوناس الذي مازال يقف خلفه بتوتر قائلًا:

ـ أخرج من هنا الآن.

ثم حرك شفتيه بالمكان الذي توقع أن هند سجنت فيه والده، لاحت ابتسامة على وجه يوناس وانتقل على الفور لكهف منسا بنت مركوم.

إحْتَدَمَ غَيْظًا وهو يتقدم نحوها قائلًا ولون عينيه يتبدل للأحمر:

ـ لماذا؟! لقد حذرتك من قبل أن تتجنبي خداعي.

دنت منه بعينين غائمتين من الحزن لتُردد:

ـ وأنتَ ماذا فعلت! لقد خدعتني في المقابل، أرجوك لا تتهمني بشيء قد فعلته بي أيضًا.

صاح بها بامتعاضٍ:

ـ أنا لم أخدعك يومًا يا هند، لقد أحببتُك كما لم أفعل من قبلك، لكني لم أستطِع الوثوق بكِ، وكان من حقي التمهُل حتى أطمئن لكِ، وهذا لا يُسمى خداع في عالمنا فكل ما عرفتهم من الجن يا إما مُخادع والقليل بين هذا وذاك كاذبون، بعضُ من الأشخاص فقط من أستطيع الوثوق بهم، وأنتِ تعلمين هذا عني جيدًا.

دافعت عن نفسها وهي تقترب منه أكثر:

ـ وأنا كذلك لم أحب أحدًا غيرك، لا قبل أن تلتقي طُرقنا ولا بعدما تقاطعت.

ثم تحولت ملامحها للبُغض وهي تقول له:

ـ ولكن أنت ماذا فعلت؟! استبدلتني على الفور بفتاة أخرى، ومن هذه الفتاة مُجرد إنسية ضعيفة، لم تستطِع تبادل الحب معك كما كُنت أفعل.

آثر الصمت وهو ينتظر منها ردة فعلٍ معينة، لم ينتظر كثيرًا؛ فدنت هند منه حتى التصقت به رافعة كلتا ذراعيها لتحاوط بها رقبته قائلة بصوتٍ رقيق:

ـ دعنا من العتاب الآن، فأنا ما زلت أحبك يا نعمان ولا أريد سوى أن نعود كما كُنا، أقوى زوجين في عالم الجن.

ازاح ذراعيها من على رقبته قائلًا:

ـ وستسامحينني لقتلي أبيكِ؟!

عيناها اشتعلت بالرغبة بسبب قربها منه هكذا، فعضت شفتها السفلى وهي تقول لهُ:

ـ لم أغضب ولو للحظة منكَ لقتلك إياه، فأنا على أية حال كنت سأقتلهُ حالما ننتهي، يكفي أنني تحملته كل هذه السنوات، وطاوعته واضطررتُ للصمت عندما فرقني عنك، لكني أريد سؤالك عن شيء هام.

لم يعترض نعمان فسألتهُ:

ـ ماذا فعلت بعدما تأكدتُ من خبر موتي؟!

رفع زاوية فمه بابتسامة مُتهكمة وهو يجيبها:

ـ ألم يُخبرك والدك؟!

شردت بنظراتها نحوه وهي تُردد:

ـ أنا لا أثق أبدًا بما يُخبرني به أبي، لقد أخبرني أنك تركتني له وذهبت لتُنقذ الرَماحَ.

ثم انتبهت وعادت تلف ذراعها حوله مرددة:

ـ اخبرني أنتَ ما كان شعورك عندما رحلتُ عنك.

أزاح ذراعيها من أعلى رقبتهُ و وضعهما على جذعه، ثم فعل بالمثل معها، وضع كلتا ذراعيه حول خصرها ليجذبها إليه أكثر، فاتسعت حدقتيها بتأثُرٍ، وخفق قلبها الذي شعر به لقربها منه هكذا، وثبتت نظرها على عينيه التي تحولت للون الزمُرد، ابتسمت وهي تعرف اللون هذا جيدًا، رددت في عقلها، (نعمان يريدني)

تنهد وهو يقول لها:

ـ لم أتركِكِ إلا عندما وقف أبي بيني وبين أبيكِ وأخبرني أنه سيأخذك منه ويعيدك لمنزلنا.

تأثر صوته الشجي وهو يُكمل:

ـ وعندما عـدتُ ولم أجدك، ذهبت لمملكة والدك ليخبرني أبـي بوفاتكِ، لم أُكذب أبي يومًا ولو كذب عليَّ العالم بأكمله.

ابتلعت ريقها بصعوبة وقد تعالت أنفاسها متسائلة:

ـ وماذا فعلت بعد ذلك؟!

أجابها وعيناه مثبتة على شفتيها قائلًا:

ـ انعزلتُ عن عالم الجن والإنس أجمع، وظللتُ في عزلتي ثلاث سنوات، ليُخرجني منها أبي على السجن لعدم إطاعتي لأوامره.

اقتربت أكثر من شفتيه وهي تسأله:

ـ هل اشتقت لي حقًا؟!

أحكم قبضتهُ عليها وانطلق بها مرة واحدة داخل عالم الأرضيين، وفجأة عادت هند لوعيها وهي مسجونة في قفص حديدي، يحاوطه نارًا سوداء قاتمة مثل التي فعلها ساتورً من قبل، ليطُل نعمان عليها من خلف الدائرة قائلًا:

ـ لقد اشتقت بالفعل، لكن لزوجتي، ففتاةٌ مثلك تمُر مرور الكِرام على قلبٍ مثلي، لكن هي قد سكنت قلبي ولم تغادره منذ أن رأيتها.

ثم قرب وجهه منها عندما تلونت عيناه للون الأحمر:

ـ ولن تغادره حتى لو قايضت العالم بأكمله بها.

ولا تظني انعزالي بعدك كان سبب حُزني عليكِ، أنا حزنتُ على ابنتي التي لم يكن لها ذنب سوى أنكِ أمها، وحزني الأكبر كان على عجزي عن حمايتك وأنا لا أستاء إلا من عدم قدرتي على فِعل شيء.

اشتعلت نار الغيرة بجسدها وهي تقول له:

ـ أنت كاذب وواهم يا نعمان، أنت لم تحب أحدًا مثلي، لقد سامحتني من قبل على خداعك وستسامحني ثانية، أنا أثق بذلك.

خبط على حديد الزنزانة الفولاذية وهو يقهقه بصوتٍ مرتفع:

ـ لقد أخبرتُك يومها أنني لا أسامح مُخادع مرتين، فلا تتعجلي بموتك يا هند فلقد أقترب كثيرًا.

ثم التفت للحاكم الذي يجلس على مقعدهُ يراقب ما حدث جيدًا، ليتقدم منهُ بني النعمان بنفس هذا الغضب، تاركًا هند من خلفهِ تصرُخ صرخة مدويه وهي تُردد بغضبٍ عارم:

ـ لن تستطيع التخلص مني يا نعمان فرباطُنا لن يُحل سوى بموتنا نحن الأثنين.

انتقل يوناس للكهف البحري الخاص بملكة البحار الشمالية منسا بنت مركومٍ، ليجد جَدهُ يرفع ذراعيه عاليًا، بينما ولديه يلتصقان بقدم جَدهم، رأي يوناس أن الحائط الزجاجي يضيق عليهم، استخدم جَده هالة كبيرة تحاوطه ليكتسب بها بعض الوقت، انطلق يوناس ليقف أمامهم، فصاح أولاده باسمه، ليزعق بهم الملك الأبيض ألا يتحركوا من مكانهم، ثم طلب من يوناس أن يُسرع في محاولته لإخراج ولديه.

حاول أن يُهدئ من روعه كي يستطيع إيجاد التعاويذ التي ستنقذه، لكنه عجز عن ذلك وهو لا يرى إلينا بينهم، فزفر بضيق وهو يسأل جده بإرتعاب:

ـ أين إلينا يا جدي؟!

دوى صوت الملك الأبيض وهو ينهره:

ـ لقد أنقذتها أيها الغبي؛ أسرع الآن لن أستطيع التماسك أكثر من ذلك.

رفع يوناس كلتا يده وهو يتنفس باطمئنانٍ، ثم أغلق عينيه ليستطيع مجاراة التعاويذ التي تظهر أمامه، وفجأة سمع صوت انفجارٍ كبيرٍ جعله يفتح عينيه بفزع!

أجفل يوناس بذعر وهو يرى الكهف الذي كان أمامه منذ لحظات كومة من الحجارة التي تتساقط في أعماق المياه تباعًا.

غاص بكل سرعته للأسف وهو يبحث عنهم، بينما يلعن نفسه في سره، (اللعنة عليك يا يوناس، هل كان عليك أن تتحاذق بإغماض عينيك، غبي)

وعندما اقترب من قاع المياه وجد يد تجره من ملابسه للأعلى، حاول الالتفاف ليرى من هذا، فلم يستطع حتى وصل لسطح المياه، التفت لمن أخرجه من البحر هكذا وجدها تقف أمامه بغضبٍ شديد قائلة:

ـ كيف جرؤت على تدمير كهفي أيها الغبي؟!

اتبعا صراخها بضربة شديدة في صدره أعادته للمياه كي ينجرف على سطحها مجرورًا على ظهره من قوة ضربتها، تحكم في جسده عندما اقترب من الجانب الآخر للبحر، إسْتَشَاطَ غَضَبًا في رحلة عودته إليها ليرد لها ضربتها بأخرى جعلتها تصطدم بصخور الكهف خلفها، لتخطو نحوه تصرخ بحنقٍ وهي تنوي أن تعلمه درسًا قاسيًا، بينما وقف يوناس بوجهٍ مُكفهر ينتظرها حتى يكملوا عراكهما متناسيًا جده وأولاده.

خرجت إلينا تركض من الكهف لتقف في المنتصف لتزعق بهما:

ـ كفوا عن الشجار.

هدأ جسد يوناس وهو يدنوا من إلينا ليُمسك كلتا ذراعيها يسألها بقلقٍ:

ـ أنتِ بخير؟!

أجابته باستغراب:

ـ نعم أنا بخير.

جذبها لأحضانه بقوة وهو يتنفس بعمقٍ مُرددًا:

ـ حمدًا لله على سلامتك.

دفعته إلينا وهي تسأله بتوتر:

ـ أين أولادي وجدي الآن؟

ابتعد عنها يوناس جاحظ العينين، ودون أن يتحدث عاد لقاع البحر كي يبحث عنهم في قلقٍ كبير، ظل عدة دقائق بالأسفل وهو يزيح الحجارة وقد شعر باضطرابٍ كبير حتى تشوشت رؤيته، انتهى من إزاحة الحجارة فلم يجد شيئًا تحتها، دار حول مكان الكهف بأكمله، ثم توقف محاولًا أن يُصفي ذهنه، لكنه كلما حاول التركيز تذكر ابتسامة ابنته له كلما تراه.

زفر بضيق لينزل نحو القاع ثانية كي يبحث في منطقة أخرى، ظل هكذا ساعةً كاملة حتى يأِس وصعد للسطحً بحزنٍ كبير، فلم يجد إلينا ولا منسا.

انطلق نحو الكهف فوجدها تجلس على فراشٍ كبير من الحجارة، مفروشٍ بقطعة كبيرة من فرو الحيوانات، وبجوارها الملك الأبيض يتحدث معها وهي تقُص عليه ما فعلته مع منسا، وكيف أحبت عزفها لدرجة أنها سحرتها بالكامل، وقد أخبرتها أن الجني المائي بمملكتها كلهم يصطفون على الشاطئ يستمعون لعزفها باستمتاعٍ كبير، بينما ولديه في المنتصف بينهما ينعمان بنومٍ هنيئٍ!

وقف عدة لحظات يلهث بتعبٍ من كثرة رعبه عليهم، ومجهوده الكبير في البحث لمدة ساعةً كاملة، وهم هنا يجلسون بكل هدوء.

للحظة شك أنه يحلُم حتى ناداه جده قائلًا:

- اقترب أيها الغبي.

حدق به يوناس ليُكمل بجدية:

- طلبت منك إخراج أبنائك من الكهف سريعًا، فبدلًا من أن تدلف للداخل لتخرجهم حطمت الكهف ونحن بباطنهُ؟!

مرت ثوانٍ وقف بها يوناس كي يستوعب ما قاله جَده وهو ينظر نحوهما بغيظٍ شديد، هبطت إلينا من الفراش لتدنو منه وهي تضع كلتا كفيها على وجنتيه قائلة:

- لقد قلقتُ عليك يا يوناس، أين كُنت كل ذلك الوقت؟!

أزاح كفيها بعُنفٍ ليصُب جام غضبهُ عليها قائلًا:

ـ كنت في قاع البحار أبحث عن ولديك لمدة ساعة كاملة، وأنا أرفع حجارة الكهف المُحطم بأكمله وأقذفه بعيدًا، ثم أعودِ لرفعه مرة أخرى كي أقصيه في مكان آخر وأنا ارتعد خوفًا من أن يصيبهم مكروه، وأكاد أجن من عدم تواجدهم.

أدمعت عيناها من صراخه بها، ورددت بصوتٍ باكٍ:

ـ لقد طلبتُ من منسا أن تجدك وتخبرك أن جدي والأولاد بخير، فلم يظهروا إلا بعد أن نزلت للمياه.

صك أسنانه بغيظ، ليردد الملك الأبيض بمرحٍ:
ـ يبدو أن منسا كانت تعاقبك لأنك حطمت كهفها.

رمق يوناس جده بغضب فحدثه الملك بصوتٍ قوي:

ـ لا تنظر لي بغضبٍ مرة أخرى وإلا أني سأسجنك، لا تستخدم حبي لك في التطاول علي .

ثم وقف ليختفي من أمامهم وهو يردد:
ـ اتبعني للمملكة لنعيد بناء القصر الذي مؤكد تهدم بيد أبيك.

وقف حائرًا أيتبع جده أم يخطوا ناحية إلينا التي تركته واقفًا وذهبت للجلوس بجوار ولديها بحزنٍ بالغ.

زفر بضيقٍ وهو يتخيل ما سيفعله به جده حين يعود لعدم إطاعته الأوامر،

لكنه سيتحمل من أجلها، دنا منها فنظرت له بدهشة وهي تمسح دموعها:

ـ لماذا لم تنتقل خلف جدك بعد؟!

وضع كفه على وجنتها وهو يمسح دموعها برفقٍ قائلًا:

ـ أعتذر منك على غضبي هكذا عليكِ، لقد كُنت قلقًا للغاية ورؤيتكم تجلسون بهدوء هكذا وتركي داخل الماء أبحث عنهم بقلقٍ قاتل جعلني أفقد أعصابي.

ثم اقترب ليحتضنها وهو يُقبل جبهتها، شهقت بخفة وهي تقول له:

- حسنًا سأسامحك، لكن عدني ألا تُكررها، لقد ارتعبت منك يا يوناس، أنت لم تكن ترى وجهك كيف كان.

جذبها نحوها وهو يضمها بقوة مرددًا:

ـ أعدك.. لن أكررها.

أبعدته عنها وهي تخبره:

ـ جدك لن يُمررها لك، اذهب الآن إليه قبل أن يستدعيك ووقتها لن يُنقذك أحدًا منه ولا حتى أبيك.

ثم شهقت بقوة وهي تعتدل على ركبتيها لتسأله:

- أبيك وخالتي أين هما؟!

ضم حاجبيه قائلًا:

- لما فزعتِ هكذا؟! هل تتخيلي أن أتي إليكم وأبي يحتاجني؟!

ثم أمسك كفيها وهو يبتسم:

- لا أحد يقلق على بني النعمان.

ثم أردف بحماسٍ وهو يسحبها خلفه:

- تعالي معي أريد أن أريكِ شيئًا.

أوقفته وهي تقول له:

- إلى أين يا يوناس؟! جدك سيقتلك.

التفت لها وشدها لجسده فشهقت وهي تلتصق به، ليلف ذراعه حولها هامسًا:

- سأتحمل ما سيفعله لي جدي، لكني يجب أن أريك شيئًا خاصًا الآن لا يتكرر كثيراً.

ثم أرتفع بها للأعلى لتصرخ إلينا بحماس وهي ترى نفسها تقترب من السحب بين أحضانه، ارتفع أكثر حتى بدأت تشعر بالخوف فرددت بصوتٍ يهتز وهي تنظر لأسفل:

ـ يونااااس يكفي هذا الارتفاع.

نزع ذراعًا واحدًا ليرفع به وجهها نحوه قائلًا:

ـ لا تنظرِ للأسفل.

صرخت به بهلع وهي تُغمض عينيها:

ـ حاوطني بذراعيك.

ضَحِكَ بصَوْتٍ عالٍ ففتحت عينيها فصمت وهو ينظر نحو شفتيها بشغفٍ وقبل أن تنطق عاجلها بقُبلةٍ جعلتها تصمت وتهدأ.

ترك شفتيها وهو يلفها سريعًا قبل تشعر، ليقترب من أذنها قائلًا لها بخفوت:

ـ انظري.

شهقت إلينا بقوة ثم وضعت يدها على فمها وهي تُردد:

ـ ما هذا الجمال يا يوناس؟!

أجابها بابتسامةٍ هادئةٍ:

ـ المُسْتَعِرُ الأعظم.

سألته بتعجب بينما بريقه يُضئ عينيها بألوان الطيف في مشهد جَلل:

ـ وما هو هذا المُسْتَعِرُ الأعظم؟!

شرح لها الأمر بشكل مُبسط:

ـ هو حدثٌ فلكي يحدث خلال المراحل التطورية الأخيرة لحياة نجمٍ ضخم، حيث يحدث هذا الانفجار النجمي الهائل حين يقذفُ فيهِ النجم بغلافهِ في الفضاء عند نهاية عمره، ويؤدي ذلك إلى تكون سحابة كروية حول النجم، وبراقة للغاية (شديدة البريق) كما ترين.

شعرت بسعادة كبيرة لرؤية هذا الجمال من حولها، لتطلب منه بصوتٍ مُبتهج:

ـ أدرني إليك.

لفها نحوه فهالها انعكاس ضوء النجم في عيني يوناس.

احتضنتهُ بقوة وهي تُقبل ثنايا رقبته بعشقٍ قائلة:

ـ شكرًا لكَ يا حبيبي على أنك منحتني هذه السعادة بقُربك.

مرر إبهامه على وجنتها برقةٍ وهو يقول لها:

ـ رؤيتك بهذه السعادة تجعلني أدفع بسنوات عمري جميعها كي أراها في عينيكِ هكذا.

ثم هبط بها وهو يُقبلها ثانية، بينما هي أغمضت عينيها إلى أن توقف وهما في الكهف بجوار ولديهم النائمين.

التقطت إلينا أنفاسها، بينما عاد يوناس لتقبليها بقوةٍ أكبر لتدفعه في صدره حينما سمعا صوت جده يستدعيه بغضبٍ:

ـ يونااااس احضر في الحال.



الفصل التاسع عشر
(الأخير)

انحنى بني النعمان يستند بكلتا ذراعيه على كرسي حاكم العماليق وهو ينظر لهُ بسخطٍ مرددًا:

- أين هي زوجتي؟!

أجابه الرجل بتعجُب:

- في انبوب الاستشفاء كما تركتها.

نظر نعمان لعمق حدقتيه الثابتتين ليتأكد من صدقه، ثم اعتدل بعدما انتهى ليقول لهُ:

- هذه الساحرة أرادت نزالًا قبل أن أرحل البارحة، وأريد الآن أن أعطي لها ما تمنت، فهل تسمح لي كي أريكَ مع من يجب أن تتعامل في المرة القادمة.

وقف الحاكم أمامه قائلًا بتعجُب:

- ولكنك بالفعل تغلبت عليها، وقُمتُ بسجنها أمامي.

تقدم منه بني النعمان ينظر نحوه بإصرار وهو يُحدثهُ:

- نعم لقد رأيت أنت ذلك، ولكنك تستطيع القول أنني رجُلًا يعشق التباهي، فكُل ما أريده الآن أن تجمع قومك بأكملهم.

استقام بني النعمان في وقفته بتفاخر ليُردف:

- حتى ذوي البشرة الخضراء منهم، وأريد أيضًا تسجيل ما يحدث في هذه القاعة كما أريتني من قبل، ثم خطى نحوه خطوة أخرى ليستطرد:

- أبغي إقامة عرضًا أسطوريًا لعالمكم، فهل تريد أن تحظى بذلك؟!

تهلل وجه الحاكم وهو يقول لهُ:

- دقائق وسوف يحضر الأرضيون جميعهم من كُل الأجناس.

أدار له بني النعمان ظهره قائلًا:

- حسنًا، عندما تنتهي نادني، سأطمئن على زوجتي في تلك الدقائق.

ذهب للممر الذي سلكه مع روهان ، وقلبه يهدر بداخله قلقًا من رؤيتها وقد أصابها أحدًا بسوء.

سمع صوت صفير الإنذار الذى يجمع به الحاكم جميع قومه، فظل يتقدم في طريقه بضيقٍ، فهو لا يحب هذا العالم الذي لا يستطيع فيه الانتقال بسهولة، وذلك بسبب النشاط المُفرط لآلاتهم.

وصل للغرفة التي تركها بها، فتح الباب باضطرابٍ واضح، ليضُم حاجبيه حين شاهدها تجلس مع فتاة لم يرِهًا سوى من ظهرها ! كانا يتضحكان كأنهما صديقتين.

خطى نحوها ببطءٍ واندهاشٍ كبير، لقد عادت روهان لشبابها، خصلات شعرها البيضاء اختفت!

تجاعيد وجهها التي ارتسمت عليه منذ عدة سنوات، قد اختفت، حتى جسدها الذي أصبح هزيلًا منذ عامين أصبح قويًا كما رأها للمرة الأولى!

تعالت نبضات قلبهُ حين لاحظت وجوده، ابتسامتها الفرحة، حماسها الزائد الذي جعلها تقفز من الفراش لتهرول نحوه قائلة بصوتها العذب:

- اشتقتُ إليك كثيرًا.

لف ذراعيه حولها ونسيَ انتقامه الذي أقسم عليه منذ قليل، بل نسي كل ما حوله حين استنشق رائحة جسدها المميزة، التي أنسته حتى من هو.

ضاع بين ثنايا عُنقها بشوقٍ جعله يلهث وهو يُردد اسمها بسعادة غامرة:

- روهان؛ لقد عُدتِ يا حبيبتي.

ابتعدت عن صدره وهي تقول له وهي تضم حاجبيها:

- لقد حطمت عظامي.

ضحك لها بخفة وهو يزيح شعرها الثائر من على عينيها قائلًا:

- أعتذر منكِ على اندفاعي، لكني اشتاق إليكِ حد الموت، لا تعرفين ما الذي عايشته في الأيام الفائتة حتى أراكِ بخير.

ضيقت روهان عينيها وهي ترى دموعه داخل عينيه للمرة الأولى منذ أن عرفته، وضعت كفيها على وجنتيه لتربت عليها بخفة قائلة:

- أنا بخير فقط لأنك معي.

ثم قبلتهُ برقة جانب شفتيه، ليحتضنها بقوةٍ أكبر متجاهلًا كل ما يحدُث حوله.

مررت كفها أسفل عنقهِ وهي تُريح رأسها على كتفه، فحملها بين ذراعيه وهي تقول له:

- هيا بنا نعود للمنزل.

خطى ناحية الفراش الذي كانت تجلس عليه منذ قليل، ثم لاحظ عدم وجود الفتاة، وضعها أعلاه برفقٍ قائلًا:

- ساعة واحدة وسأعود إليكِ ونخرج من هنا.

وقبل أن تعترض سألها بتعجب:

- من هذه الفتاة التي كانت تُجالسكِ؟!

رفعت كتفها بخفة لتجيبه:

ـ لا أعرف اسمها ولكنها فتاة لطيفة للغاية، حين استيقظت كانت بجواري وظلت تُحدثني عن هذا العالم وعن زوجها هنا..

غامت عينا بني النعمان بعدما عرف أنها الفتاة التي جاءت لقتلها كما أخبرتهُ هند، غضب بشدة أنه لم يرَ وجهها قبل أن تستغل انشغاله بزوجته وتهرب.

جلس أمامها ثم أمسك بكفيها يقبلهُما قائلًا:

ـ ستنتظرين هُنا ولن تتحركي حتى أعود حسنًا.

حركت رأسها بحزنٍ، فأردف:

ـ سأضعك داخل بلورة زجاجية الآن حتى لا يستطيع أحد لمسك وأنتِ بداخلها.

ضمت روهان حاجبيها بتعجُب لتسأله:

ـ ولِمَ كُل ذلك؟! ألسنا هنا بأمان؟!

مرر كفه على رأسها وهو يُقربها ليُقبل جبهتها مُجيبًا:

ـ لا يوجد أمان سوى في بيتنا.

ظهر الحنق على ملامحه وهو يُحذرها:

- وأرجوكِ يا روهان توقفي عن لُطفكِ وائتمانك لأي شخص تقابليه.

ضيقت عينيها بإمتعاضٍ، فابتسم وهو يهز رأسه:

- أعلم جيدًا أنه لا فائدة من هذا الحديث، فانسِ ما قُلته الآن.

ثم وقف كي يحاوطها بالبلورة الزجاجية عن طريق السحر، ملامح روهان المندهشة وهي بالداخل جعلتها تسأله بذهول:

- مُنذ متى وأنت تعمل بالسحر يا نعمان ؟!

لقد وقع في ورطة، عاد للخلف وهو يقول لها:

- سأقص عليكِ كل شيء حين نعود منزلنا.

ثم تركها وهي تصك أسنانها بحنقٍ وتتوعده بعقابٍ رادع، للمرة الثالثة تكتشف أنه يُخفي عنها شيئًا ما، لقد ظَنت أنه سيضعها داخل بلورة زجاجة في هذا العالم، لا أن يصنعها أمامها بهذه البساطة في لحظات!

جلست على الأرضية الزجاج وهي تُردد:

- يبدو أنني سأعيش العُمر بأكملهُ معك وأموت يا بني النعمان قبل أن أعرف كل ما تُخفيه عني.

وقف بني النعمان في وسط ساحة القتال الكبيرة، وهو ينظر لكل سكان هذا العالم وهم يجلسون في صفوفٍ متدرجة خلف إطارٍ كبير من الزجاج، ابتسم وهو يردد:

ـ سيُسهل هذا الأمر عليَّ كثيرًا.

تقدم من هند التي ما زالت تقف خلف حديد زنزانتها ودائرته النارية تحاوطها من كُل جانب، تنظر نحوه بشيءٍ تخطى الغضب بكثير، أخمد النيران بحركةٍ سريعة، ثم أخفى القضبان التي كانت تحاوطها.

تحررت هند من سجنه، لتنطلق نحوه بأقصى سرعة لها وسط عيون المتفرجين المذهولة من هذا الوحش الضاري، لقد تحولت هِند لذئبٍ كبيرٍ وشرس وهي تتوجه لبني النعمان الذي تحول لكلبٍ بحجمٍ أكبر منها وهجم عليها بكل قوته، لتتحول سريعًا لأفعى أناكوندا، تلُف نفسها حول الكلب الذي ظل ينبح عليها وهي تحاول اعتصار جسده، تبدَّل الكلب لدبٍ قطبي استطاع أن يضع رأس الأناكوندا بين كفيه ليطَبق عليها بقوة، جعلت هند تصيح بقوةٍ وبصعوبة استطاعت العودة لجسدها، فانزلقت من بين كفيه، وبحركة سريعة انسابت تحت قدميه لتظهر خلفهُ، وقبل أن تطعنهُ بالخنجر المسموم الذي جلبته من ملابسها قبل أن تستقيم، عاد بني النعمان لجسده ليُمسك ذراعها بقوة، بينما رفع ذراعه الأخرى ليحكُم قبضته على رقبتها بقوة حتى وقع الخنجر من يدها،

ضغط بقوةٍ أكبر حتى كادت تلفظ أنفاسها الأخيرة ودموعها تتساقط من عينيها وهي تراه يُصرُّ على قتلها تحت تصفيق الأرضيين الذين يُرددون بلغتهم الغريبة كلمات لم يفهمها، لكنه يستطيع تخمين أنهم يريدون قتلها.

شعرت هند أنه لن يتراجع بالفعل عندما رأت حدقتيه اللتان توشحا بالسواد، فلم تجد أمامها سوى أن تحاول إخراج صوتها المكتوم:

ـ لن تستطيع قتلي فنحن في رباطٍ.

قربها منه وهو يهمس لها بينما هي تحاول جاهدة الاحتفاظ ببضعة أنفاسٍ:

ـ ألم أخبركِ أنني استطعت حل هذا الرباط منذ زمنٍ بعيد.

ثم رفع يده نحوها لترى خاتمًا آخر يشبه ما فعله لهما ولكنه ليس هو، سقطت دموعها وهو يشدد من قبضته أكثر، ومع آخر أنفاسها قالت له بلهاثٍ شديد:

ـ ابنتك حية؛ لم تمُت.

خفف نعمان من قبضته وجرها نحوه قائلًا:

ـ اعيدي ما قُلتِه الآن!

أعادته على مسامعه بصوتٍ أعلى:

- ابنتك لم تمُت يا نعمان، صدقني.

تركها لتقع أرضًا ثم بحركة سريعة أعادها سجنها، لكنه هذه المرة جعله أقوى بعشر المرات من ذي قبل.

اقترب منه الحاكم قائلًا بغيظ:

- لمَ لم تقتُلها، فالجميع ينتظر نهاية العرض.

خطى بني النعمان نحوه مُرددًا:

- انتظر، سأريك شيئًا مُبهرًا سيكون نهاية أسطورية كما وعدتك.

ثم تركه ليعود نحو مقعده بحماسٍ شديد.

وقف بني النعمان في منتصف الساحة الكبيرة وكما فعل على الجزيرة في الأعلى كي يحجب عنهم ضوء الشمس، فعل العكس.

فقد قام برفع ذراعيه للأعلى ليُحدث ثقبًا دائريًا كبيرًا في سقف الساحة، صاح الجميع وحاولوا الهرب للخنادق ولكنهم لم يستطيعوا التحرك من أماكنهم حتى حاكمهم، كُبلوا في مقاعدهم ليجبرهم بني النعمان على رؤية الضوء.

لم يكتفِ بذلك وحسب بل جمع كرة ضوئية كبيرة ليدفعها داخل الساحة، فعكس الزجاج الموضوع حولهم الضوء بشكل أقوى، بدأت صرخاتهم تعلوا بشدة، بينما هو يدور حولهمً بإعجابٍ شديد.

توجه نحو مقعد الحاكم الذي حاول حجب نظره بكفيه، فقد ترك بني النعمان ذراعيه متحرران كي يستطيع الحديث معه، انحني اليه قائلًا بصوتٍ مُرتفع كي يسمعه من أصوات الصراخ حوله:

ـ هل عرفت الآن مع من تتعامل؟!

صاح به الحاكم:

ـ أرجوك توقف، فقد يموت صغارنا جراء ذلك، هم لا يتحملون الضوء قط، صك نعمان أسنانه بغيظٍ قائلًا:

ـ من جعلك بهذه الجراءة كي تفكر في قتل زوجتي التي آمنتك عليها؟!

صوته النادم جعل بني النعمان يقبض على عُنقه الضخم:

ـ هند معنا منذ أعوامٍ كثيرة، تُزودنا بالدماء الطاهرة التي نستطيع بها صُنع حضارتنا العظيمة، لذلك لم أستطِع أن أرفض طلبها، لكني شرطت عليها أنني سأفعل ذلك فقط إن تقاتلتما أنت وهي وتغلبت عليك هُنا، أردف برجاء:

ـ أرجوك توقف، صدقني كنت أعلم أنك ستتغلب عليها.

اعتدل بني النعمان في وقفته وهو يرى بعضا منهم مازال يصرخ بألم والبعض الآخر قد فقد الوعي.

حدثهُ بنبرة مازال الغضب يسيطر عليها:

ـ سأتوقف الآن من أجلها فقط، فحين رأيتها في أحسن حالًا قررت أن أعفو عنكم، لكن بشرط.

ردد الحاكم سريعًا:

ـ أوافق على أي شيء تقوله، لكن أرجوك اتركنا نختبئ من هذا الضوء.

عاد نعمان للمنتصف مرة أخرى ليُعيد سقف الساحة كما كان بعدما أخرج الضوء منها، ثم حرر الجميع ليهرولوا من المكان بسرعتهم الفائقة.

وقف الحاكم لينحني أمامه شاكرًا:

ـ أشكرك بشدة لأنك عفوت عنا، واعتبرني خادمًا لك من الآن ولن أفعل أي شيء يُغضبك.

وضع نعمان يده على كتف هذا العملاق قائلًا لهُ:

ـ حسنًا سأسامحك هذه المرة فقط، فأنا لا أسامح مُخادعًا مرتين، احفظ هذا جيدًا.

حرك الرجل رأسه بإيجابٍ، ليأمره النعمان:

ـ هند ستظل هنا في سجنها حتى آمر أنا بشيئٍ آخر.

رفع الرجل ذراعيه باستسلام تام وهو يقول له:
ـ كما تأمر.

تركه وعاد لروهان التي غفت داخل البلورة، فحمد الله أنه تذكر قبل أن يرحل أن يجعل الزجاج عازلًا للصوت، حتى لا تفزع من صراخهم.

أخفى البلورة من حولها وحملها بين ذراعيه، ففتحت عينيها ببطءٍ ثم حاوطت رقبته بذراعيها قائلة:

ـ أعدني لفراشي.

طبع قُبلة حانية على وجنتها وهو يقول لها:
ـ ألا تريدين أن تُطمئني دانا؟!

فاقت بحماس وهي تشهق قائلة:
ـ يا إلهي، ستقتلني.

قهقه نعمان بشدة وهو ينتقل بها لبيت دانا قائلًا:
ـ أحمد الله أنها لا تراني.

ابتسمت له روهان وهي تنزل من أعلى ذراعيه، لتتقدم نحو باب أختها تطرقه بقوة، ركضت دانا بهلع لتفتح الباب ودموعها مازالت تنسال على وجنتها، وقف نعمان خلف روهان وهو يرى دانا تقف أمام أختها فاقدة للنطق حين رأتها بشكلها القديم.

ابتسم وهو يتخيل أن مؤكد كانت هذه ملامحه حين رأها منذ قليل.

تجمدت روهان وهي تنظر لدانا بغرابة، لتقول بتعجُب:

ـ ماذا بي؟! لمَ تنظرين هكذا؟!

جذبتها دانا لأحضانها وهي تبكي بفرحة كبيرة وتردد:

ـ حمد لله على سلامتك..

ثم تركتها وسجدت أرضًا وهي تبكي بحرقة كبيرة.

انحنت روهان وقد أدمعت عيناها حين رأت دانا هكذا، ومدت يدها تُمسك ذراعها كي توقفها وهي تسألها:

ـ ما الذي حدث لكل هذا؟!

احتضنتها دانا مرة أخرى، لكن بهدوء هذه المرة، ثم ظلت تُقبلها وهما جالستان أرضًا.

جلس نعمان على ركبتيه وهو يهمس لروهان:

ـ دعيها تتوقف كي تترك لي شيئًا أستطيع تناوله الليلة.

لكزتهُ بمرفقها وهي تحاول إخفاء ابتسامتها، سألتها دانا بقلق:

ـ هل أنتِ بخير؟!

ضحكت روهان بخفة قائلة:

ـ ما كل هذا الاحتفاء يا حبيبتي، فأنا بخير أقسم لكِ أنني بخير، لا أتذكر ما حدث في الأيام الماضية، لكن من الواضح أنني كنت في أيامي الأخيرة وعدت للحياة.

أدمعت دانا وهي تضربها بخفة قائلة:

ـ لا أراني الله شرًا بكِ يا حبيبتي، لقد كدت أجن من القلق عليكِ.

قبلت روهان جبهتها وهي تعتذر لها:

ـ لقد ذهب بي نعمان لمشفى خاص بهم، وفقدت الوعي من وقتها ولم أستيقظ سوى اليوم.

وقفت دانا لتسألها للمرة الأولى:

ـ هل نعمان معكِ هنا الآن.

حركت روهان رأسها بخجلٍ، بينما ضيق نعمان عينيه بتعجب، فقالت لها دانا:

ـ أين يقفُ تحديدًا؟!

أشارت لها روهان جوارها، فوقت دانا تمسح وجنتيها وهي توجه له حديثها:

ـ لا أجد كلمات تُعبر لك عن شكري وامتناني أنك أعدت لي أختي بكامل صحتها، وأرجو ان تتقبل اعتذاري عما بدر مني سابقًا بحقك وبحق يوناس، وأريد بشدة أن نوصل ما انقطع بيننا ونُصبح عائلة واحدة، حتى لو عجزتُ عن رؤيتك فأنا سأظل طوال حياتي ممتنة لك.

ابتسم نعمان لها وهو يردد:

ـ لم أغضب منك يومًا يا دانا، بل دومًا كنتُ أقدر خوفك من المجهول وعدم استيعابك لنا، وهذا بالمناسبة طبيعة البشر أجمع، فلا داعي لامتنانك فنحن عائلة واحدة منذ زمنٍ بعيد، وسنظل هكذا ما بقي من عمرنا.

أنهت روهان كلماته التي أخبرت بها دانا، ثم احتضنتها ثانية لتودعها على وعدٍ بلقاءٍ آخر.

أعادها بني النعمان للقصر، فوجد والده وابنه وجميع جنودهم ما زالوا يعيدون بناء القصر.

هرول يوناس نحو أمه ليحتضنها بقوة حتى رفعها من على الأرض ليدور بها وهو يُقبلها بقوة، تحرك نعمان نحوه وهو ينزعه من أحضانها بغضب قائلًا:

ـ تأدب يا ولد، فأنا لم أستطع فعل هذا معها.

ضحكت روهان عاليًا بينما نظر نعمان نحو والده نظرة فهمها على الفور،

ليتقدم من زوجة ولده لتمُد له روهان يدها باحترام، فجذبها نحوه ليربت على ظهرها وهو يقول:

ـ طهورًا يا ابنتي طهورًا..

ثم خطى ناحية غرفته الخاصة قائلًا:

ـ اتبعني يا بني النعمان..

تجهم وجهه وهو يخطو خلفه، لتقترب روهان من ابنها تسأله:

ـ ما الذي حدث للقصر؟! وما الذي حدث بين أبيك وجدك؟!

تجاهل يوناس أسئلتها وحملها بين ذراعيه قائلًا:

ـ دعك منهم الآن ودعيني أحتفي بعودتك كما أريد بعيدً عن أعين زوجك الغيورة.

ضحكت وهي تلكزه في كتفه لتسأله عن إلينا وأولاده ، ليأخذها لهم وهو يغازلها:

ـ أمي أريد أن أعرف شيئًا هامًا.

ضيقت عينيها ليُردف:

ـ هل كل شخصًا يعود من المرض يُصبح بهذا الجمال؟!

ثم قبلها في وجنتها لتقول له:

ـ لو شاهدك والدك وسمعك وأنت تغازلني هكذا سوف يقتلك.

قبلها مرة أخرى على وجنتها وهو يدلف بها لغرفته، لتصيح إلينا لرؤيتها وهو يقول لها:

ـ أموت فداكِ يا جميلتي.

نظرات نعمان لوالده كانت قاسية للغاية، لكنه تحملها لأنه مُحق، وقبل أن يتحدث أوقفه بني النعمان بقوله:

ـ لو قلت لي يومًا إنني مت في أحد المعارك لصدقتك وكذبت روحي التي مازالت عالقة في جسدي، لماذا يا أبي؟! لماذا أنت؟!

شعر الملك الأبيض بالحرج الشديد أمام ولده ليحاول الدفاع عن نفسه:

ـ لقد كُنت أفكر بكَ فقط، لقد أخبرتك أنها مُخادعة حاولت استغلالك يا بني، كنت أريدها أن تبتعد عنك بأي طريقة.

سأله نعمان بحزنٍ شديد:

ـ وهل ابتعدت؟!

صك الملك أسنانه بغيظ وهو يردد:

ـ لقد خدعني هذا الخسيس كعادته.

تنهد نعمان بألم صدمته في والده:

- كما قُلت الآن كعادته.

أمسك الملك يد ابنه معتذرًا:

- أعتذر منك أنني سمحت لنفسي يومًا أن أكذب عليك، لكني لم أكن أفكر سوى بك، فيجب أن تتأكد من ذلك .

قبل نعمان يد والده وهو يردد:

- لا عليك يا أبي فأنا أعرف ذلك جيدًا.

عاد الغضب يحتل ملامحه وهو يقول له:

- هل تعرف مكان مويرا و بارئ؟!

ضيق الملك حاجبية ُمتسائلًا:

- الخائنان؟!

حرك نعمان رأسهُ بإيجابٍ، وهو يقول لهُ:

- كنت أعرف منذ مدة ليست بقصيرة، ولكني لم أكن أعلم ولائهم لمن.

خطى الملك الأبيض نحو أحد أدراجه ليُخرج منه قطعتان من الأقمشة قائلًا:

- ابحث عنهما..

ابتسم نعمان نحوه مرددًا:

- مهما كُنتُ داهية فأجدك دومًا تسبقني.

ابتسم الملك بخفة قائلًا:

- أنا الأسد يا بني وأنت مهما كبرتُ ستظل شبلي.

ابتسم نعمان لوالده، ثم أغمض عينيه وهو يُحرك القطعتين بين أصابعه، ثم تركهم ليرتفعوا في الهواء، ليتبعهم حتى توقفوا عند كهفٍ مُغلق على أحد قمم جبلٍ من أعلى قمم العالم.

ابتسم بجذلٍ وهو يدخل الكهف ليفزع الإثنان وقبل أن يتحركا، كبلهم بني النعمان في الصخور وهو يقول لهم:

- كنت أفكر عند قدومي في مكانٍ أسجنكم به للأبد سويًا، حتى لا يشعر أحدكم بالملل دون الآخر، لقد اخترتم سجنكم بأنفسكم لذلك هنيئًا لكم هذا الكهف البارد.

صاح به بارئ راجيًا:

- أرجوك يا سيدي، أرجوك اعفُ عني، لقد غوتني مويرا.

صرخت به مويرا بسخطٍ:

ـ جبان وخسيس.

اقترب بني النعمان منها فارتعدت خوفًا وهو يقول لها:

ـ وما هو وصفكِ إذًا يا مويرا؟!

آثرت الصمت، فعاد نعمان للخلف وهو يقول:

ـ اممم سأفكر قليلًا في العفو عنكم.

تهلل وجه بارئ بينما صاحت مويرا:

ـ ونحن نوافق على أي مقابل.

ضيق عينيه وهو ينظر لهما مُرددًا:

ـ لن تخدعاني؟!

صاح الاثنان بصوتٍ واحد:

ـ نقسم لك لن نفعلها.

اقترب نعمان من بارئ ليسأله:

ـ حسنًا دعني أجربك أنتَ أولًا، من الفتاة الكاتبة؟! وما هي علامة الشيطان التي كانت على عنقها؟!

أجابه باريئ سريعًا:

ـ أنا لا أعرف هذه الفتاة.

زمجر نعمان فأسرع باريئ:

ـ أقسم لك يا سيدي، أنا لا أعرفها، لقد طلبت مني سيدتي هند أن أخبرك عنها وعن كُتبها وهذا ما فعلتهُ، بالنسبة للعلامة التي على عُنقها فأقسم لكَ ثانية لاأعرف لمن من الشياطين.

دنا نعمان من مويرا قائلًا:

ـ وأنتِ أجيبي على هذين السؤالين ولكِ ثالث، لكن هذان أولًا.

حدقت مويرا بنظرات نعمان القوية وهي تُجيبه بصدق لأنه لو كذبت سيعرف على الفور:

ـ هذه الفتاة قد دلتنا عليها هند كما قال لكَ باريئ، لكني رأيتها تأخذها وتذهب بها لشيطانٍ يُسمى أسموديوس، هو الأمير المسؤول عن خطيئة (الشهوة).

فوشمها بتلك العلامة وعادت بها هند لغرفتها، وبعدها استولى عليها الأرضيين، وأقسم لك لا أعرف لماذا.

وعندما عادت طلبت من باريئ أن يُخبرك عن كُتبها، ضيق نعمان عينيه وهو يسألها:

ـ ومن ساعدها على كتابة هذه الكُتب؟! والسبب؟!

أجابته بتعجُل:

ـ هـي هند لقد جعلتها تكتب كل هذه الأشياء، كانت تريد أن تعرف زوجتك ما حدث معها في الماضـي وتنفصل عنك، لأنها كانت تريد أن تقتلها وما كانت لتستطيع فعل ذلك وهـي فـي قـصرك، لـكن ظـهور مـرضـها المـفاجئ جـعل أخـتها تـنقلها للمشفى وقبل أن تـقتلها هـند هـناك أخـذهـا سـيدي يـونـاس وأعادها للقصر.

خطى خطوة أخرى نحوها لترتعد أطرفها برعب وهو يسألها بهدوء:

ـ وأين هـي ابنتي؟!

أجاب بارئ:

ـ لقد ماتت يا سيدى وهـي تحملها.

نظر له بني النعمان نظرة جعلته يبتلع لسانه، ثم عاد يتطلع لمويرا قائلًا لها:

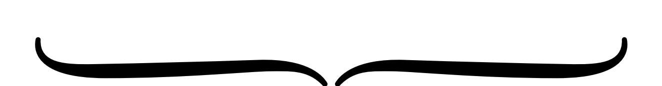
ـ اجيبي.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهـي تقول له:
ـ اقسم لك لا أعرف مكانها منذ أن بلغت العاشرة.

حدق بها للحظة لتبين له صدقها، ثم اختفى من أمامهم قائلًا:

ـ امكثوا في سجنكم هذا عدة سنوات ثرثروا فيها واندموا عما فعلتم وحين أتذكركم سأعود إليكم لأرى هل تُبتم توبة نصوح أم لا، ووقتها سأقرر هل سأدعكم عدة أعوامٍ أخرى أم سأحرركم.

بَعُد صوته حتى اختفى لينظر بارئ نحو مويرا بغضبٍ ليسبها، لتفعل هي بالمثل ليبدأ بينهما شجارًا لا ينتهي.



الخاتمة

كانت تَخطو بهوادة وهي تلتفتُ حولها في هذا الظلام الدامس؛ تُحرك كلتا يديها في الهواء باحثة عن أي شيئ صلبٍ تستطيع التماسه كي تستند عليه؛ لم تجد شيئًا حولهاً مما جعلها تتقدم للأمام بقلبٍ يخفق بشدة وخوفٍ لم تشعُر به منذ زمن بعيد.

التقطت بضعة أنفاس لتهمس بها اسمه بارتجافٍ بدا على صوتها وهي تردد:

ـ نعمان أين أنت!

لم تتلق إجابة فظلت تمشي بقدمٍ مُرتعشة في اتجاهات ملتوية وقد أوشكت على البُكاء لشعورها البغيض بهذا التيه.

بدأ خوفها يتحول لرُعب كلما ازدادت خطواتها سرعة كأنها تهرب من شيء مجهول.

توقفت للحظة تُضيق جفنيها بشدة عندما رأت خيطًا رفيعًا من الضوء يظهر من بعيد؛ ثبتت بصرها عليه وأطلقت قدميها للرياح وهي تلهث بأنفاسٍ متتابعة حتى بدأ الضوء يزداد ويتضاعف حجمه كلما دنت منه.

هرولت بسرعة أكبر حتى توقفت جاحظة العينين وهي تراه أمامها في هذه الجزيرة المشتعلة بأكملها،ةجنيًا ضخم الجثة كبير العضلات يقترب من الماردة؛

ينتمي على الأغلب لفصيلة الجن الناري، مُكبلًا بسلاسل فولاذية تختبئ تحت الرمال السوداء المُحترقة من حوله،

ولا يظهر منها سوى الأصفاد في كلتا يديه وقدميه، مُحاط بكرة نارية وهو يقف محني الرأس بداخلها، اقتربت بضع خطوات من محيطه، لكن حرارة اللهب جعلتها تعود للخلف بوجهٍ مُمتعض وملامح غاضبة ومُشفقة على هذا المارد .

رفع رأسه المتقوس ليستقيم في وقفته وقد هالتها عيناه الجاحظة شديدة الزُرقة وكأنها أعتى درجات السعير المُشتعل بحرارة ستُحرق الكون بأكمله.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تبادله نظراته الباغية بأخرى مُتفهمة و بها من الرأفة ما جعله يلين ويرتخي بجسده، بينما تحولت وثَباتَه الحارقة لأخرى متسائلة.

هدأت النيران من حوله بهدوء جسده وبصره حتى بدأت تشعر هي ببعض الراحة، رفعت صوتها كي يصله:

ـ من أنت؟! ومن الذي حبسك هُنا؟!

رفع زاوية فمه بتهكم مجيبًا:

ـ السؤال هو كيف جئتِ أنتِ لهذا المكان؟! ولماذا لم تصرخي وتهربي ركضًا حينما رأيتني؟!

ابتسمت له برقة قائلة:

ـ لا أعرف كيف جئتُ إلى هنا.

ثم فردت طولها وهي تعدلُ من فستانها ذو الأكمام الواسعة والخصر الذي يلتف حول جسدها كي يُظهر شبابها الذي عادت له منذ وقت قصير:

ـ أنا معتادة منذ زمنٍ على هذا العالم وقد تزوجتُ قائدًا من الجن وأنجبت آخر.

ضم حاجبيه بتعجُب وهو يردد:

ـ اندهشت مما سمعت، لكني تمنيت للحظة أن تكون مِثلك.

ضيقت عينيها متسائلة:

ـ من هي؟

تنهد بقلبٍ مكلوم لتزداد النيران حوله ارتفاعًا متضامنة مع هياج مشاعرة وتأججها حتى تراجعت روهان للخلف وهي تحاول سماع ما يقول:

ـ الوحيدة من بني آدام التي قد امتلكت قلبي.

وقبل أن تتسأل عنها ازدادت زمزمة النيران مما جعلها تركض للخلف بسرعة كبيرة وهي تسمع تحذيره:

ـ اهربي سريعًا واختفي من هنا فهم قادمون، لو علموا بمجيئك إلى هُنا سيقتلونك أيتها الإنسية.

عادت للظلام بهلع بعدما فقدت أعصابها من الأصوات المُزلزلة للبدن لتبدأ بالصراخ عاليًا:

ـ نعمان اغثني، أين أنت؟!

أطلقت شهقة العودة وهي تنتفض من فراشها، للحظة لم تُدرك بها أنها كانت تحلُم! لا لم يكن هذا بالحلم على الإطلاق، لقد كان كابوسًا مُفزعًا.

بدأت تتحسس جسدها ووجهها المُبلل بالدموع ليقف كفها عند قَلبها الهادر بفزع إلى أن بدأت تتمالك نفسها.

نظرت جوارها بحزن، كعادته يتسلل من جنبها عندما تغُط هي في النوم؛ نزلت من أعلى الفراش بقدمين مثل الهلام حتى خرجت للبهو الكبير، وجدتُه يجلس على الأرض مُحاطًا ببعض الكتب التي تفترش من حوله، أمامه خريطة كبيرة ويبدو عليه الإنهاك في التخطيط؛ فهي حربٌ قادمة كالعادة، أو هكذا ظنت.

مجرد أن وطأت قدميها محيطه التفت ينظر إليها بابتسامته الساحرة وهو يقول:

ـ ما الذي أيقظك يا حبيبتي في هذه الساعة.

لم يجد جوابًا سوى ملامحها التي ما زالت مذعورة وجسدها الذي يهتز اهتزازات طفيفة تُنم على أن هناك خطبًا ما.

وقبل أن يركض نحوها كانت هي أمامه بين قدميه تضمه بكلتا يديها، وضع يده على ظهرها يُربت عليه برقة وقد بدأ القلق يحتل جسده والاضطراب يظهر جليًا على صوته وهو يسألها:

ـ ما الذي رأيته؟!

ثم أبعد يديها عن رقبته برفقٍ ليرى وجهها.

رفع كفه يتحسس وجنتها بعشق وهو يتطلع لعينيها الزائغة ووجهها بلونه الأصفر ليقبلها برقة أعلى شفتيها قائلًا:

ـ أرجوكِ يا روهان قصِ عليّ ما رأيته.

تنهدت بقوة وروت له ما حدث في كابوسها، ضمها إليه بشدة ليلُف ذراعه حول جسدها مطمئنًا إياها:

ـ لا تخافي يا حبيبتي فأنا هنا، لن يستطيع أحد أذيتك حتى ولو في الحُلم.

بدأت تستكين بين يديه وهو يوزع قُبلاته الناعمة بين ثنايا رقبتها ليسألها باهتمام:

ـ هل تعرفين اسم هذا المارد؟!

حركت رأسها بنعم لتهمس في أذنه:

ـ اسمه عدار.

لاحت ابتسامة على ثغره وهو يُعيد تقبيل عرقها النابض بشوقٍ قائلًا:

ـ لا تقلقي يا حبيبتي سأخبره أن رسالته قد وصلت، لقد نسيتُ أمرهُ لبعض الوقت، لكنه أراد أن يُذكرني عن طريقك.

عادت برأسها للخلف وقد بدت مُرتعبة وهي تقول:

ـ هل تعرفه؟! ويذكرك بمن ؟!

أجابها وهو يمرر إبهامه على طول ذراعها ليُصيبها برعشة وهو يقول لها:

ـ هو شيطانٌ عاشق، لكنه بائسٌ لأنه عشق إنسية أبغضتهُ.

سألتهُ بدهشة:

ـ وماذا حدث بعد ذلك؟!

لم يُجِب وهو يجمع شعرها الثائر ليعيده للخلف حاملًا إياها بين ذراعيه قائلًا:

ـ دعينا نُكمل ليلتنا في فراشنا.

ثم همس في أُذنها:

ـ فقد اشتقت كثيرًا لفتاتي الخائفة المُرتجفة هذه؛ لذلك أنا ممنون لعدار كثيرًا.

